

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

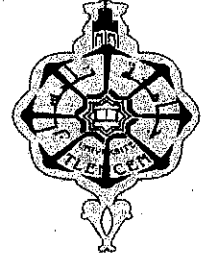
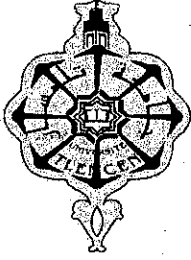
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر.



البيوتات العلمية بإقليم توات ما بين القرنين

7-11 هـ الموافق لـ 13-17 م

إشراف الأستاذ الدكتور:

مبخوت بودواية

اعداد الطالبة:

بوكرابيلة زهرة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. بن داود نصر الدين	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	رئيسا
أ.د. مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	م.ج. النعامة	مشرفا ومقررا
د. بوشقيف محمد	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	عضوا
د. سي عبد القادر عمر	أستاذ محاضر (أ)	تلمسان	عضوا
د. بوحسون عبد القادر	أستاذ محاضر (أ)	سعيدة	عضوا
د. بوشريط أمحمد	أستاذ محاضر (أ)	معسكر	عضوا

السنة الجامعية: 1438-1439 هـ / 2017-2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم علمني ما ينفعني
وانفعني بما علمتني
وزدني علما

إهداء

إلى روح أمي الطاهرة فاطنة بوكراييلة .
إلى الصدر الرحيم الذي احتضني و احتواني.
إلى ذلك الأفق الرحب الذي وسعني.
إلى الوطن الفسيح الذي آواني.
إلى أبي الرحيم و الركن الركين في حياتي بن سعيد بوكراييلة.
إلى الظل الظليل الذي حواني بدعائه و غمرني بحبه.
إلى زوجي الفاضل الذي قاسمني أفراحي و أحزاني بوعبسة محمد و عائلته.
إلى عائلتي و قرّة عيني الأخوات و الإخوة و الأحفاد.
إلى الصديقات الأخوات اللواتي لم يدّخرن جهدا إلا بذلته.
إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو من بعيد.

زهور بوكراييلة

كلمة شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين الذي ينتهي إليه شكر الشاكرين فله الحمد والمنة حمدا يليق بجلاله وجهه وعظيم سلطانه و بعد.

أتوجه بالشكر والثناء للأستاذ الدكتور مبخوت بودواية أستاذا و مشرفا الذي عمّني بنصحه و توجيهاته القيمة في مشواري الجامعي، حيث تشرفت أن كان مشرفا على رسالة الماجستير ثم على أطروحة الدكتوراه هذه، أوجه له كل عبارات الفضل على حسن المعاملة و التوجيه و الملاحظات الدقيقة التي رسخت فينا روح المبادرة و همة المواصلة و نشوة المثابرة، و أحياه على صبره و طول انتظاره حتى يصبح هذا العمل على ما هو عليه.

و أربط شكري و ثنائي للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على رأسهم الأستاذ الدكتور نصر الدين بن داود رئيسا و أحصّه بكل عبارات الفضل و الاعتراف لأنه كان أستاذا في الجامعة لم نعهده إلا مبتسما و متواضعا فشكرا جزيلا له، و إلى الأستاذين الكريمين الدكتور عمر سي عبد القادر و الدكتور محمد بوشقيف كامل الشكر و التقدير و إلى الأستاذين الكريمين الدكتور عبد القادر بوحسون و الدكتور أمحمد بوشريط كل الشكر و التقدير.

كما لا أنسى أن أوجه شكري للسيد الطيب الشاري القائم على خزانة كوسام بأدرار و الذي فتح أبواب خزانته بكب صدر رحب، و قد كانت خزانته منهلا أثريت بها هذا العمل، كما أوجه شكري الكامل لكل أساتذة القسم الذين وقفوا معي وقفة أخوية دفعتني دفعة قوية، دون أن أنسى عمال الإدارة في الجامعة كل باسمه.

كما لا أنسى أن أوجه كامل شكري إلى ناسخ هذا العمل السيد حبيب بوشنافة.
إلى كل هؤلاء شكري الخاص و جزاهم الله عني خير الجزاء.
زهور بوكراييلة

قائمة المختصرات:

شرحها	رمز المختصرات
إعتناء	إعت
توفي	ت
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق	نع
تقديم	تق
جزء	ج
دون تاريخ	د . ت
دون مكان نشر	د . م . ن
دراسة	درا
صفحة	ص
صفحتين متتاليتين	ص ص
عدد غير متتالي من الصفحات.	ص - ص
طبعة	ط
عدد	ع
ميلادي	م
مجلد	مج
هجري	هـ
حذف كلام أو كلام غير منتهي	(...)
إسم علم أو إسم قبيلة، كتاب، اقتباس.	" "
مواقف	/
مرجع نفسه	Ibid
مرجع سابق	OP.cit
صفحة	P
صفحتين متتاليتين	PP

مقدمة

يعتبر مجال التاريخ الثقافي أحد أهم المحاور التاريخية؛ و التي خاضها رواد العلم دراسةً و تصنيفاً في العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة؛ فقد كان لأعلام الأمة السبق في التأليف لأنه المحور الذي يعالج جوانب حضارية مختلفة كدراسة الحواضر العلمية و نشاطاتها الفكرية و اتساع مجالسها العلمية مع نبوغ العالم و الطالب معا و رواج أسواق العلم على منابر المساجد و حلقات الدرس و في ذكر مناقب العلماء و إسهاماتهم بلا قيد أو شرط من خلال الرحلات العلمية و الدعوات الإصلاحية و في حركة التأليف، كلها أسواق علمية تاجرت مع الله تجارة لا تبور لأن ذكر الأعلام و الصالحين و الأخيار سنة الحبيب المصطفى إذ قال: "المرء مع من أحب، و له ما اكتسب" - رواه الترميذي- و قال صلى الله و عليه و سلم: "تعلّموا العلم، فإنّ تعلمه لله خشية، و طلبه عبادة، و مذكّره تسبيح، و البحث عنه جهاد و تعليمه لمن لا يعلمه صدقة". رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل.

و باعتبار أن إقليم توات واحد من عوالم البلاد الإسلامية، فقد شملها ذلك الزخم الفكري و المؤثرات الثقافية و وقفنا على أثر رجالها الصالحين، إذ يقول ابن قنفذ القسنطيني ما يلي: "معرفة الكتب و أسماء المؤلفين من الكمال و معرفة طبقة الفقهاء و أزمانهم من مهمات الطالب خاصة و أن منطقة توات شهدت وفادة علمية لا بأس بها منذ القرن السابع إلى غاية القرن الحادي عشر هجريين و التي ساهمت في تغيير أوضاعها الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، نتج عنها واقع علمي ثقافي جديد استحق عناية البحث و الدراسة و سمّتها ب: "البيوتات العلمية- بإقليم توات ما بين القرنين 7هـ-10هـ/13-17م".

❖ أهمية الموضوع:

لقد بدأ موضوع توات يأخذ مجرى آخر في عيون الدارسين اليوم، بحيث اعتُمدت كمحور بحث لكثير من الأعمال الجادة كدراسة الباحث الدكتور أحمد حمدي "محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات"، أيضا دراسة الأخوين أحمد جعفري "الحركة الأدبية في إقليم توات" و مبارك جعفري "العلاقات الثقافية بين توات و السودان" أيضا دراسة للباحث ياسين

شبابي و عبد الله عباس حول "الدور الحضاري للمنطقة و أثرها على بلاد السودان" محمد صالح حوتية "توات و الأزواد" و غيرها كثير من الدراسات...

❖ دوافع و أسباب اختيار الموضوع:

إن ما شد انتباهي في الدراسات السابقة أنها خاضت في التاريخ الثقافي من شتى الجوانب إلا جانب الأسر العلمية التي تشكل حلقة مفصلية في صلب التاريخ الثقافي و الحضاري من هذا الباب اخترنا محور الأسر و البيوتات العلمية موضوع للدراسة موسوما بـ"البيوتات العلمية بإقليم توات خلال القرنين 7 هـ - 11 هـ / 13 م - 17 م"، و في الحقيقة أن اختيار الموضوع هي فكرة تبناها الأستاذ المشرف الدكتور مبخوت بودواية لتفت أمامي أفق البحث و الاجتهاد محاولين معا تقديم هذا العمل بطرح جديد و رؤية مختلفة بالرغم من الدراسات السابقة و لكن الجودة تكمن في الصياغة و المعالجة، نحاول من خلاله رصد الحياة العلمية و الثقافية في نهاية الفترة الوسيطة و بداية العصر الحديث، لذلك حاولنا تبني فكرة هذا الموضوع لاعتبارات كثيرة ذاتية و موضوعية نذكر بعض جوانبها:

- ✓ مواصلة مشوار البحث العلمي الذي بدأناه في مرحلة الماجستير بعنوان "الرحلة التجارية بين إقليم توات و السودان الغربي و أثرها في تمتين الروابط الثقافية ما بين ق 7 هـ - ق 10 هـ" لتقريب الرؤية من زوايا كثيرة حول إقليم توات في المرحلة نفسها.
- ✓ حاجتنا الملحة لمعرفة المزيد عن مناقب رجال العلم في الإقليم.
- ✓ قلة الدراسات التي تناولت توات من هذا المآخذ، فكانت أقل حظ من المناطق الصحراوية المجاورة لها كسجلماسة و "تافيلالت" و "ورجلان" و غيرها من المناطق، على الرغم من الأعلام التي تناولتها إلا أنها ما زالت حقلًا خصبا ورافدا متدفق يستحق العناء.
- ✓ محاولة إظهار بعض الجوانب التاريخية المسكوت عنها كخلفيتها السياسية و دورها التجاري و إن درست تكون دراسة نمطية لبعض جوانبها.

- ✓ اجتماع بعض المفارقات بين ما هو واقع و بين ما هو حاصل في توات، فكيف يكون هذا القفر من الصحراء منارة للعلم و قبلة لطلابه؟
- ✓ التفاعل الحضاري الذي حصل في الإقليم بين الظروف الجغرافية و الواقع البشري، ثم التغيرات السياسية التي أدت إلى خلق مؤثرات ثقافية ساهمت في بروز توات كحاضرة ثقافية تمتلك المقومات التي عجلت في تمثّل ظاهرة البيوتات العلمية.
- ✓ محاولة إحياء و كشف أسماء علمية في ساحة توات الثقافية، غير الأعلام البارزين كالمغربي و العسوني و غيرهم. هذه الدوافع و غيرها حاولنا طرحها ضمن الإشكالية التالية:

❖ الإشكالية:

تمثلت إشكالية الموضوع في محاولة الكشف عن تراجم أعلام البيوتات العلمية وأدوارها المختلفة التي ساهمت في إثراء الساحة العلمية بإقليم توات وربطت هذه الأخيرة بأقاليم أخرى على المستوى الثقافي و العلمي بعيدا عن الصراع السياسي و الحدود الجغرافية خلال القرن السابع و الحادي عشر الهجريين فطرحنا في هذا الإشكال بعض المسائل:

- 1- كيف استطاعت منطقة توات بفروعها الثلاثة -قورارة، توات، وتيديكلت- أن توحد من نمطها المعماري و سلوكها الاجتماعي و خارطتها البشرية و خلفيتها المذهبية؟
- 2- هل كان واقع توات الاجتماعي و السياسي و الجغرافي دافعا لبروز بيوتات علمية أم كان صارفا لها؟

3- ما هي أبرز البيوتات العلمية خلال الفترة المدروسة؟

4- فيما تجلّت مظاهر النهضة و إسهامات الأسر العلمية في الإقليم؟

5- ما هو أثر تلك الإنجازات على المستويين الداخلي و الخارجي؟

❖ المنهج المتبع:

هذه الأسئلة و غيرها مما لا يتسع المجال لطرحها حاولنا الإجابة عنها ضمن منهج تاريخ علمي قائم على وصف كل ما تعلق بالإقليم من جوانب اجتماعية و اقتصادية و سياسية و ثقافية، ثم

تحليل و استنتاج كل تلك الوقائع لمعرفة ما ترتب عنها من مستجدات تاريخية، ثم ربطها مع الأحداث التي واقعها و عايشها الإقليم، ثم توظيف المنهج الإستقرائي حين تواجهنا صعوبة فهم بعض الأحداث سواء المغلوطة أو المسكوت عنها في المصادر التاريخية الإخبارية، خاصة و أن علماء توات لم تتعرض لهم كتب التراجم العامة ما دفعنا للمقاربة حيننا و الاستقراء حيننا آخر. كما استعنا بالمنهج التاريخي الكمي حين يتطلب الأمر الإحصاء.

انطلاقا من هذه الإشكالية و اعتمادا على هذا المنهج حاولنا ضبط خطة عمل موازية لهما تمثلت في: مقدمة و خمسة فصول منها فصل تمهيدي و أربع فصول أساسية، ثم خاتمة رافقتها بمجموعة ملاحق، أما المقدمة فحاولنا عرض و تقديم الفكرة العامة للموضوع مع إيضاح الأهمية و الهدف لهذه الدراسة، فصل تمهيدي كدراسة مونوغرافيا للإقليم تعالج كل ما تعلق به جغرافيا و بشريا، تاريخيا و سياسيا اعتبارا أن التعريف بالإقليم يمهد للدخول في صلب موضع العمل، ثم فصل أول تعرضنا فيه لذكر أهم الأوضاع العامة قبل القرن السابع هجري الذي يمثل نقطة تحول في مسار توات خاصة الجانبين الاقتصادي و الاجتماعي، هذا في جزئه الأول أما في الجزء الثاني فقد كان عرضا لمناقب و تراجم أعلام البيوتات منها البيت المغيلي و البيت العصنوني، البيت البكري، البيت التنبيلاني...

الفصل الثاني عاجلنا فيه الأركان الأساسية التي ساهمت في مسار الحركة العلمية بتوات ما بعد القرن السابع هجري أين عرفت منطقة تحول في مجريات التفاعل الحضاري، نقصد بذلك المؤسسات التعليمية و العمائر الدينية المتمثلة في الكتاتيب و الزوايا و المساجد، ثم عرضنا شرح لمجمل العلوم المعتمدة في تلك المؤسسات.

فصل ثالث تمثل في عرض عام للمساهمات العلمية و النشاطات الفكرية لأعلام البيوتات التواتية و مدى تأثيرها على سائر دول الجوار الإسلامي، هذا وقد انتهجنا في ذلك ثلاث وقفات الوقفة الأولى للتأليف و مساره، و الوقفة الثانية عن المناظرات و المحاورات العلمية، أما الوقفة الأخيرة فكانت لأدب الرحلة و أثرها على تلك النشاطات الفكرية.

الفصل الرابع الذي اعتبرناه حصاد للفصول السابقة لأننا تناولنا أعلام البيوتات و مساهماتهم لمختلف الأدوار الحضارية كالقضاء و التعليم و التجارة وهي المحاور الأساسية لبناء نخضة علمية متينة كلها تصب في أن العلماء أكثر من يُقزع لهم في عظام الأمور، وفي الجزء الثاني من الفصل عرجنا إلى نوع العلاقات التي ربطت بين الإقليمين توات و السودان الغربي في القرن السادس عشر ميلادي و جهود بعض الأعلام في الدعوة و الإصلاح. ثم ختمنا العمل بخاتمة جمعنا فيها مجمل النتائج و الاستنتاجات محاولين الإجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة.

❖ عرض و دراسة للمصادر و المراجع المعتمدة:

بحكم طبيعة الموضوع الذي يعالج التاريخ الثقافي لمنطقة توات باعتبار أنها إقليم صحراوي من خلال محور الأسر أو البيوتات العلمية في فترة القرن السابع إلى غاية الحادي عشر الهجري تطلب الموضوع مجموعة من المصادر و المراجع المخطوطة و المطبوعة و التي تتنوع بين التراجم و الفهارس و كتب الطبقات و الرحلات إضافة إلى المصادر الإخبارية و كتب النوازل.

❖ كتب التراجم و الطبقات:

هي الكتب التي تعني بأخبار الأخيار من العلماء؛ تهتم بذكرهم و تاريخ مولدهم و وفاتهم؛ و مناقبهم، فهي تعني بالأعلام فتجمع فيها سيرهم و مسيراتهم في شتى فصول حياتهم و مواقفهم و أثرهم في الحفاظ على تاريخ الأمة، و أما الطبقات فهي أيضا تراجم يصنف فيها الأعلام مع ترتيبهم حسب نوع اختصاصهم كالمحدثين و الرواة، أهل التفسير أو أهل مذهب معين. ولأن طبيعة موضوعنا تقتضي هذا الصنف من الكتب اعتمدنا على مجموعة منها نذكر أهمها:

1- كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان: لصاحبه أبي عبد الله محمد الملبتي المديوني الشهير بابن مريم، و الذي كان حيا سنة 1025 هـ/1616م؛ و قد اعتنى في كتابه هذا بجمع أكثر من 182 عالم معظمهم ولد واو عاش واو تعرف واو دفنوا في تلمسان، فرصد العالم ابن مريم أخبارهم و سجل سيرهم، لذلك اعتبر من أهم الكتب التي أثرت المكتبات الإسلامية

و ساهم في الإشادة بالجوانب الثقافية بتلمسان و أحوازها و علاقاتها مع سائر الحواضر الإسلامية آنذاك من القرن السادس هجري إلى غاية القرن الحادي عشر هجري.

أما وجه الإفادة منه فقد تجلت في ترجمته لبعض الأعلام الذين ساهموا في رقي توات و الرفع من مستواه المعرفي على سبيل المثال العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي.

2- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر: لأحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، من تحقيق الدكتور محمد حجي، و قد كان المؤلف من أهل القرن العاشر حيث ولد في عام 936 هـ / 1529، المتوفي 30 جمادى الأولى عام 986 / 1578، ألف هذا الكتاب سنة 985، اعتبر كتابه من كتب الفهارس أيضا لأنه أُنخ و ترجم لشيونخه و أضاف لهم سير الأعلام الذين لقيهم أو لم يلقاهم، وقد اعتمدت عليه لأنه مرآة عاكسة لما كان يحدث في القرن العاشر، لذلك أفادني في ترجمة الكثير من الأعلام.

3- درة الحجال في أسماء الرجال: لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي) (960-1025)، و هو ذيل لوفيات الأعيان، من تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو الأنوار بمجلداته الثلاثة، بحيث يعد واحد من الكتب التي تعي بتراجم العلماء و الأعيان الذين كانوا ما بين القرن السابع إلى آخر القرن العاشر و أوائل القرن الحادي عشر، حين اعتبر ذيلاً على تأليف ابن خلكان المتوفي سنة 743، توفي سنة 1025 هجري.

4- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: لأحمد بابا التنبكي (ت 1032هـ / 1624م)، الذي ذيله على مؤلف ابن فرحون برهان الدين (ت 799) المسمى "الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب" و زاد عليه أكثر من 200 ترجمة، يعد مصنفاً نفيساً من كتب التراجم و الطبقات في القرن الحادي عشر، لأنه عني بجمع تراجم رجال العلم في سائر العالم الإسلامي سعياً أن يكمل و يتدارك ما نقص من كتاب الديباج، موفياً مادته التي وصل فيها لترجمة 800 عالم رتبها في جزئين، من تحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة و وضع حواشيه طلبة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس سنة 1989، اعتمد صاحب النيل على الإسناد و التوثيق و ثم ذيل عليه كتاب سماه

"كفاية المحتاج في من ليس في الديباج"، ذكر بعض الكتب التي اعتمد عليها، و قد خص بعض علماء الإقليم التواتي بالعناية و الترجمة.

5- كتاب الطوائف و الثلاثد من كرامة الشيخين الوالدة و الوالد و هو نسخة من مخطوط موجود بخزائن توات خاصة كوسام و كتنة، ألفه العالم محمد بن سيد المختار الكنتي المتوفي 1241هـ/1826م، هذا الكتاب الذي يعتبر ذاكرة حية لأعلام البيت الكنتي، ذكر أخبارهم و سير أعمالهم من الرجال و النساء في ثلاثة أجزاء، تتمثل أهميته في أنه تطرق إلى مواضيع كثيرة كالنجارة و التصوف و أصحاب البدع، بحيث استطاع أن يفرق بينهم، ثم نقل أخبار الإقليم من أخلاق و تاريخ و رصد للمشايخ و العلماء الذين تتلمذ على يدهم. وفي آخر مراحل البحث وقع بين يدي الكتاب المحقق من قبل الدكتور عابدين بن باب أحمد بن حمو الأمين، الجزء الثاني، منشور بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي.

❖ كتب الفهارس و البرامج:

نقصد بالفهرسة أو الفهرست كلمة تعادل المشيخة التي كان الأوائل يطلقونها على تراجم شيوخهم و مروياتهم، أما أهل الأندلس فتزاد هذه الكلمة مع كلمة برامج، ثم تحول الاسم إلى كلمة ثبت في المشرق وكلمة فهرس في المغرب، كثيرا ما نجد في هذه الكتب سردا لإجازاتهم المرتبطة بالإسناد، فالفهرس يضم المرويات و البرامج تضم تراجم الشيوخ و النصوص و الإجازات... وكلاهما مؤلفات تضم الأشياخ و المؤلفين، من الفهارس المعتمدة

1- نسخة من مخطوط فهرسة التتلائي صاحبه عمر الأكبر بن عبد القادر التتلائي ت 1152 هـ: ترجم فيه لمعظم شيوخه وقد يسميه البعض بكتاب الرحلة لكنه اكتسى صبغة فهرسية على طريقة الكثير من العلماء مثل رحلة القلصادي الفهرسية، تضمن هذا المخطوط على المعايير التي تجعله فهرسة. كما استعنت برسالة الباحث عبد الكريم طموز التي حقق فيها هذا المصدر.

2- نسخة من مخطوط الفهرسة لعبد الرحمن التتلائي 1189 هـ-1765: و هو تلميذ الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التتلائي، كتاب فهرسي جمعه ليكون فهرس مروياته وذكر لشيخه و الإجازات التي اعتمدها عنهم، اعتمدت على نسخة مخطوطة في خزانة كوسام بتوات وقد أفادتني كثيرا في نقل ترجمة شيوخه و في محور مناهج التعليم و مراحل و ذكر المتون التي كانت تعتمد آنذاك. استعنت برسالة الدكتور بعثمان عبد الرحمن الذي حقق فيها الفهرسة للتتلائي.

3- كتاب فهرست الرصاع: لصاحبه أبي عبد الله محمد الأنصاري ت 894 هـ-1489م: كتاب ينقل و يصور وضع الثقافي و الحركة العلمية في تونس الحفصية و قد تعرض فيه إلى ذكر شيوخه في تلمسان.

❖ المصادر الفقهية:

و التي نعني بها كتب النوازل خاصة، بحيث تعد أهم المصادر الفقهية و التاريخية على حد سواء باعتبارها مستندات قانونية تتضمن الماد التاريخية وتعالج الواقع المعاش في فترة النازلة، إذ تعد كتب النوازل مرجعية فقهية تحمل مادة مصدرية تملؤ في الكثير من الأحيان النقص و الثغرات الموجود في الكتب الإخبارية، لكنها تحتاج إلى منهج دقيق نوظف فيه أدوات التحليل القادرة على تسيير المادة الفقهية و استغلال المادة التاريخية منها، مما يتطلب من الباحث التمكن من اللغة و الإلمام بالعديد من المبادئ الفقهية، لذلك فاعتبرت كتب النوازل وثائق مهمة لدراسة التاريخ الاجتماعي و الثقافي علاوة على معرفة المستوى الفقهي لدى المجتمع من خلال المستفتي و المفتي أما بالنسبة للبحث فقد اعتمدت على كتب النوازل المحققة مما سهل لي عملية الاستفادة خاصة في الفصل الثاني و الرابع.

1- المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب: لصاحبه أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 998 هـ) حيث اعتبر موسوعة فقهية بامتياز بأجزائه التي تفوق العشرة و قد اعتمدت منه الجزء الثاني، بحيث أن الونشريسي بذل مجهود مضى في جمع

مادته النوازلية من كل أقطار بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثالث إلى القرن العاشر هجريين و قد استفدت منه في موضوع نازلة اليهود في توات حيث جمع المعيار كل الأئمة المشاركين في الاقتناء و ذكر أجوبتهم المعارضة و المساندة لرأي المغيلي مشيرا إلى الأحكام الفقهية الخاصة بأهل الذمة. ثم ذكر رأيه في المسألة.

2- كتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح: للشيخ محمد بن عبد الكوتم المغيلي (ت 909) و المحقق من قبل عبد المجد الخيالي نشر سنة 2001، نسخ هذا الكتاب المكي بن الحاج أحمد الإدريسي بنجل مسعود بن أبي زيان، يحتوي على مقدمة و ثلاثة فصول تحدث فيها عن ما يلزم أهل الذمة الكفار من الجزية و الصغار و عن ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار و الفصل الثالث تكلم عن طغيان اليهود و تمردهم على الأحكام الشرعية. وهي رسالة روى فيها المغيلي أحكام أهل الذمة في الشرع و عرج بها على واقع يهود توات و ما هم عليه من الطغيان مقدما صورة حية لنازلة اليهود. فاستفدت من هذه الرسالة جم الإفادة في الفصل الثالث في محور التأليف في النوازل.

3- كتاب معراج الصعود: لأحمد بابا التنبكي أجاب فيه عن الأسئلة التي وردت إليه عن الاسترقاق تحقيق فاطمة الحراف سنة 2000 يضم الكتاب استفتاء سعيد بن إبراهيم الجراري و إجابة أحمد بابا عليه و سماه معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود، فيه مراسلة بين المستفتي و المفتي حول قضية مجلوب السودان و حكم الفقه الملكي من الرقيق المجلوب من بلاد السودان و الضوابط الأخلاقية للاسترقاق عند المسلمين و غيرها من الأسئلة.

4- كتاب أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي: حققه عبد القادر زبادية جمع فيها المحاوراة التي جرت بين السلطان محمد الأسقيا و العالم محمد عبد الكريم المغيلي في سبعة مسائل فقهية مختلفة يطلب فيها الملك أن يقدم له المغيلي أدلة شرعية كافية فلم يفوت المغيلي هذه الفرصة ليشفى غليله فيما لم يتوفر له في تلمسان و توات قاصدا بذلك إصلاح شأن المملكة بإصلاح الملوك، إذ تعتبر هذه

الرسالة المرآة العاكسة لمملكة سنغاي و الوثيقة الرسمية عن أحوال المملكة. تمثلت وجه الإفادة منه في ذكر جهود المغيلي في الدعوة و الإصلاح.

❖ مصادر الإخبارية:

حاولنا اعتماد هذه المصادر بكل حيطة و حذر نتوخى الموضوعية في رصد الأحداث التاريخية، لقد كانت وعاء تخزن تاريخ الأمم و جغرافية البشرية و حيلتها الفكرية و الثقافية و ذكر أحوالها الاجتماعية، و من بين ما اعتمدنا للمثال لا للحصر:

1- كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406م) إذ يعتبر موسوعة القرن الثامن هجري، و هو دليل لخط سير القبائل و الأمصار يتخلله معجم لجميع الأماكن و التراجم، و سرد للتفاصيل السياسية و لعسكرية لدول المغرب الإسلامي و هو بحق أنفس ما كتب في القرن الثامن هجري فاستفدنا منه جم الإفادة خاصة من الجزأين السادس و السابع في التعريف بتوات و سائر قصورها و شعابها و علاقتها بالسودان الغربي و هو من بين أول المصادر التي ذكرت توات بالاسم تصريحاً دون تلميح.

2- المقدمة لكتاب العبر لابن خلدون، هو أيضا موسوعة علمية بامتياز، بحيث يرصد صاحبه الفكر الإنساني و صناعته، و هو شرح مفصل للعمران البشري يحمل في طياته استنتاج لتاريخ العلوم و الفنون و فروع المذاهب و مراجعها، اعتمدنا في أكثر من فصل لتصحيح بعض المفاهيم.

3- كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء: لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي (ت 1031 هـ / 1621 م) حققه و درسه عبد الكريم كريم، يعتبر معاصر للدولة السعودية و هو مؤرخها الرسمي، كان صاحب القلم العالي للسلطان منصور الذهبي خلال القرن العاشر و الحادي عشر هجريين، استفدنا منه في نقل تفاصيل بعض الأحداث، خاصة ما تعلق باحتلال السعودي لإقليم توات.

4- كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط: لصاحبه محمد الطيب بن عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة (ولد 1184 هـ / 1769 م) يشتمل على مونوغرافية مدينة تمنطيط، فيتعرض لذكر القبائل و عمارتها و ذكر الحالة الاجتماعية للمدينة كأنها سوقا نافقة للعلم و العلماء و الرياضة و القضاء.

❖ كتب الجغرافيا و الرحلات:

اعتبرت مصادر إخبارية متخصصة بمثابة معيار لخط سير المؤرخ، إذ تمكنه من التثبت في معلوماته و تصوير لمشاهدته العينية و التي تحمل في طياتها تفاصيل إخبارية في جعبتها محاور جغرافيا و معالم معمارية ثم أخبار تاريخية. أما كتب الرحلة فتركز في غالبها على التفاصيل الفكرية و الثقافية لأن كثير منها تنقل خط سير صاحبها ومشايخه و مشاهدته التي تعتبر مصادر تاريخية إخبارية، ومن هذه الكتب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في عجائب الأسفار و غرائب الأمصار، كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان، كتاب الرحلة العلمية لصاحبه عبد الكريم بن أحمد المتوفى سنة 1042 هـ.

1- كتاب وصف إفريقيا لصاحبه حسن الوزان الفاسي الشهير بليون الإفريقي المتوفى بتونس سنة 990 الهجري 1552 الميلادي، هو كتاب جغرافي رحلاني يظهر من عنوانه أنه اعتنى بالقارة الإفريقية من النيل شرقا إلى المحيط غربا و من الشمال إلى بلاد السودان جنوبا كانت مادته غزيرة و دسمة في جغرافية توات ووصف الطرق و المسالك التجارية بينها و بين المحطات الأخرى مثل تمنطيط، تساييت، تيمي، موضحا أن هذه المدن و القصور إنما أنشأت على إثر نشاط القوافل التجارية.

2- مخطوط عبد الكريم بن امحمد التمنطيطي ت 1042 هـ سماه الرحلة في طلب العلم: تضمن مقدمة و أبواب جعلها جمعا لذكر تفاصيل رحلته العلمية و سرد تراجم شيوخه. اعتمدنا على نسخة مخطوطة في خزانة كوسام.

❖ الدراسات الحديثة:

إضافة للمصادر اعتمدنا على دراسات حديثة تمثلت في مراجع ورسائل جامعية نذكر منها التي فعلا كانت تصب في صلب الموضوع ما هو على شكل مخطوط شكل مخطوطات مثل مخطوط "نقل الرواة عن من أبدع في قصور توات" لصاحبه بوداودي محمد، مخطوط "جوهر المعاني في تعريف علماء الألف الثاني" و "درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" للشيخ بن عبد الكريم بن عبد الحق، ومن المراجع المعاصرة كتاب الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله "الرحلة العلية إلى منطقة توات" في جزئين يمثل هذا الكتاب مصدر حديثا لأنه جمع كل ما جادت به أقلام المؤرخين المحليين و الرحالة و الجغرافيين، مؤلفات الدكتور أحمد جعفري ككتاب "الحركة الأدبية في إقليم توات"، كتاب "العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي" للدكتور مبارك جعفري، مؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله خاصة "تاريخ الجزائر الثقافي".

ومن الرسائل الجامعية أطروحة الدكتور مبخوت بوداوية "العلاقات التجارية و الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان" و مذكرة ماجستير للدكتور أحمد حمدي "محمد عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية بتوات رائد الحركة الفكرية "أطروحة دكتوراه" المؤسسات الثقافية لإقليم توات" للدكتور صالح بوسليم أطروحة "القضاء في منطقة توات" للدكتور عبد الرحمان بعثمان، أطروحة دكتوراه "الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر" للدكتور عبد السلام الأسمر بلعالم وغيرها الكثير من الدراسات.

وبما أن الدراسات التاريخية الجزئية تستدعي استحكاما للمادة و للمنهج التاريخي الدقيق مع مراعاة الوسائل البحثية التي تخول الخوض في التفاصيل، فقد واجهتنا صعوبة في دراسة محورية البيوتات العلمية في إقليم توات. أولا الفترة الزمنية التي نوعا ما لم تخدم الموضوع كثيرا بحيث أن البيوتات كانت لا تزال في طور البناء، نقص المادة في كتب التراجم و الفهارس المعروفة عدا بعض المعلومات الضعيلة المتفرقة هنا و هناك في المخطوطات المحلية

و التي صعب علينا قراءتها في بعض الأحيان، الاعتماد على كتب النوازل التي تحتاج إلى إتقان و دراية فقهية حتى يتسنى فهم محتوى النازلة ثم الاعتماد عليها كوثيقة تاريخية و من بين أكثر الصعوبات التي واجهتنا هي انتساب العلماء التواتيون إلى أماكن إقامتهم بحيث يعرفون باسم التمنطيبي، التواتي، القوراري، البوداودي... إضافة أنهم يعتمدون اسم محمد على معظم علمائهم، فيختلط عليك الأمر في الفصل بينهم.

هي صعوبات لم تكن عزمي على مواصلة العمل بعون الله وإعانة أستاذي المشرف فجزاه الله عني خير الجزاء.

زهراء بوكراييلة

سبدو بتاريخ: 18 مارس 2018

الفصل التمهيدي:

دراسة عامة لإقليم توات قبيل و بعد الإسلام

- 1- التعريف بالإقليم التواتي.
 - 1- تسمية توات بمختلف الدلالات.
 - 2- دراسة جغرافية للإقليم.
 - 3- دراسة عامة لقصور توات.
- 2- الواقع التاريخي و الانتماء السياسي للإقليم
من ق 1 هـ - 11 هـ:
- 1- تاريخ اختطاط إقليم توات.
 - 2- دراسة عامة لسكانة الإقليم.
 - 3- التبعية السياسية وواقع الانتماء

1- التعريف بالإقليم التواتي¹:

1- تسمية توات بمختلف الدلالات:

إن الحديث عن أصل كلمة "توات" يدخلنا في محك المقاربة بين الروايات الواردة في هذا الشأن، بين ما هو أسطوري و بين ما هو إخضاع للطرح اللغوي الذي يحمل الجدل بين المرد العربي، البربري، أو التكروري، بل و يتعدى إلى ما هو أعجمي².

و بين هذا و ذلك تبقى مسألة التسمية قائمة على الترجيح بين الآراء المختلفة و الدلالات المتضاربة و التي يمكن إجمالها في أكثر من سبع روايات طرحها المؤرخون و الرحالة المهتمون بالمنطقة منذ وصول الإسلام إليها.

وقد أعرب جل الباحثون على بربرية المنطقة بكل تقاسيمها من حيث تسمية معالمها الطبيعية كالواديان و الجبال و الخيرات الحسان الموجودة فيها، و لكن في هذه الرواية تتداخل الآراء فيما بينها من حيث التعليل³.

من الآراء التي تجزم أصل التسمية البربري نسبة للقبائل البربرية التي عمرت البلاد، فقد ذكر ابن خلدون أن أصل هؤلاء البربر من بني يلدس من بطون بني ومانو الزناتيين قائلا: "... و من بطون بني ومانو هؤلاء بنو يامس (بالدس) وقد يزعم الزاعمون أنهم من مغراوة و موطنهم

1- لتحديد موقع مراكز الثلاثة لإقليم توات ينظر الشكل رقم 01، ص 24.

2- إن مسألة الاختلاف في شأن التسمية وارد عند جميع من أرخ لها، سواء من داخل المنطقة أو خارجها، نظرا للتأويل إلى لغات و لهجات مختلفة، و التي تجاوزت السبع روايات، وفي هذا الشأن كتب كل من اهتم بإقليم توات. ينظر: أحمد أبو سماحة، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للنشر، الجزائر، 2002، ص ص 77-78، أحمد الجعفري، الحركة الأدبية بمنطقة توات ما بين القرنين 12 هـ. 13 هـ، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف الدكتور محمد زمري، جامعة تلمسان، 2006-2007، ص 22، مبارك بن صافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12 هجري، ط1، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 23.24.

3- مختار حساني، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائري، ج 5، ط5، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2011 ص 60.

متصلة قبلة المغرب الأقصى و الأوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور قبل و اختلفوا في الموطن القصور و الأطم، و اتخذوا بها من النخيل و الأعناب و سائر الفواكه فمنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة و يسمى وطن توات...¹.

أما صاحب الفهرست فيوافق ابن خلدون في التفسير و يختلف معه في التعليل حيث يقول: "... و الملمثون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلمثون بلثام أزرق و منهم طوائف الطوارق و لمتة، و لمتونة و التوات...²، بحث يجعل الرصاع من اسم توات اسما لقبيلة و هي بطن من بطون الملمثين، مثلها مثل لمتة و لمتونة بينما الواقع يؤكد أن اسم توات ما هو إلا لموضع استقرت فيه جموع القبائل الزناتية، و في موضع آخر يرى ابن خلدون أن الطوارق بطنا مستقلا كباقي بطون صنهاجة اللثام، و يؤكد أن قبائل زناتة مواطنهم قبلة سجلماسة و ينتسب إليه وطن توات³.

رأي آخر يؤيد فكرة بربرية التسمية و هو الرأي القائل أن أصل توات يرجع إلى كلمة "تواتن" و التي تعني الواحات خاصة وأن المنطقة تشمل على واحات كثيرة على ضفاف وادي مسعود و هذا الرأي يتوافق مع رأي أحد الفرنسيين الرحالة مارتان - "Martin" مفاده أن أصل الكلمة إغريقي وازيس - "Oasis" و الذي يتركب من كلمتين "وا - Oa" الذي يتوافق مع المصطلح البربري (وا) في اللفظ و المعنى دالا على الجمع مفردة توات - Touat موثقا قوله

1- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مرا: سهيل زكار، ج7، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 2000 ص ص 76.77.

2- محمد الأنصاري الرصاع، فهرست الرصاع، تر: عنابي، المكتبة العتيقة، تونس، د س، ص 127.

3- يرجع ابن خلدون أن أول من استوطن توات هم البربر هم الملمثون من فرع صنهاجة قائلا: "... هذه الطبقة من صنهاجة هم الملمثون بالقصر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب... ينظر: ابن خلدون، مصدر نفسه، ج 6 ص 371.

بمثال تواتن عبو **Touatin ebbou**، الذي يعني واحة الماء¹. وهذا الرأي أيضا يذهب إليه كل من "ماندوفيل" و "روكليس" لكن بتعليل آخر حيث يجمعان هذين الأخيرين أن اسم توات بربري يعني الواحة². وعن الرواية الأسطورية المنفردة فهي تتجلى في رأي عبد الرحمن السعدي و الذي يرجع أصل الكلمة إلى اللغة التكرورية مفادها أن أصل توات تعني علة تصيب الرجل أو القدم، وأن كثيرا من رجال السلطان "كنكن موسى" أصيبوا بهذا المرض أثناء رحلته إلى الحج وهم مارين³ بذلك المكان، فتخلفوا هناك فسميت المنطقة باسم العلة "توات" و هو رأي ضعيف، بحيث أن اسم توات ظهر قبل حج سلطان منسى موسى في القرن الثامن هجري، فقد أوردها الرحالة المغربي ابن بطوطة في رحلته الآتية من مالي عائدا إلى بلاده سنة 754 هـ⁴ و قد ذكر اسم توات عند ذكر العالم الشريف سليمان بن علي⁵ (ت 670هـ) و الذي دخل توات في سنة 580 هـ، لذلك

1 - Martin (A.G.P) **des oasis sahariennes**, Alger, P 115 et: Reclus, Elisée, **Nouvelle géographie universelle**, Paris, TX1, L'Afrique septentrionale ; Paris, 1886, P 845.

2- يرى ما ندوفيل - Mandeville أن اسم توات أطلقه الطوارق و العرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساوره وواد مسعود، ينظر Mandeville, **L'Algérie méridionale et Touat**, Paris 1898, P8. بينما يرى الغربي الألماني جيرهارد رولف الذي زار المنطقة سنة 1281 هـ / 1864 م أن اسم توات هو كاسم تافيلالت و هما اسمان يعنيان المعنى واحد البلاد الواسعة أو التي لها حدود معينة.

ينظر Gerhard, Rohlf, **Voyage et exploration au Sahara**, Tome 1, P 203.

3- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ط4، طبعة هوداس، باريس، 1964، ص 07.

4- عرف ابن بطوطة برحلة الشهيرة و الطويلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، و قد زار المنطقة في حدود 754 هجري و هو تاريخ قريب من السلطان كنكن موسى، لكنه لم يذكر أن اسم توات نسبة لما وقع في أرضها أثناء رحلة المنسى موسى إلى الحج، بل ذكر توات في كثير من المناسبات معرفا واقعها الاقتصادي و الطبيعي مما يؤكد أن ما ذكره السعدي ما هو إلا رواية أسطورية.

5- العالم الحسيني الشريف مولاي سليمان ابن علي (ت 670 هـ / 1271 م) المولود بفاس سنة 549 هـ / 1154 درس على علمائها منهم الشيخ علي بن حرزهم و هو الذي أمره بالذهاب إلى توات و الاستقرار بها سنة 580 هـ / 1184م، و هذا يعني أن اسم توات كان قبل القرن الثامن هجري بكثير، ينظر: عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات و اعلامها في القرن التاسع هجري إلى القرن الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007 ص ص 74-75.

يبقى رأي السعدي منفردا دون حجة يأخذ شكلا أسطوريا لكن ما يمكن استخلاصه من هذه الرواية أن أولئك الذين تخلفوا في توات من موكب الحج للمنسى موسى، استقروا في المنطقة و ساهموا في توطن العنصر الأسود السوداني في توات.

ثم تأتي إلى عرض الروايات ذات الدلالات العربية و هي كثيرة خاصة منهم مؤرخي المنطقة كصاحب مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات و الذي يؤكد أن سبب التسمية يرجع إلى الأصل العربي من فعل "واقي" يواقي، قائلا: "... أنه لما افتتح عقبة بن نافع الفهري¹

بلاد العرب، وصل إلى ساحله ثم عاد إلى واد نون - ودرع² و سجلماسة³ و الفائجة وصلت خيله توات وذلك في اثنين و ستين من الهجرة النبوية 62 هـ/681 م فسألهم عن هذه

1- عقبة بن نافع الفهري بن عبد الله قيس بن لقيط بن عامر بن فهر ولد في سنة العاشرة من الهجرة، و هو أحد أقرباء عمرو بن العاص الصحابي الجليل، شارك في حملات عرب مصر، اجتمع بجيشه و استقر في برقة نسب له فتح واحات في الصحاري ليبيا و عندما أصبح واليا على إفريقية سنة 50 هـ كان أكثر القادة معرفة بالمنطقة ثم يذكر ابن عذارى في بيانه أن عقبة وصل إلى إفريقية في 10 آلاف من المسلمين، فافتتحها و دخلها ووضع السيف في أهلها..." ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: كولان- بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت 1948 ص 19.

2- درعة: يقول عنها ابن خردادبة: وفي يد الخارجي الصفري درعة و هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل و فيها معدن الفضة..." ينظر: ابن خردادبة، المسالك و الممالك ليددن، 1889. ص 88، و قد شهدت هذه البلاد صراع حاد بين الأدارسة (إدريس الثاني وانية محمد، مع سجلماسة حول درعة لأنها عدت طريق تجاريا صحراوي هام يربط مباشرة بمملكة عانة ينظر:

أحمد عزراوي، نصوص تاريخية عن الغرب الإسلامي، ج1، مطابع الرباط نت، المغرب، 2013، ص 51.

3- سجلماسة: بنيت سنة أربعين ومائة، و بعماراتها خلت مدينة تدغة و بينهما يومان، و بعماراتها خلت زيز أيضا و مدينة سجلماسة سهلية... و حولها أرياض كثيرة، و يتفق الرواة على إن أول أمرائها عيسى بن يزيد الأسود، و هي أو الصحراء لا يعرف في غريبها ولا قبليها عمران... اختطوا سجلماسة سنة 140 و دخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم (مذهبهم)... وقد بنا أحد أمرائها - أبو المنتصر - سور و على عهد استفحل ملكهم بسجلماسة... و اختط بما المصانع و القصور... و دوخ بلاد الصحراء و أخذ الخمس من معادن درعة، ينظر عبد الرحمن بن خلدون العبر، مصدر سابق ج6، ص ص 267-268، و ينظر أيضا: أبو عبيد الله البكري، المسالك و الممالك، ج1 ص 2 تونس، 1992

ص 148.

البلاد - يعني توات- و عن ما يسمع و يفشى عنها من الضعف: هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب بها أو يجليهم بها، فأجابوه: بأنها تواتي لهذا الأرب، "فبقيت المنطقة تسمى توات"¹ بضرب من التخفيف.

أما محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق فذكر في درة الأقاليم ما مفاده أن توات كانت قائمة زمن الموحدين ملوك بلاد المغرب 518 هـ/1124م، و أن ملوكها أزموا سكان المنطقة دفع المغارم التي سموها بالأتوات جمع الفاكهة و الرطب في المنطقة فعرفت منذ ذلك الحين بأرض الأتوات وحذف المضاف و بقي المضاف إليه من دون التعريف فأصبحت توات²

وقد ذكر صاحب "نقل الرواة" هذا التفسير لكنه خالفه في التعليل، فيقول أن من فرض الأتوات هم قبائل العرب الذين سيطروا على المنطقة ففرضوا على سكانها - زناتة - الأتوات فأصبحت تسمى بلاد الأتوات و مع مرور الزمن تغيرت لتصبح "توات"³.

ثم يذهب المؤرخ أحمد الطاهري الإدريسي أنها سميت كذلك لأنها تواتي للعبادة، لذلك سافر إليها جموع العلماء و الأولياء⁴.

ومن خلال الدلالات المختلفة لكلمة توات تكون مسألة الحسم صعبة في كونها بربرية أو عربية أو حتى أعجمية مما يستدعي إعادة النظر فيه⁵، أو عدم الخوض فيه بتاتا، حيث أصبحت

1- محمد بن عمر بن مبروك، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، نسخة مخطوط بخزانة با عبد الله و نسخة أخرى في خزانة كوسام، أدرار، الورقة 04.

2- محمد عبد الكريم، بن عبد الحق البكراوي، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، نسخة مخطوط الخزانة البكرية الورقة 01.

3- محمد بن عمر بن مبروك، البوداوي، نفسه، الورقة 04 و ما بعدها.

4- أحمد الطاهري، الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ج 1، نسخة من مخطوط بخزانة كوسام أدرار، الورقة 12.

5- مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن الثالث عشر هجري، ط 1 دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 29.

في كثير من الأحيان شكلية أكثر منها علمية، إذ لا تواجهك هذه القضية في أصول أخرى عدى توات و كأن الأمر أصبح سُنَّة لكل من خاض البحث في هذا الإقليم.

لكن تبقى مسألة الترجيح بين هذه الروايات تخضع إلى جادة الصواب، فأول من عمّر البلاد هم البربر و قد صبغوا المنطقة بلغتهم الزناتية سواء في أسماء الأماكن أو في أسماء الوديان و الجبال و الشجر و الحجر و المواد المستعملة، و خاصة هذه اللغة أنها في كثير من المفردات أو الأسماء تبدأ بحرف التاء في بداية الكلمة وفي آخرها أحيانا مثلا: تساييت، تبلكوزة، تيمي تمطيط، تيديكلت، تسفاوت، تمسيخت، و من التمور مثلا: تناصر، ترزراي، تنقربوش...¹

فكيف يعقل أن يكون الأصل عربي و الفرع بربري²، و إن المتتبع لتاريخ المنطقة من جميع المناحي يجد أن الكتاب المحليين يقحمون الأصل العربي في كل فصول حياتهم، بحث يرجعون كل البيوتات العلمية و العلماء البارزين إلى النسب الشريف أو الأصل الأنصاري أو إلى الصحابة و التابعين بينما لا يعطون نفس الأهمية للأصل الأمازيغي³.

و أما عن الأصل العربي الذي يرجع إلى فعل واتي أو يواقي أو من لفظة أتوات فإن التعليل ضعيف فأرض الله واسعة و بين ثناياها أراضي أحسن من منطقة توات مواتية للعبادة أو السكنى أو حتى أرضا جذبا تواتي للنفي، فلما لم تسم هذه الأرضيين باسم توات؟ و هذا السؤال يبقى مطروحا لأن إجابته واضحة جلية⁴.

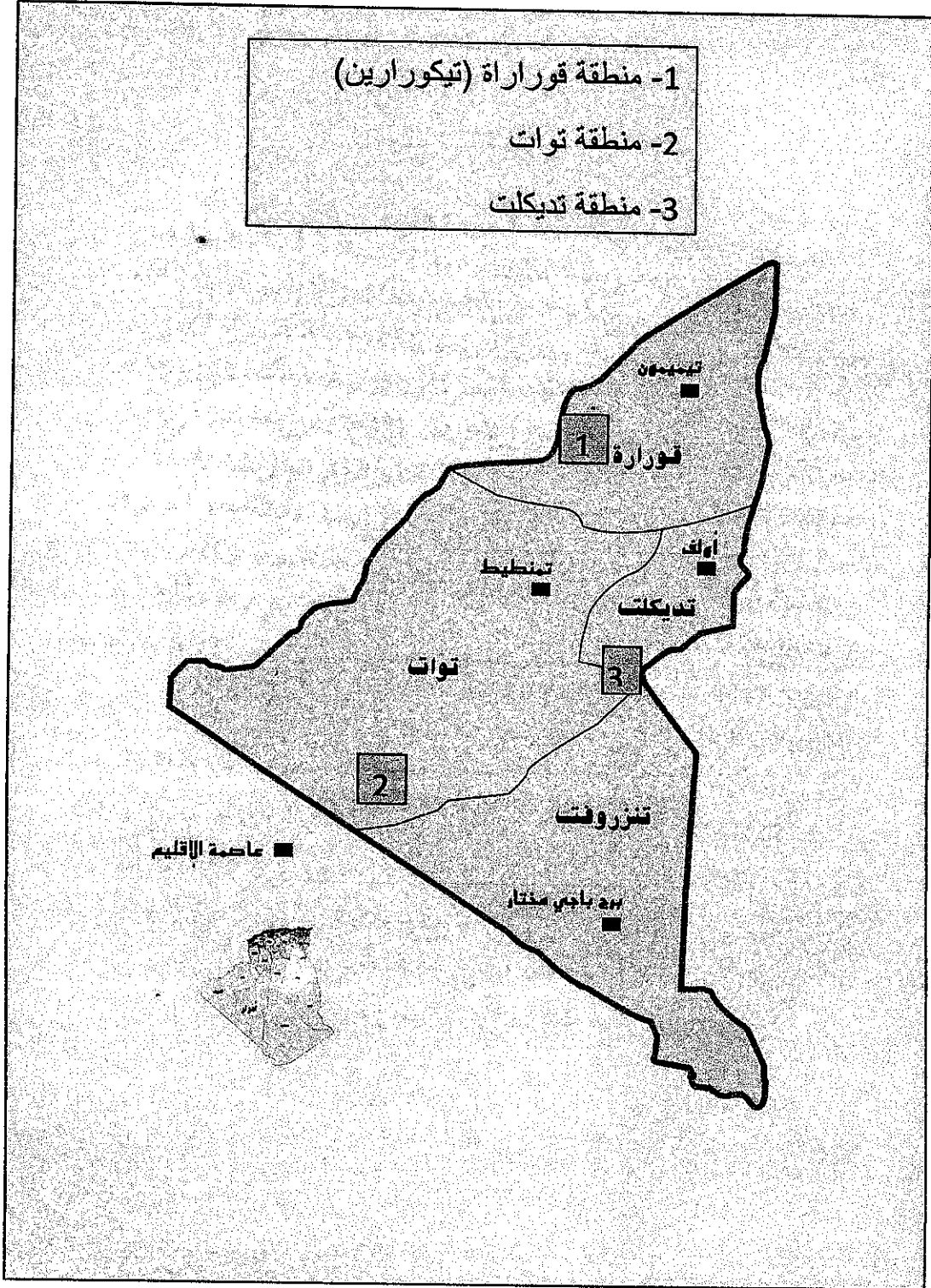
1- محمد باي، بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص ص 29-77.

2- أحمد جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات، مرجع سابق، ص ص 30-31. و ينظر: مبارك جعفري، نفسه ص 30.

3- هذه المسألة أثارت انتباهي وأنا أتابع أنساب العلماء الذين كونوا بيوتات مثل البيت البكري، التلاني، البلبالي الجعفري الزجاجاوي، و غيرهم الكثير، لكن كلهم يعودون بأصولهم الشريفة الحسنية أو الأنصارية إلى أحد الصحابة و التابعين كعثمان ابن عفان رضي الله عنه و أبو بكر الصديق رضي الله عنه و جعفر بن أبي طالب عليه رضوان الله أو عقبه ابن نافع ألحقه الله بالأولياء الصالحين، ولا أحد من المؤرخين المحليين نسب عالم إلى أصله البربري الأمازيغي.

4- أحمد الحمدي، محمد عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية بتوات، ماجستير، إشراف، د: بن نعيمة عبد الحميد قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999، ص 6.

الشكل رقم: 01 خريطة توضح المناطق الثلاثة لإقليم توات¹.



1- نقلا عن دليل المخطوطات لولاية أدرار بتصرف.

2- دراسة جغرافية للإقليم.

لتحديد موقع توات الجغرافي تواجهك مسألة تضارب الآراء بين المؤرخين، الوافدين أو المحليين مما يجعل تحديد الحيز الجغرافي صعبا نوعا ما¹ و لذلك نستعين بذكر أقوال الرحالة و الجغرافيون في التعريف بالإقليم.

إن مرد ذلك يرجع إلى اتساع مساحة الإقليم، فهو يضم ثلاث مناطق، تيكورارين توات الوسطى، تديكيت، و كل منطقة تعد وطن لوحدها، إضافة إلى أن كل مؤرخ وصفها من الجهة التي ولج منها.

فها هو ابن بطوطة يصفها أثناء عودته من مالي سنة 133م- 754هـ قائلا: "... وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة، إذ لا يوجد بين تكدا و توات و دخلنا بودة و هي أكبر قصور توات و أرضها رمال و سبخة..."².

ويذكرها المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في مؤلفاته أن بلاد توات كانت قصورها تناهز المائتين أو تزيد، و هي آخذة بين الغرب إلى الشرق، و آخرها من جانب الشرق تمنطيط بينما أعلاها من ناحية الغرب بلدة بودة³، مما يفيد أن حدود بلاد توات حسب ابن خلدون أواخر القرن 8هـ - 14 م (783هـ - 1381م) كانت منحصرة بين تمنطيط شرقا إلى بودة غربا. أما أبو سالم العياشي فيذكر وصفا دقيقا للمنطقة شمالا، بحيث يجعل قرية تسايت أول مدخل للإقليم

1- حاولت تحديد إقليم توات جغرافيا اعتمادا على المصادر و المراجع، فوجدت اختلافات كثيرة حتى مؤرخي المنطقة كصاحب نقل الرواة و نسيم النفحات و درة الأقاليم الذين في غالبيتهم يعتمدون على ابن خلدون و أبو سالم العياشي والأمر نفسه في المراجع مما يجعلنا نتأكد أن الحيز الجغرافي للإقليم فيه اختلافات.

2- ابن بطوطة، تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، ج1، ط1، دار صادر، بيروت، 2001 ص ص 406-407.

3- عبد الرحمن، ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص ص 202-203.

قائلا "... ودخلنا أول عمالة توات و هي قرى تساييت وزرنا أول قرية منها قبر الوالي الصالح سيدي محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس..."¹.

مما يجعل المؤرخون يتفقون على أن "تساييت" هي أعلى منطقة في الأقاليم المحاذية لعرق الكبير²، هو قول أحمد القيسي سراج: "... و دخلنا أول عمالة توات وهي قرى تساييت و زرنا أول قرية منها، قيل الوالي الصالح سيدي محمد المعروف بعريان الرأس و أقمنا فيها ستة أيام..."³.

وأما الفشتالي فيذكر أن الإقليم واسع المجال و أقرب للسودان، و يجعل وصفا لبعض أقطارها و هذا قوله: "... هذا الإقليم المفروع على قطر توات و هو أوسع وطننا و أفصح مجالا و أقرب للسودان اتصلا و جورا، و إلى قطر تيكورارين و هي أعظم الأقاليم اشتهارا و أعرف نقيبا و أشد شوكة..."⁴.

أما محمد بن عبد الكريم التمنطيبي فيقول: "... توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل و أشجار و عيون بينها و بين سجلماسة ثلاثة عشر يوما، و من بلاد الزاب عشرة أيام شرقا و من ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع إسراعا..."⁵.

1- أبو سالم العياشي، رحلة العياشي- ماء الموائد، تح: محمد حجي، ج1، ط1، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1397هـ/1977م، ص 20.

2- العرق-"Erg" و هو المساحة المغطاة بالكثبان الرملية، و هو سلسلة من الرمال العالية و هناك عدة أسماء لقمم العرق منها المرتفعة تعرف بالغرد و جمعها غرود، و المنخفضة قليلا ب "زلمة" و الصغيرة تعرف ب "سيوف" مفردا سيف. ينظر: براهيم، العيد بشي، تاسيلي ناجر الخصائص الطبيعية و البنية الجغرافية، سلسلة البنية الجغرافية و الحضارة لمنطقة تاسيلي- ناجو، ج1، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2008، ص 140.

3- محمد بن أحمد القيسي، السراج، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس المغرب، 1970، ص 28.

4- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم، كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، المغرب، 1972، ص 73.

5- البكراوي، درة الأقلام، مرجع سابق، ورقة 01.

عموما يتفق الجميع أن الإقليم توات إقليمي جغرافي واسع المجال يتكون من ثلاث مناطق كل منها متسعة المساحة، ويلمحنون أن اسم توات هو أسم الجزء الذي عمم على الكل. جغرافيا يحدد الإقليم - توات- بالعرق الغربي الكبير شمالا و جنوبا صحراء تنزروفت و هضبة مويندرا¹، و شرقا العرق الشرقي الكبير، أما فلكيا فينحصر الإقليم بين دائرتي عرض 20 و 30 درجة شمالا وبين خطي طول 4 و 1 درجة شرقا².

تضاريس الإقليم³:

أرض توات صحراوية كما هو معلوم، تكوينها الجيولوجي قديم، حيث يبدأ منذ ما قبل الزمن الرابع⁴ مما أكسبها بنية صخرية قوية ساهمت بشكل كبير في التأثير على نوع و تنوع المظاهر الطبيعية أرضها تتكون من رواسب فيضية، تميزها هضبة تادميت ذات صخور الكريتاسية⁵ و صخور صلبة تعود للعصر الديفوتي الأسفل المكونة لجبال كرزاز غرب حوض الساوره. تتنوع تضاريس المنطقة من العرق و الرق و الحمادة، الواحة و السبخة و الوديان الجافة بحيث يحيط بتوات العروق الكبرى و الثانوية من ثلاث جهات، الشمال و الشرق و الغرب و العروق سطوحها عالية واسعة تغطيها كثبان الرمال ذات رواسب، فنجد العرق الغربي الكبير في

- 1- هضبة مويندرا: و تكتب هضبة مويدير، و هي هضبة ذات صخور الديتونية تكون الحدود الطبيعية لسهل توات ينظر: محمد بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 1، ص 27.
- 2- فرج محمود، فرج، إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م، مرجع سابق، ص 1.
- 3- لتوضيح ملامح تضاريس ينظر الشكل رقم 02، ص 31.
- 4- يقصد بما قبل الزمن الجيولوجي الرابع أن البنية الصخرية لأرض توات قديمة يمكن إرجاعها إلى زمن الأول مكونة للقاعدة السفلى للطبقات الرسوبية التي تكونت عليها عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلتها، ثم نجد صخور الزمن الثاني تسمى صخور عصر الكريتاسي الأوسط الممتد على الجانب الرقي إلى أن نصل إلى صخور الزمن الرابع في العصر الديفوتي الأسفل و الأوسط، ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 1، ص ص 27-28.
- 5- محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ص 28.

الشمال، و العرق الشرقي في الشرق، و عرقين ثانويين من الغرب¹، و هما عرق الراوي عرق شاش².

أما الرق فهو سهل صحراوي عاري لا تغطيه الرمال، منخفض يغطيه الحصى، يعد الرق ملجأ و مسكنا للرياح القوية، لذلك يعتبر من أصعب المسالك الصحراوية حتى على الجمال وأدق مثال هو رق تنزروفت³

أما الوديان فالحديث عنها غني جدا قد أفاض فيه مؤرخي المنطقة معتمدين في ذلك على ابن خلدون و أبي سالم العياشي، كما نجد أن بعضهم يختلفون في أسماء تلك الأودية أو في بعض حروفها كل حسب طريقة نطقه، لكن كلهم يجمعون أن تلك الأودية بفروعها تنبع من الأطلس⁴. فأكبر الأودية المذكورة هو وادي "قير" أو "جيز" و هو المذكور عند ابن خلدون و العياشي وأنه أصل أو منبع وادي الساورة، و هو أكبر من وادي ملوية في آخر المغرب الأقصى تم يتجه بعد انحداره للقبلة ثم يشرق بعض الشيء ليقطع العرق الغربي الكبير إلى أن ينتهي إلى بودة ثم تمنطيط⁵.

وأما واد الساورة فينبع من التقاء الوديين "زوزفانة" و وادي "قير" في إقليم ليتجه إلى الجنوب الشرقي "قورارة"، المنطقة بين إقليم و تيكورارين تملؤها القرى و القصور حول الواحات التي تتغذى

1- عبد الله، حمادي، صحراء وادي الساورة، تاريخا و مناقب و بطولات، ج 1، ط1، دار بوسعادة للنشر و التوزيع الجزائر، 2013، ص ص 12-18.

2- عرق شاش: هو كئبان رملية صحاري محاذية لقصور توات الوسطى من الغرب حتى أنها اختلطت بكئبانته، كقصور بودة ينظر: مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص ص 32-33.

3- الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، د.ت، ص ص 18-19.

4- من مؤرخي المنطقة الذين ذكروا هذه الوديان معتمدين على تصنيف ابن خلدون و أبو سالم العياشي و غيرهم، هم ابن عبد الحق التمنطيطي في درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 05، محمد بن مبروك، نقل الرواة عن أبداع قصور توات مرجع سابق، الورقة 20، أحمد الطاهري، نسيم النفحات، مرجع سابق، الورقة 05.

5- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص ص 81-203، ينظر أيضا الرحلة العياشية، مصدر سابق ج1 ص20.

بالمياه الجوفية في منبسط الساورة، و تفجرت عيون كثيرة¹. أما الحسن الوزان فيصف وادي قير قائلا: "...نهر نابع هو الآخر من الأطلس يسيل نحو الجنوب عبر مفازات و يمر بمنطقة أهلة بالسكان تدعى بني قومي و يتوغل وراءها في القفر ليتحول أخيرا كذلك إلى بحيرة² في وسط الصحراء..."³.

و الحديث عن الوديان يدفعنا للحديث عن السبخات ذات المياه الراكدة و المالحة لأن معظم السبخات تأتي في مصب بعض الوديان، فوادي مقيدون ينتهي بسبخة تيكورارين و وادي مسعود ينتهي بسبخة أزل ماني، أما وادي غاريت فينتهي بسبخة مكرغاغ⁴. كما يؤكد صاحب النفحات و معظم مؤرخي المنطقة أن معظم قصور توات على مجرى وادي قير و أن السبخة التي بين تيمي و تمنطيط إلى تامدانيين من بلاد رقان، كانت تقطع بالسفن⁵

-
- 1- روس، ادن، المجتمع و المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، 1881-1912، تر: أحمد بوحس، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2006، ص ص 33-35.
 - 2- عن تلك البحيرة يتحدث مارمول كارخال: "...و تشمل هذه المنطقة على بعض جبال الأطلس و وادي كير (قير) و تنتهي ببحيرة يسميها بطليموس (بطليمس) بحيرة كيلونديا و تحدد ب 43 و 20 دقيقة على الطول..." ينظر: مارمول كرخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، مطابع المعارف الجديدة، المغرب، 1988-1989، ص 160.
 - 3- حسن الوزان، وصف إفريقيا، تح: محمد حجاج و محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ص 255.
 - 4- عبد الله، حمادي، وادي الساورة، مرجع سابق، ج 1، ص ص 12-15. نقلا عن أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات، مرجع سابق، الورقة 05، و يضيف المؤرخ محفوظ بن ساعد بوكراع في مؤلفه تعريفا للسبخة قائلا أهمها أزل ماني جنوب رقان، سبخة مكرغان بتيديكلت، يصب فيها كل من وادي أسوف و وادي الحمامات، سبخة تيميمون و سبخة تمنطيط، ينظر: محفوظ بوكراع الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، ط1، دار الكتب، لبنان 2016 ص 10.
 - 5- مولاي أحمد الطاهري، الإدريسي، نسيم النفحات، مرجع نفسه، الورقة 06، ينظر أيضا: محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، درة الأفلام، مرجع سابق، الورقة 03.

ومن تضاريس الصحراء الحمادة¹ و المتمثلة في مرتفع على شكل هضبة صخرية تغطيها صحور
جيرية على طبقات وصفائح²، حمادة تادميت على ارتفاع ستمائة متر، ممتدة بين دائرتي عرض
27 و 30 درجة شمالاً³ مع حدود تندوف الحالية جنوباً، ينبع منها وادي شاش و يختفي في عرق
شاش، و يصل أقصى ارتفاع بها 738م⁴.

-
- 1- الحمادة: هي هضبة كريتاسية تكونت في الزمن الثالث، غالباً ما تحدها منخفض كبير يمتد بين هضبتي التاسلي في الشرق و تادميت في الغرب ممتد حتى الأطلس الصحراوي، يعلو فوق التكوينات القارية التي تتألف منها الحمادة، ينظر: رمون فيرون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ص ص 38-39.
 - 2- محمد باي، بلعالم، مرجع سابق، ج1، ص 29.
 - 3- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 هـ - 13 هـ / 18-19م- دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2007-2008، ص ص 34-35.
 - 4- محفوظ بوكراع، الفرقد الثائر، مرجع سابق، ص 10.

طبيعة المناخ:

إن تنوع الخلفية الجغرافية للإقليم من حيث التضاريس و البنية الصخرية¹ ستؤثر حتما على طبيعة المناخ الصحراوي و هو عموما يتميز بالصعوبة و القسوة، يتضح ذلك في الفارق الكبير بين درجة الحرارة، حيث ترتفع إلى 50 درجة و تنخفض إلى 02 درجة تحت الصفر ليلا²، مما يجعل للصحراء عموما خاصية مناخية تنفرد بها عن باقي الأراضي الأخرى.

وتختزل الفصول الأربعة إلى فصلين اثنين، صيف حار و جاف و شتاء قاسي³، إضافة إلى عامل الرياح ذات الطابع العكسي السريع و التي قد تصل إلى العواصف⁴ التي تنقل الكثبان الرملية من مكان إلى آخر، مما يجعل مسالك و طرق الصحراء صعبة شاقة تحتاج إلى دليل خبير.

1- يقصد بالبنية الصخرية الخريطة الجيولوجية الجزاءة إلى أجزاء يصنفها الباحثون بالصخور القديمة و التي تكون قاعدة سفلى للطبقات التالية: رسوبية تكونت بعد الزمن الأول تظهر على الخط ألكساري الغربي الممتد على حوض وادي الساوره و الشرقي الممتد جنوب شرق الغرق الكبير، صخور الزمن الثاني و الزمن الرابع و التي تظهر في شكل سبخة شرق تاسفاوت و شرق شروين ينظر: Emille-felix, Gautier, le Sahara oranais, Paris: A, colir, 1903, P 235، ينظر أيضا: بودوايه مبخوت، العلاقات التجارية و الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص ص 238-240.

2- إسماعيل، العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 1.

3- يمتاز المناخ المنطقة كلها بمناخ صحراوي قاري جاف شديد البرودة شتاء و شديد الحرارة صيفا و هي ميزة تختص بها كل الصحراء العربية لأنها منطقة سفلى تبلغ الحرارة فيها الدرجة القسوى 50 درجة شهر جويلية و الدرجة المتوسطة 40 درجة. ينظر:

Moulias, Daniel, Organisation hydraulique de oasis sahariennes, Alger, 1972, P 19.

4- إن الرياح العكسية السريعة في الصحراء تتمثل في الرياح الشرقية التي تعرف باسم "Sirocco"، و هناك رياح عاتية أو جنوبية جافة تسمى بالشهيلي و محليا اعرف بـ "أريفي" و هي المسببة في الزوايع الرملية. ينظر: أحمد حمدي المرجع السابق، ص 09، خير الدين شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحية في توات و السودان الغربي، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان، 2011، ص 03 إبراهيم العيد بشي، تاسلي ناجر، مرجع سابق، ص 90، زهراء بوكرايلة، الرحلة التجارية بين إقليم توات و السودان الغربي و دورها في تمكين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7هـ - 10هـ / 13م - 15م، رسالة ماجستير، إشراف د. مبخوت بودوايه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2011، ص 31. ينظر: بحية عبد المؤمن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18-19م، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية وهران، 2006، ص ص 04-03.

3- دراسة عامة لقصور حواضر توات:

إن ما يميز الواقع الاجتماعي لأرض توات، اعتماده على عمارة القصور التي تميز الطابع المعماري الصحراوي، يتماشى مع طبيعة المناخ و يدل على تأقلم الإنسان بالمكان و يؤكد بذلك مقولة الإنسان ابن بيته التي فرضت على تلك التجمعات السكنية شكلها ومورفولوجيتها مما يجعلنا نربط بين الواقع الطبيعي و المنطق العمراني و بالتالي النسق التاريخي، بحيث يقول عنها مارك يصف مارك كوت: "هذا الصنف من المدن يخضع من جهة إلى مناخ قاحل و من جهة أخرى إلى مساحات خالية، هذان الطرفان يكسبانهما خصوصية كبيرة"¹، يعتمد الإنسان التواتي على المعطى الطبيعي المحلي الطوب و الحجارة مدعمهما بخشب و جريد النخيل².

و المعنى المتعلق بكلمة قصر أو قصور في الصحراء تفيد الحي السكني أو نسميها القرية التقليدية³ أو الوحدة الإدارية تتكون من منظومة الفقارة و الواحة، و البناء السكني محصن و محمي بسياج أو بسور أو بحصن، غالبا ما يكون أهل القصر تجمعهم قرابة أو تنتمي إلى أصول عرقية واحدة، تنطق كلمة قصر بقاف معقوفة باللهجة المحلية⁴.

غالبا ما تشيد القصور على الواحات و في روابي الصحراء أو في مرتفعات عالية مراعاة للأمن من التدخلات الخارجية أو الكوارث الطبيعية كالسيول و الفيضانات⁵.

اعتمد أهل توات في بناء القصور على الطوب و الطين متخذة أشكال مختلفة منها المربعة و هي التي شيدتها القبائل العربية و منها الدائرية و التي يرجعها المؤرخون إلى اليهود على شكل

1- مارك، كوت، اختار فضاء، اختيار مجتمع، مجلة معالم المدينة و تنظيمها الحضري، دار النشر ماري فور، 1999 ع: 03، ص 226.

2- محمد، عبد الكريم، الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية أدرار، آليات التنظيم و الأداء المجالي، مذكرة ماجستير في الجغرافيا و التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض و الكون، إشراف عثمان طيب، جامعة وهران 2، 2016، ص 37.

3- محمد عبد الكريم، مرجع سابق، ص 33.

4- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 50، عبد الله حمادي، الصحراء الساورية، مرجع سابق، ج 1، ص 74 و ينظر: أحمد جعفري، من تاريخ توات، ط 1، منشورات الحضارة، 2001، ص 585.

5- خير الدين شترة، مرجع سابق، ج 1، ص 118، حساني مختار، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ج 5 مرجع سابق، ص ص 64-65.

قلاع¹، كلهما تشعرك بإتقان هندسي من غير مهندسين أكسبتهم الطبيعة معرفة جغرافية تناسب مع الإنسان و المكان.

تحمل تلك القصور أسماء في غالبها بربرية زناتية كقصر تازولت - تساييت - تيلكوزة - تيهي، و غيرها أو قصور تنتسب لولي صالح² كقصر أولاد أوثن أو قصر عريان الراس قصور عين صالح.

أو تنسب إلى اتجاه القصر كقصر قبلي الجنوبي و القصر الزعراني الشمالي أو تنسب إلى قبيلة أو جنس كقصر أولاد يعقوب و أولاد أحمد و أولاد داود...³.

كما أنه تستبدل كلمة قصر بالقصبة و التي لها نفس المعنى القصر لكن غالبا ما تكون المجمعات السكنية محاطة بسور و خندق أخذين في عين الاعتبار عامل الأمن الذي يقتضي إحباط محاولات الاعتداء إضافة إلى توفير عامل الماء الذي يعد حجرا أساس لبناء القصر أو القصبة⁴.

تتمركز غالب القصور على ضفاف وادي مسعود و تعتبر عن الاستقرار و الاستقلالية في تسيير شؤونها الاجتماعية و الاقتصادية و الدفاعية⁵. خاضعة لهيئة محلية سواء أهل الجماعة

1- محمد، عبد الكريم، الشبكة العمرانية، المرجع السابق، ص 35.

2- محمد باي، بلعالم، ج 1، 23، ينظر أيضا: تياقة، الصديق، النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفة، مقارنة أنثروبولوجية لقصر تمنظيط، رسالة ماجستير علم الاجتماع أنثروبولوجيا، جامعة وهران، 2006، ص 76.

3- محمد، عبد الكريم، مرجع سابق، ص 34. ينظر: محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 1، ص 17 ينظر: تقييد ما اشتمل عليه إقليم تواتر من الإيالة السعيدة من القصور و وثائق أخرى، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/1961م ص ص 02-03.

Gerhard Rolrefs, Voyages et exploration au sahara, Draa, Tafilet, sud orenais, tout tidikelt- Rhedames, 1861-1864, P P 216-219.

4- محمد، عبد الكريم، مرجع السابق، الورقة 34 و ما بعدها. ينظر: باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 1، ص 07.

5- علي حملاوي، قصور منطقة جبال عمور، السطح الجنوبي، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، كلية العلوم الإسلامية جامعة جامعة الجزائر، 1999، 2000، ص 59. ينظر: محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 16.

أو الزاوية أو القضاء، و عن القصور تحدث كل من ابن خلدون و العياشي و الفشتالي و ابن بابا حيدة معبرين عن خصوصيتها و كثرتها و عمارتها و بسالة أهلها في حمايتها¹.

فهذا قول ابن خلدون عن القصور التواتية: "...فمنها ثلاثة مراحل قبله سجلماسة و يسمى وطن توات، و فيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب..."² ثم يواصل واصفا أحدهم القصور قائلا: "... و آخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيط، و هو بلد مستبحر في العمران..."³.

إن الاستقرار الذي عم الإقليم جعل أهلها يعتمدون بتشديد المدن و تعميرها حتى أضحت تلك المدن من الحواضر الصحراوية مثل تميمون- تمنطيط- تساييت- أولف... و غيرها من الأقطار. و بما أن جميع مؤرخي المنطقة يؤكدون أن إقليم توات اسم الجزء الذي عمم على الكل أي أنه يتفرع إلى ثلاث مناطق (تيدلكبت- توات- تيكوراين⁴، فلا بد أن نتبع مسارا ممنهجيا يعتمد على تعريف كل منطقة على حدى ثم نعرف بقصورها أو أهم حواضرها.

1- ذكرها ابن خلدون عندما تحدث عن قصورها في زمنه (ت 783هـ 41) أنها تناهز المائتين و إن قصور تيقورارين كانت تقارب المائة قصر. ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص77 و ذكرها العياشي عند مروره بما أثناء رحلته إلى الحج حين وصف مسألة غلاء الصرف في تافيلالت، و انه أرخص في بلاد توات واصفا الحالة الاقتصادية للمنطقة، رحلة العياشي، مصدر سابق، ج1، ص79، لمعرفة خط سير رحلة الحج العياشي ينظر الشكل رقم:25، الصفحة 324. ينظر أيضا: عبد الرحمن بعثمان، حملة المغيلي عن يهود توات و أثرها على الواقع الحرفي في المنطقة، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع:04، جوان 2013، ص 124.

2- عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 78.

3- نفسه، ج6، صفحة نفسها

4- هناك جدال وقع في مسألة تعميم اسم توات على المناطق الثلاثة، بحيث يعرض أحد الباحثين رأيا منافيا مستدلا بالشواهد المصدرة، فيرجع ذلك التعميم إلى تيارات استعمارية من خلال الباحث الفرنسي مارتان في كتابه ثلاثة قرون من تاريخ المغرب الذي استفاه من تقايد ورسائل مخزنية صدرت من السلطة العلوية، فقد كان العلويون أول من أطلق هذا الاسم من خلال تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة الصادرة عن القصر الملكي سنة 1962، أما المصادر التي اعتمد عليها فهو ابن خلدون و ابن بطوطة والذين يجعلون كل منطقة وطن منفرد عن الآخر. ينظر عبد الرحمن بعثمان القضاء في منطقة توات، أطروحة دكتوراه من جامعة وهران، إشراف، محمد بن معمر، سنة 2015-2016 ص ص 54-67.

1- منطقة تيكورارين:¹

يطلق على هذه المنطقة أسماء مختلفة مثل تينجورارين و تقرأ بقاق معقوفة أو تينكورارين أو يسمونها قورارة أو تكورارين كما وصفها الوزان مثلا حيث قال: "التكورارين منطقة مسكونة في صحراء نوميديا تبعد مائة و عشرون ميلا تقريبا شرق تساييت حيث يوجد حوالي خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية لأن عاداتهم الذهاب كثيرا مع بضائعهم إلى بلاد السودان حيث يغتنمون أرباحا كثيرة، هنا يقع خط رأس القوافل"².

ويصفها عبد العزيز "الفشتالي" بتيكورارين قطر توات أوسع وطنا و أوسع مجالا و أقرب للسودان اتصالا و جورا، و قطر توات تيكورارين هو أعظم اشتهازا و أعرف نقيبا و أشد شوكة و أحسن جانب"³.

تقع تيكورارين شمال إقليم توات ثم تنحدر نوعا ما إلى الشمال الشرقي بحيث يحدها شمالا العرق الغربي الكبير، أما جنوبا نجد هضبة تادميت، و أما شرقا فالخوض الشرقي لواد الساورة، غربا منطقة توات الوسطى⁴، أما أهم قصورها فهي تيميمون، تركوك⁵، أقروت شروين⁶، تساييت

1- تينجورارين أو قورارة التي تعني بالعربية المعسكرات أو المخيمات و كلمة أجرو أو أقر باللسان الزناتي يطلق على الحفرة للزرورة وسط الرمال. ينظر: تياقة، الصديق، نمط العمارة القصورية و مراحل الاستيطان البشري بإقليم توات أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة أدرار و تيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار، أبريل 2009، ص 109.

2- حسن الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج 2، ص 505.

3- عبد العزيز فشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 73.

4- حامد، لين إبراهيم، أهمية الفقارة في النشاط الزراعي بإقليم توات في القرن 13/19م، مجلة آفاق علمية، ع:11، تمغست، جوان 2016، ص 11.

5- تركوك: تضم زاوية الدباغ، تاغنطاس، تابلوكوزة، عين حمو، فاتيس، ودغاغ، و المجموعة ثمانية قصور. ينظر: محمد بلعالم الرحلة، مرجع سابق، ج 1، ص 17.

6- شروين: يضم قصر تاوريرت بني يسلم، تاسفاوت، أجدير الغربي و الشرقي... و المجموعة ستة و عشرون قصرا. ينظر: محمد بلعالم، نفسه، صفحة نفسها.

وغيرها، ولكل منطقة من مناطق الإقليم لها عاصمة، أما باقي القصور فتتجمع فوق هضبة أمقيدون، حيث تتجمع في منخفض منه سبخة أمقيدون و هي غنية بالمياه الجوفية¹، لذلك فسنحاول جاهدين التعريف بأهم حواضر هذه المنطقة مستهلين ذلك في التعريف بتيميمون.

مدينة تيميمون².

تعتبر من أقدم مدن توات و أهمها واقعة على الطرق الرئيسية التي تربط بالسودان الغربي اعتبرت أيضا عاصمة لتيكرارين، يطلق عليها اسم الإقليم القوراري، حيث شكلت قلب الصحراء النابض، ذكرت عند الفشتالي برسم تيميمون في مناهل الصفا و هو يصف بشدة بسالة أهل تيميمون في الدفاع عن أسوار المدينة³.

وعن معنى تسميتها بهذا الاسم تذكر الروايات الشفوية أنه مستمد من اسم أحد الأخوين الذين التجأ إليها طالبين الأمان من أهلها و اسم احدهما ميمون، فاستقبلا بحفاوة من أهل البلاد فرغب ميمون أن يطلق اسمه على البلاد⁴.

فبقيا الأخوين فيها حتى مجيء الوالي الصالح سيدي موسى بن مسعود (ت 920هـ/1514م)، فدعاها هذا الشيخ لبناء حصن منيع على البلاد، و منذ ذلك الحين توحدت قبائل تيميمون الزناتية و العربية و كونوا سوقا عامرا موازي لسوق اليهود هناك لتصبح

1- مبارك، جعفري، مرجع سابق، ص ص68،67

2- اعتبرها عبد الرحمن بن إدريس التلياني (ت 1233هـ/1818م) قاعدة قرى قورارة. ينظر: عبد الرحمن بن إدريس التلياني، الرحلة من توات إلى الجزائر، نسخة من مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البليالي، كوسام، أدرار، الورقة 01، ثم وصفها ابن الدين الأغواطي بالمر الهام للرحل نحو الشمال... منازلها متراسة مبنية بالطوب و الطين... نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 257.

3- عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 76.

4- ينظر: مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 51. ينظر: الصديق الحاج، أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هجري إلى القرن 14 هجري، ط1، الجزائر، 2003، ص 60.

مدينة تساييت:

تعد من أهم مدن الإقليم و أقدمها، تضم مجموعة قصور أهلها أغلبهم من قبائل زناتة¹ احتطوا بها المنازل و القرى، تتوسط العديد من القرى التواتية، فمن الشمال الشرقي قصور الدغامشة ومن الجنوب تيمي، و الجنوب العربي بودة، أما الشمال العربي فمنطقة تبلبالة و شمالا منطقة الساورة².

ذكرت في كتب المؤرخين كحسن الوزان و أبو سالم العياشي، حيث قال هذا الأخير: "و دخلنا أول عمالة توات و هي قرى تساييت ووزنا أول قرية فيها قبر الوالي الصالح سيدي محمد عريان الراس"³.

ثم يصفها حسن الوزان يرسم تساليت قائلا: "... إقليم مأهول في صحراء نومديا على بعد مائتين و خمسين ميلا شرق سجلماسة و مائة ميل من الأطلس، تضم أربعة قصور و قرى عديدة في تخوم ليبيا على الطريق المؤدية من فاس و تلمسان إلى مملكة أكدز في بلاد السودان سكانه فقراء جدا لا تنبت أرضهم غير التمر و قليل من الشعير، بشرتهم سوداء إلا أن نسائهم جميلات سمراوات..."⁴.

1- من القصور، قصر عريان الراس، برينكان، حماد، عمور، الأعيان، فجلان، الهيلة، لقرارة. ينظر: أحمد بن محمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبالية الرقانية في التعريف بالأسر البلبالية الرقانية - بمنطقة تساييت-، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 201، ص 16.

2- أحمد بن محمد بن حسان، المرجع نفسه، ص 15. يقصد بمنطقة الساورة القصور التابعة لإقليم فيحيج الواقع شمال إقليم توات من أهم قصورها كرزاز، بني عباس...

3- أبو سالم، العياشي، الرحلة العياشية، مصدر سابق، ج1، ص 20.

4- حسن، الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج1، ص 133.

قصر عريان الراس:

من أهم قصور تسايت و هذا القصر يشكل بوابة توات الشمالية و هو قدم النشأة عرف باسم "إيفلان" بمعنى الفقاير ثم تحولت اسمه إلى قصر عريان الراس في القرن الحادي عشر ستة للوالي الصالح المتوفى سنة 1014هـ/1606م¹.
قصر برينكان:²

هو أيضا من أهم القصور في تسايت، يرجع تسميتها إلى القبائل التي استقرت فيها و هم "بني ركان" وصفها جيرهارد رولف حين وصف سوقها بالكبير أكبر من سوق بوعام الذي يقام في تافيلالت، مشيرا لأهمية المنطقة تجاريا و ينشطها الاقتصاد آنذاك³.
قصور تيلكوزة:

تضم أكثر من أربع عشر قصرا منها: زاوية دباغ، ودغة، نزيلزة، أنكل، ابن عيسى سيدي سيدي منصور، حيحا و غيرها، تتميز بكثرة مياهها الجوفية من السطح، حيث توجد على عمق أربعة لأمتار مما يجعل السكان يهتمون بحفر العديد من الآبار⁴.

2- منطقة توات الوسطى:

يطلق عليها أسماء كثيرة "تسوات" أو "توات الحنا"، "توات الصغرى"، أو "توات الأصل" واقعة في الجهة الغربية بالنسبة للجهات الأخرى و كأنها مقبض السهم في القوس، تعد من بين أهم المناطق المكونة للإقليم التواتي الكبيرة، عاصمته مدينة تمنطيط لعدة قرون ثم تنتقل الولاية لتيمي في القرن الحادي عشر هجري، تمتد من نهاية منطقة تيكورارين إلى الحافة الشرقية لوادي مسعود شمالا

1- ينظر: العياشي، الرحلة، المصدر نفسه، ج1، 20، الشجر المرجانية، المرجع السابق، ص 146، محمد الصالح، حوتية ج1 مرجع سابق، ص 40.

2- محمد، قومي، دور الطائفة اليهودية، بتوات خلال القرنين 9 هـ - 10 هـ/ 15م - 16م، رسالة ماجستير إشراف غازي الشمري، جامعة وهران، 2013-2014، ص 65.

3- أحمد بن محمد، بن حسان، الشجرة المرجانية، المرجع نفسه، ص 146.

4- محمد، صالح، حوتية، توات و الأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 29.

إلى الجنوب الغربي، تحده غربا واد الساورة الذي ينحرف إلى وادي مسعود. جنوبا منطقة تيدبكلت مع هضبة تادميت من الشرق تضم عشر قصور: بودا - بودة تيمي، تمنطيط، بوفادي، تسفاوت تامست، سالي، رقان...¹.

مدينة تمنطيط:²

تعد من أهم و أكبر المدن و أقدمها، وقع عليها الاختيار لتكون مركزا للرئاسة و العمارة و التجارة أيضا بل حتى دار للقضاء³، يجدها من الشرق مدينة تيميمي، جنوبا قصور بوفادي، أولاد الحاج⁴. اعتبرت من أهم المراكز التجارية التي تربط الشمال بالجنوب و الشرق بالغرب لذلك كانت محط عبور و راحة للتجار و مراكب الحجيج⁵، و قد بلغت من الأهمية شأننا كبيرا فذكرت في معارض كتب المؤرخين المتقدمين و مؤرخ المنطقة بن بابا جيدا الذي خط لأجلها مؤلف سماه: "القول البسيط في أخبار تمنطيط"⁶، و من اجمل ما قال فيها ما يلي: "... فاعلم أن أن تمنطيط اسم لمدينة في اقليم توات، و هي بها قاعدة، اجتمع فيها العلم و الإمارة و الديانة و الرياسة و انتصبت بها الأسواق و الصنائع، و التجارات و البضائع، و كاد لا يستغنى عنها بني

1- يقول محمد الصالح حوتية أن هذه التسمية ترجع إلى الولي الصالح الشيخ سليمان بن علي عندما حل بالمنطقة. حين ذكرت توات من شيخه ابن حزم الذي أمره بالسفر إلى توات ينظر: حوتية، السابق، ص 32.

2- هي كلمة بربرية مركبة من كلمتين: ثما و التي تعني النهاية، و تط و التي تعني العين، و البعض الآخر يرى أن ثما تعني الحاجب بمعنى الحاجب و العين. ينظر: محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ص 50.

3- المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، سنة 16، ع: 94- جويلية- أوت، 1986، ص ص 74-83.

4- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 54.

5- فرج محمود، فرج، مرجع سابق، ص 27..

6- ابن بابا، حيدة، محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 14.

ولا زاهد، لما فيها من الدين و البركات و المناقع و الحاجيات فهي مورد الركبان، ومحشر العربان و رئيسة البلدان...¹.

إن كلام ابن بابا عن تمنطيط جامع مانع، يجمع حسها بالفضائل و يمنع عنها كل مضرة و رذائل، يعرفها من حيث أنها مركزا و سوقا للتجارة، يأتيها كل صاحب حاجة و كانت محط الركبان يأتيها من كل حواضر الغرب الإسلامي راغبين في الاستزادة من مغافعها و فيض علومها كانت أهلة بالسكان البربر و العربان، ثم يؤكد في بداية و نهاية قوله بأنها كانت قاعدة و رئيسة البلدان لأنها كانت عاصمة توات، يذكرها ابن خلدون واصفا توات مارسته: "... و يسمى وطن توات... آخذة من المشرق إلى المغرب، و آخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط... وهو بلد مستبحر في العمران، و هو محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى مالي..."².

ذاع صيت تمنطيط ما بين القرنين الثامن و العاشر هجريين و سافر إليها جموع العلماء و الشرفاء و الصلحاء من كل مكان مثل القاضي أبو يحيى المنيارى (845هـ/1487م) الشيخ يحيى بن يدير التندلسي الذي قدم عام 845هـ، عبد الله العصنوي عام 875هـ/1477م، المغيلي عام 882هـ/1487م، ميمون بن عمرو بن محمد الباز عام 890هـ/14م³، لكن ما إن حل القرن الحادي عشر بدأ نحم المدينة في الأفول ليتراجع دورها و تحل مكانها مدينة تميمي⁴.

1- ابن بابا، حيدة، المصدر السابق، ص 15

2- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج 7، ص 77.

3- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 57. هذا و يضيف محمد بن عبد الكريم في تقييده الخاص بتمنطيط، أن تمنطيط يضم كم هائل من القصور يجعلها تأخذ الأغلبية من العدد الإجمالي للإقليم مما يجعلنا نستقبل العدد الإجمالي المذكور في الروايات التاريخية. ينظر: محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، تقييد في تاريخ تمنطيط، خزانة أولاد القاضي، تمنطيط الورقة 01.

4- مبارك، جعفري، المرجع نفسه، صفحة نفسها.

يذكر صاحب القول البسيط أن مؤسسي تمنطيط هم بقايا دولة المرابطين اللمتونيين في أوائل القرن السادس هجري¹، اختاروا موقعها في تخوم الصحراء خوفاً و منعته من جيروت السلاطين الموحديين كما يشير أن أول من بنى قصرها هو جده أبو يحيى الميناري نسبة بني مينار العرب المعروفين في أرض التلول و قد عرف قصرهم بقصر الجعافرة و ذكر تاريخ دخول جده الميناري سنة 815 هـ².

قصر تيمي:

يعتبر قلب توات الوسطى في نهاية القرن الحادي عشر و بداية القرن الثاني عشر هجريين³ حين انتقلت إليها العاصمة، بما كثافة سكانية عالية، تتألف من تسعة و ثلاثين قصراً منها تنيلان، ملوكة، كوسام، زاوية كرزاز، أدغال، أولاد نقال، بالربع المرابطين... يعتبر قصر تيمي من أهم القصور الذي تلتقي فيه معظم الطرق التجارية شمالاً و جنوباً، شرقاً و غرباً⁴.

قصر بودة:

من أقدم القصور في الإقليم، ذكرت عند كثير من المؤرخين بحيث اختلف كل مؤرخ في طريقة كتابتها بألف ممدودة أو بتاء مربوطة أو حتى بكسر الدال و إضافة حرف الياء يذكر أن ابن بطوطة قائلاً: "و هي أكبر قرى توات و أرضها رمال و سبخ و ثمارها كثيرة..."⁵.

يذكرها ابن خلدون بهذا الشكل: "... وكانت بلد بودي و هي أعلى تلك القصور بناحية

المغرب من بادية السوس، هي الركاب إلى ولاتن..."⁶.

1- ابن بابا، حيدة، المصدر نفسه، ص 15

2- فرج عمود فرج، المرجع السابق، ص 27

3- الطاهري، المرجع السابق، ص 105. ينظر أيضاً، محمد حوتية، المرجع السابق، ج 1، ص 31.

4- محمد بلعالم، باي، الرحلة، المرجع السابق، ج 1، ص 108، 11، تعني كلمة تيمي: الجبهة باللغة العربية، عماد بلعالم

المرجع السابق، ج 1، ص 11.

5- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج 1، ص 279.

6- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7 ص 77

تعتبر بودة بقصورها ثاني مرتبة بعد تمنطيط في عمارتها في القرن الثامن، هذا ما رجح إليه الشيخ أحمد بن يوسف أنها مجزأة إلى جزئين: بو: وتعني الماء. ودا: تعني هنا و حين فتصبح الكلمة تحمل معنى الماء هنا¹.

تجمع المدينة ثلاثة عشر قصرا منها: القصيبة، العمارة، أولد عيش، زاوية سيدي حيدة المنصور، زاوية بني ورا...².

قصور زاوية كتنة:

تعرف بقصور أولاد حمو بلحاج، بدأ القصر أولا كزاوية أسسها الشيخ محمد الكنتي (ت 1063هـ/1653م) المعروف بالرقاد الكنتي³ نسبة لقبيلة "كتنة" التي تعود بأصولها للقائد بن نافع الفهري⁴.

وقد سميت هذه الزاوية بهذا الاسم نسبة إلى جد الشيخ محمد لأمه و هو الشيخ محمد بن الشيخ علي كانت أمه من عشيرة "أبدوكال" ابنة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن العالم كتنة فأخذ الشيخ الحفيد محمد لقب جده لأمه⁵، ثم عرفوا بهذا الاسم أسس الزاوية في حدود سنة

1- باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص 11.

2- محمد، حوتية، المرجع السابق، ج1، ص 33. ينظر أيضا: عبد الكريم طموز، تحقيق فهرس شيوخ الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التلاني التواتي (ت 1152هـ/1736م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف أ.د بوية مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 10.

3- جاء هاربا من منصب أوكل إليه في واد نون جنوب المغرب، و هو في طريقه إلى توات أمره شيخه ببناء زاوية هناك. ينظر: محمد بن سيد المختار الكنتي، الطوائف و التلائد من كرامات الشيخين الوالدة و الوالد، مخطوط في خزائن كوسام أدرار ج1، الورقة 144.

4- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 58، أحمد جعفري، أبا الصافي، من تاريخ توات، أبحاث في التراث منشورات الحضارة، تلمسان، 2011، ص ص 107-108.

5- مبارك جعفري، العلاقات، المرجع السابق، ص 58.

سنة 999 هجري 1591 ميلادي بعدما اشترى أرضها على مالكها ليواصل مجال التعليم بها¹. وبعد التحاق الشيخ الشريف مولاي أحمد بن محمد المعروف بسيدي حم بن الحاج من المغرب- تافيلالت- قادم من تنلكت- تمكبتو- حيث تصاهر مع صاحب الزاوية ثم طاب له المقام و أرسل إلى إخوته يناشدهم المحيي و الاستقرار وكانوا سبعة إخوة تصاهروا و تجاوروا مع الشيخ أحمد لذلك يعرف القصر باسم زاوية كتنة و اسم قصر أولا حم بلحاج².

قصر تنيان:

هي إحدى أهم قصور تيمي تاريخيا و ثقافيا، تقع في الشمال الشرقي لها³، تكتب أيضا "تنيان" و تعني باللغة العربية مكان الأحرار، و هي مدينتان تنيان القديمة و التي يجهل تاريخ تأسيسها وربما هي التي نزل فيها العالم الحسيني مولاي سليمان بن علي سنة 571 هجري⁴ أما الجديدة فقد أسسها مولاي سليمان بن يوسف المعروف بالتنائي سنة 1054هـ/ 1644م و بنى فيها زاوية سمها "رزق الله الواسع بالنبي الشافع" ثم بنى قصرا بجانبها و عمر البساتين⁵. أما حدودها فمن بلد تيمي إلى جبل بغيول طولاً و من فقارة أهل تنلال إلى فقارة أجدلاون عرضاً⁶. ثم واصل أحفاد الشيخ أحمد بن يوسف لتصبح مركز إشعاع ثقافي تستقطب الطلبة و العلماء من كل مكان، فقد احتلت الطليعة بداية القرن الحادي عشر هجري⁷.

-
- 1- عبد الله حمادي، الاستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار، ج2، ط2، ابتكار للنشر و التوزيع، الجزائر 2013، ص ص 04،05، مبارك جعفري، نفسه، ص 59.
 - 2- أحمد الكنتي، دور آل كتنة في نشر الإسلام، أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كتنة في نشر الثقافة الإسلامية، 20 ماي 2004، زاوية كتنة، أدرار، ص ص 04-05.
 - 3- مبارك، جعفري، نفسه، ص 60.
 - 4- محمد، باي بلعالم، مرجع سابق، ج1، ص ص 32-33.
 - 5- محمد باي، المرجع السابق، ج1، ص33.
 - 6- مبارك جعفري، المرجع السابق، 62.
 - 7- محمد باي، بلعالم، نفسه، ص 35.

3- منطقة تيديكلت:

و تعني باللغة العربية كف اليد أو اليد المفتوحة، تمتد مدينة من أولف إلى مدينة فقارة الزوا أو الزوي، بدائرة عين صالح شرقا على مساحة 150 كلم و هي ثالث منطقة في الإقليم واقعة جهة الجنوب، تحدها من الشمال هضبة تادميت و من الجنوب وادي قاربت¹ و هضبة المويدر و من الشرق منطقة انغرغاربت²، من الغرب يحدها منطقة توات الوسطى و تنزروفت³، واقعة سفح هضبة تادمين، تتربع على سهل رملي يمتد على 220 كلم، من فقارة الزوي شرقا إلى تمقطن- أمقذن، غربا⁴، تنحصر بين خطي عرض 27,11⁰ شرقا و 2,28⁰ غربا على ارتفاع 283 متر على مستوى سطح البحر⁵.

1- وادي قاربت أو جاربت الذي يعتبر من أهم روافده واد مسعود. ينظر: عبد الله، عباس، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة ماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998 ص 29.

2- إنغر: كلمة بربرية تعني باللغة العربية الشعبة أو المكان المنخفض، و قيل أنه اسم لواد كثير الخيرات وسط هضبتين. ينظر: أحمد بن محمد البوحامدي الجعفري، النبذة عن تاريخ عين صالح و تأسيس قصورها، تقييد مخطوط بخزانة الحاج أحمد بن سالم، قصر العرب، عين صالح، أدرار، ص 10.

3- تنزروفت: هي صحراء كبيرة حصوية جافة و قاحلة، تمتد إلى غاية المناطق الخصبة بأهقار، كل الطرق فيها مؤدية إلى مالي في السودان الغربي، بما أنها كانت آخر نقطة في نطاق تيديكلت التي وصفها الوزان أنها كانت معبر القوافل. ينظر: حسن الوزان، مصدر سابق، ص 133. و وهي تعني بلغة التماق المنطقة الواسعة بصفة مطلقة... وهذه المنطقة منذ قدم الزمان كانت مهمة لعبور القوافل و وهي صحراء الصحراء غير أهلة و غير مجهزة لإيواء الحياة بتاتا... تمتد في غرب الصحراء عشرات الآلاف من الكيلومترات... ينظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، مرجع سابق، ص 174

4- ينظر: محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ج 1، ص 09. ينظر أيضا:

Vinot, Louis, de Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays. Ed Jaques Gandine, 1995, P30.

5 - Vinot, L, ibid, P 35.

كما تعد تيديكلت بوابة ما وراء الصحراء و هي ملتقى الطرق التجارية¹، تجمع عدد لا بأس به من القصور تتراوح ما بين سبعة و ثلاثين و الخمسة و الأربعين قصرا، عاصمتها مدينة عين صالح و لها قصور هامة كقصر أولف، أقبلي، أنغر، فقارة، الزوي...².
مدينة عين صالح³:

تقع على منحدر هضبة تادميت، تضم ثلاثة عشر قصر أهمها: أولاد المختار، أولاد الحاج، البركة، حاسي الحجر، قسطن، و تنتشر نحو الجنوب و هي وزعة على الجهة الشرقية من غابة النخيل على مرتفع الرمال عرق سيدي موسى، فيها مكرغاغ⁴.

تعد عين صالح واحدة من أهم مراكز القوافل التجارية ومحطة للراحة بالنسبة لموكب الحجيج الذاهبة و الآية فقد ذكرت في كتب الرحالة و الجغرافيين فها هو الرحالة الألماني جيرهارد⁵، يقول: "تمتد واحات عين صالح على العموم من الشمال إلى الجنوب، حيث ينبت على التحوم الشرقية غابات النخيل بجانب الكثبان الرملية، و تتألف قصورها الممتدة من الشمال إلى الجنوب من الزاوية، القصر الجديد، القصبه، قصر العرب، ولاد با بودا، أولاد بلقاسم، أولاد الحاج و أكبر هذه القصور و أهمها هو قصر العرب الذي يمكن تقدير سكانه بـ 1550 نسمة دون إحصاء الأجانب..."

1- فرج محمود فرج، إقليم توات، مرجع سابق، ص ص 78-79.

2- محمد حوتية، مرجع سابق، ص 34. وينظر: الحاج تومي سعسد، سكان تيديكلت القدماء و الإتكال على النفس دار هومة، 2005، ص 18.

3- اختلفت الآراء حول اسم عين صالح، بحيث يجعلونه مرتبط باسم الصالح باي (ت 1206 هـ / 1792 م) حاكم قسنطينة في العهد العثماني. ينظر: محمد برشان، محمل على شبكة الأنترنت، ص 206، كما يقال أنه اسم لأحد الحجاج المارين حيث حفر بئرا و كان الرجل يسمى صالح، محمد باي بلعالم، نفسه، ج2، ص 04.

4- باي بلعالم، نفسه، الصفحة نفسها

5- لقد زار المنطقة، عين صالح خلال شهري أوت- سبتمبر من سنة 1864، Tome 1, Rollfo.G, Op sit,

قصور أقبلي¹:

يعد من أوسع الواحات في تيديكلت، واقع بالجنوب منها، يبعد حوالي اثنان و أربعين كيلومتر من أولف، تشكل قصور أقبلي نقطة التقاء القوافل المتجهة من توات إلى تمبكتو، و أما القوافل المتجهة لعين صالح فإنها تتجمع عند حاسي أوكار الواقع جنوب أقبلي، يضم قصورا هامة عددها تسعة أهمها: قصر زاوية بونعامة و قصر المنصور، أركشاش، ساهل. .

مدينة أولف²:

تعد من أهم مدن المقاطعة محصورة ما بين خطي 27 درجة و 30 درجة شمالا و بين خطي الطول 30 و 31 درجة غربا، أرضها سهول منبسطة، قليلة التلال و مليئة بالكثبان الرملية على تخومها، يبدأ سهلها بانتهاء هضبة تادميت، هي منطقة قديمة التأسيس بحيث يذهب بعض المؤرخين إلى أن فترة التأسيس تعود إلى ما قبل التاريخ مستدلين إلى وجود بعض النقوش و الكتابات بلغة التافيناغ³ و هناك دراسات غربية أثرية تؤكد على قدم المنطقة و غناها بالشواهد التاريخية⁴. أما مسألة تعمير المنطقة و انتشار الإسلام فيها فيؤكد الشيخ باي بلعالم أن الإسلام وصل في فترة متقدمة ويوثق ذلك بوجود مسجد يحمل تاريخ بنائه سنة 164 هـ / 781 م⁵.

1- عرف عند أهل المنطقة باسم دابدرو التي تعني الهدية، و يطلق هذا الاسم على بئر بقصر المنصور بأقبلي أين كانت تقسم الهدايا، و من القبائل التي سكنت هناك قبيلة أولاد أبكي و منهم أولاد محمد، عبد الرحمن بن مبارك. ينظر: محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي و الحاضر و مالها من علوم و المعرفة و المآثر، دار هومة، الجزائر، 2004، ص 15.

2- أولف: عن أصل تسميتها يرجعه الأغلبية من المؤرخين المحليين إلى الكلمة العربية الألفة معللين ذلك بأن كل من سكنها ألفها بسرعة، أما البعض الآخر فيؤكد أن معنى الكلمة بربري مشتق من كلمة ألقف و التي تعني النخيل باعتبار أن المنطقة تجلب الناس كما تجلب خلية النحل إليها، و المعنى واحد في التفسير. ينظر: محمد بلعالم، الرحلة العلية، ج 2، ص 333.

3- محمد باي، مرجع سابق، ج 2، ص 333.

4- منها دراسة الأستاذ: H.J. Hugot سنة 1955 التي وجد من خلالها الأدوات و الأسلحة الحجرية مختلفة الأشكال التي بينت حفرياتها أن المنطقة مليئة بالأدوات و الأسلحة الحجرية. ينظر: محمد باي بلعالم، نفسه، ص 333-334.

5- يقول محمد باي بلعالم أن تاريخ اختطاط أولف يعود إلى بناء المسجد بتاريخ 164 هـ من قبل أولاد محمود و أولاد حمد لمن. ينظر: باي بلعالم، نفسه، ج 2، ص 333.

أما عن موقعها فهو استراتيجي من حيث كونها معبر للمسلمين التجار إلى السودان الغربي، كما تعرف المنطقة بالزوايا مثل زاوية مولاي الهيبة التي أسسها الشيخ أبو الأنوار التتلائي¹. كما أن مدينة أولف أيضا تضم قصور عديدة، كقصر قصبة بلال، قصر عمات، الركينة، تقراف قصبة جادات قصر حينون المؤسس من قبل اولاد احمد في القرن الثالث عشر².

1- هو أبو أنوار بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف التتلائي المتوفى سنة 1184 هـ بقرية مجاورة لبلدية أولف، التي خصصت لنشر العلم. ينظر: بشار قويدر، حساني مختار، الجزائر، 1999، ص 17.

1- فهرس المخطوطات ولاية أدرار أعمال المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ. ينظر: محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج2، ص 333.

2- الواقع التاريخي و السياسي للإقليم قبيل و بعد الإسلام:

1- تاريخ اختطاط الإقليم التواتي:

لم يذكر الجغرافيون و لا المؤرخون الأوائل¹ اسم توات بشكل صريح، مما يصعب عملية التأكد من تاريخ اختطاطها أو مسألة تبعيتها تحت جناح سلطة معينة خاصة قبل القرن الخامس هجري بقدر ما ذكرت أمصارا أخرى كسجلماسة مثلا أو درعة، ورجلان² تافيلالت³، غدامس⁴ وغيرها، إلا ما ذكر تلميحا على أنها أرض الواحات أو قبلة سجلماسة و قبلة تلمسان⁵.
أما الشواهد المادية فتؤكد أن هذا الإقليم عمر من قبل الإنسان منذ ما قبل التاريخ⁶.
و تشير الدراسات الغربية للمؤرخ الفرنسي ستيفن غزال Gsell- أن الرومان استعملوا خط توات

1- المؤرخون الأول هم الذين دونوا رحلاتهم و رواياتهم التاريخية قبل القرن الخامس الهجري كاليقوي (ت 897/284م) المقديسي (ت نحو 380 هـ/990م) و كتابه أحسن التقاسيم، ابن حوقل (البدء و الرحلة في 331هـ) و كتابه صورة الأرض أبو عبيد الله البكري (487هـ) و كتابه المسالك و الممالك، الإدريسي (ت 564هـ/1159م) و كتابه نزهة المشتاق.
فهذا اليقوي يلمح إلى قفار الصحراء قائلا: "ومن سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان من سائر بطون السودان، يسير في مفارة و صحراء خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة...". ينظر: اليقوي، أحمد بن أبي يعقوب، البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1890، ص 151.

2- ورجلان، تكتب في بعض الكتب و أركلا وهذا وصفها العياشي في ماء الموائد عندما زارها و مكث فيها أكثر من ثلاث ليالي: "و ترى لنا نخيل وراكلا كأنه سحابة... فدخلنا وراكلا قبل غروب الشمس و نزلنا باب المدينة المسمى باب السلطان... ثم يصف المسجد قائلا: و هو مسجد متقن الصنعة محمص الأرض و المحيطان... فيه مكان لتسخين الماء فأعجبن غاية" ينظر: العياشي، مصدر سابق، ح1، ص ص 70-71.

3- تافيلالت: "إقليم بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى، كانت قاعدته سجلماسة، يضم عدة مقاطعات و قصور، و أما سجلماسة فلم يبقى سوى أطلالها..". ينظر: الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984 ص 80.

4- غدامس: مدينة بالمغرب في جنوبية في بلاد السودان، تجلب منها الجلود الغدامسية و هي من أجود الدباغ... بما عين قديمة يفيض منها الماء... و أهلها بربر مسلمون صالحون، ينظر: زكرياء محمد القزويني، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969، ص 57.

5- قبلة: بقاق معقوفة و تسمى قبلة سجلماسة أو قبلة تلمسان و معناها الصحراء الموجهة جنوبا وورد ذكرها في نقل الرواة، مرجع السابق، الورقة 08

6- أبا الصابي، مبارك الجعفري، مرجع سابق، ص 70

للوصول إلى السودان الغربي وأن المنطقة عمرت من القرن السادس قبل الميلاد، أما برناند سافرو فيري أن اليهود وصلوا إلى المنطقة سنة خمسين قبل الميلاد، و أسسوا بعض القصور سنة 05 للميلاد مثل قصر تاخيفت وقصر تامسخت سنة 660 ميلادي¹، و طبعا كلها آراء لا صحة فيها غير أن كل منها يسعى لترسيخ فكرة أن الأرض إما كانت تابعة لحكم روما أو أنها من اختطاط اليهود و هو مسعى استيطاني استعماري واضح، بينما يفند العالم عبد الرحمن بن خلدون هذه الروايات بان أول من سكن البلاد قبل الإسلام هم البربر قائلا: "... و تقدم ذكر ما كان لهم في الصحراء و القفر من البلاد، و ما شيّدوا من الحصون و الأوطان و الأمصار من سجلماسة و قصور توات، و تجورارين..."² و قول آخر أنه وجد في تمنظيط محراب يحمل تاريخ سنة 106 هـ / 725 م عند أولاد ميمون ووجدت كتابات عند أولاد همال تحمل تاريخ بناء قصر يعود إلى سنة 517 م³.

يقول صاحب "نقل الرواة" أنه في وسط القرن الخامس استولى اللمتون على المغرب و قطع دابر زناتة من مغراوى و بني يفرن وقتل أميرهم مسعود بن واند المغراوي⁴ ففر الباقي من زناتة إلى الصحراء... وملقوا أرض توات...⁵، ثم يؤكد العياشي أن شوكة زناتة انكسرت بالمغرب في القرن الرابع الهجري، فاتخذوا واد مسعود مرعا لمواشيهم و مقرا للمقام⁶.

1- نفسه، ص ص 70-71.

2- عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 136.

3- مبارك، الصافي، المرجع السابق، ص 70.

4- ويسمى أيضا مسعود بن وانودين المغراوي صاحب سجلماسة و هو ابن خزرون بن فلفول بن خزر المغراوي، قتل في معركة ضد المرابطين سنة 445 هـ. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 183.

5- محمد بن عبد الكريم، تقييد، مرجع سابق، ص 14، ينظر: محمد عبد الكريم، درة الأقلام، مخطوط سابق، ص 10.

6- أبو سالم، العياشي، قال هذا الكلام على لسان محمد بن عبد الكريم التمنظيبي قائلا: "... حسبما ذكره الشيخ العياشي العياشي في رحلته ثم لما انكسرت دولة زناتة بالمغرب في القرن الرابع فروا هارين- قد تمكنهم الحروب فسقوا الماء في سجلماسة... نزلوا في أرض بودة..." ينظر: محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 05.

ثم توات بعد ذلك الهجرات العربية- عرب المعاقيل- منهم أولاد الحاج و أولاد عابد و ذوي عبيد الله و ذوي منصور، ثم بعد ذلك أضمرت نار الحرب بين الزناتيين أنفسهم و بينهم و بين العرب فسميت الحرب بـجرب "يحمد و سفيان" إذا يقول صاحب درة الأقالام:

"... و استعان بعض الزناتة بالعرب على بعض و أضمرت نار الحرب بينهما..."¹

فبقيت توات تعاني من واقع اللأمن و عدم الاستقرار لفترة معينة ليؤول أمرها لحكم الجماعة الشبه مستقل بما أنها كانت بعيدة عن مسرح الأحداث في الشمال و بحكم اتساع مساحتها و تشتت قصورها في الصحاري².

فظلت منطقة توات أرضا سائبة لمدة من الزمن تهيئ نفسها لأن تكون خاضعة للقوى المتغلبة تؤدي لها فروض الاستكانة و تسعى إلى شراء السلم بدفع المغارم³، و مع ظهور أهمية توات و موقعها التجاري العابر للصحراء، أصبحت مقر استقطاب القوى المحيطة بها كظهور القوة المرابطية و الموحدية ثم المرينية إلى السعدية فالعلوية، معتمدين على عامل القوة و فترة الاستحكام مطايا للإخضاع و الهيمنة.

1- يصف ابن عبد الكريم هذه الحروب بقوله: "... و العجب كل العجب أن نجد بلدين مختلطي النخيل و المرافق بحيث يسمع كل واحد منه نداء الآخر و يتعصب واحد بفتنة يحمد و الآخر بفتنة سفيان... و أعجب منه يجتمع الشخصان لم يرى أحدهما الآخر فإن أخبره انه من فتنة سفيان كرهه أشد الكراهة..." درة الأقالام، مرجع سابق، الورقة 103.

وتشير بعض الروايات الشفوية المحلية أن هذه النعرة أثارها السلاطين في المغرب، قصد التمكن من السيطرة على المنطقة و عن اسم هذه الحرب يذكر عبد الكريم صاحب الدرّة أن عامل توات كتب للسلطان أن أهل الصحراء أشد بينهم الحرب مثل حرب أحمد صلى الله عليه و سلم و أبو سفيان، فأخذ تلك التسمية يحمد و سفيان كناية على شدة الحرب ينظر: عبد الكريم بن عبد الحق درة الأقالام، نفسه، ص ص 102-103. و ينظر: بعثمان، عبد الرحمن، المرجع السابق ص 82.

2- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 28، عبد الرحمن بعثمان، القضاء، مرجع سابق، ص 106.

3- محمد عبد الكريم، درة الأقالام، مرجع سابق، الورقة 103، ينظر أيضا: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 6

2- دراسة عامة لسكانة الإقليم:

إن اتساع أرض الصحراء التواتية، و موقعها في القبلة الجنوبية لأرض المغرب الإسلامي و بعدها عن مسرح الأحداث السياسية المختلفة، جعلها قبلة للهجرات البربرية العربية، و أجناس أخرى مختلفة¹. وإن كان الحديث عن سكان الإقليم هو الحديث عن تركيبة فسيفسائية تمثلت في وصول الجنس البربري الزناتي و الصنهاجي، ثم وصول الجنس العربي من المعقل و العرب الشرفاء ثم تواجد الطائفة اليهودية و توافد الجنس الزنجي و الفارسي و غيرها من العناصر البشرية².

و الحديث عن ساكنة الإقليم التواتي هو الكلام عن أول القبائل التي جعلت هذه المنطقة قابلة للتعمير و، ذلك هو الحديث عن تقاسيم المنطقة الطبيعية و المعاشية، أما الطبيعة فكل الجبال و الأحجار و النبات و الأشجار و أسماء الحيوانات و التمور تنطق باللغة الزناتية المحلية³ و بالتالي فإن الأمر يؤكد كلام المؤرخين الأوائل بأن الأرض بربرية الأصول و عربية إسلامية الاختطاط، أما المعاشية فهي التعاطي للعلاقات الاجتماعية بين تلك العناصر البشرية، و بهذا الشكل فحركة التعمير في الإقليم بدأت منذ ما قبل الفتح الإسلامي.

1- محمد قومي، دور الطائفة اليهودية بتوات، مرجع سابق، ص 72. محمد، بن عبد الكريم، نفسه، الورقة 04. عبد الكريم طموز، تحقيق فهرس شيوخ سيدي عمر الحاج عبد القادر التينلاني التواتي (ت 1152هـ / 1739م) مذكرة ماجستير التاريخ الوسيط، إشراف، بوبه مجاني، جامعة منتوري بقسنطينة، 2009-2010، ص 28.

2- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 37.، خير الدين، شرة، مرجع سابق، ج 1، ص 118. أما مولاي الطاهر فيقتصر على أربعة أقسام: الشرفاء، العرب، المرابطين، الموالى مراكز على اللغة العربية و المذهب المالكي أحمد مولاي الطاهري مصدر سابق، ص 07.

3- بليل، رشيد، قصور قورارا و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب و الأخبار المحلية، تر: عبد الحميد بورايو منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، 2008، ص 37.

العنصر البربري:

يعتبر البربر أول من توطن بلاد توات على اتساع مساحتها بإجماع المؤرخين المتقدمين والمتأخرين وحتى الأجانب الذين اهتموا بتاريخ المنطقة¹، فهذا هو صاحب درة الأقالام وهو ابن المنطقة وأهل مكة أدرى بشعابها، فقد تناقلت مادته من الروايات الشفوية ومن المصادر التي كتبت عن المنطقة فيقول: "... وحكي عن بعض البدو أنها كانت تنزل هذا القطر بخيام الشعر قبل الإسلام... وربما سكن البعض و بنى بناء خفيفا يسكنه وقت المقام و يتركه وقت الارتحال..."²، و يستطرد في هذا القول في ذكر قبيلة زناتة اعتمادا على قول العباسي أنه لما انكسرت دولة زناتة بالمغرب في القرن الرابع جاؤوا فارين من سجلماسة إلى بودة أحد قصور توات، فاستأنسوا بالموضوع و عمروا البلاد، واستمر توافد هذا الفرع من البربر بعد قيام دولة الموحدين الذين تعقبوا أثر زعيمهم المسمى مسعود بن وانديت "المغراوي" فاضطروا للخروج كل مني يغرن و مغراوة حتى وصلوا إلى جهة تيكورارين وواد الحنة ثم توافدت القبائل مثل: قبيلة ذكوان سنة 536 هـ، أولاد أحسين سنة 528 هـ، وأولاد سليمان عام 531 هـ أولاد يدر عام 520 هـ و القائمة طويلة³.

1- كل مؤرخي المنطقة، محمد عبد الكريم في درة أقالمه و في تقييده، الظاهري مولاي أحمد في نفعائه، البكراوي محمد العالم، وترجمته لوجنزة، أما المؤرخون الأوائل فهم ابن خلدون و ابن بطوطة، و العياشي و غيرهم. وأما المحليين المتأخرين فعلى رأسهم محمد باي بلعالم في رحلته العلمية، المرجع السابق، ج2، ص ص 11-24.

2- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقالام، مرجع سابق، ص 04. يذكر أيضا القبائل التي وفدت المنطقة تبعا: أولاد عبد الجليل سنة 501 هـ، أولاد عياش سنة 502 هـ، أولاد خير الله سنة 516 هـ، أولاد علي البلبالي سنة 518 هـ، قبيلة زكوان سنة 536 هـ، الشرفاء الحموديون سنة 550 هـ، أولاد عيو 609 هـ، أولاد الصابون 640 هـ، عائلة المحاجيب سنة 675 هـ. ينظر: محمد عبد الكريم، نفسه، ص02

3- محمد بن عبد الكريم، مرجع سابق، ورقة 04 و ما بعدها.

يعزز هذا القول ابن خلدون بقوله: "ومن هذه القصور قبلة تلمسان و على عشر مراحل منها قصور تيكارين و هي كثيرة تقارب المائة في وسط واد منحدر من المغرب إلى المشرق، واستبحرت بالعمران وغصت بالسكان و أكثر هذه القصور الغربية في الصحراء بنوا يامدس..."¹.
 لكن ابن خلدون يؤكد أن أول قبائل الصحراء من بربر كانت قبيلة صنهاجة بحيث يجعل أول البربر الذين حفروا الآبار و البساتين هم المثلثون من فرع صنهاجة و يؤكد أنهم أبدعوا في المجالات هناك من قبل الفتح و يضيف أنه لا يعرف أولها، فقال: "واتخذوا اللثام خطاما وكثروا و تعددت قبائلهم من فدالة، فلمتونة، فمسوفة، فوتريكة... وكانت الرياسة فيهم للمتونة..."².

إذن إن الكثير من الدراسات تؤكد أن أقدم من استوطن الصحراء من البربر هم الطوارق رغم اختلاف النسابة، فيمكن جعل تلك الآراء تصب في كون الطوارق بطن من بطون صنهاجة اللثام، و في موضع آخر يؤكد ابن خلدون أن بني يامدس من بطون بني وأمانو وهم من مغراوة من قبيلة زناتة³. بمعنى أن القبائل البربرية التي عمرت البلاد التواتية هي بطني صنهاجة و زناتة، بحيث نجد في محاولة إحصاء الأغلبية للزناتيين عددجا و انتشارا و ما يؤكد ذلك أصول معظم

1- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص 77.

2- نفسه، ج6، ص 371... كما يؤكد ذلك الناصري محمد أبوراس (ت ق -13هـ) أن المثلثين فرع من بطون صنهاجة و هم السكان الأصليين للمنطقة قائلا: "... فقبيلة فدالة منهم و مساكنهم قبيلة المعقل عرب السوس الأقصى و لمتونة و تريكة في مقابلة ذوي منصور... ومر الكلام على ملوك لمتونة و مسوفة في مقابلة المغرب الأوسط عرب الزاب و تركيا في مقابلة أفريقيا...". ينظر: محمد أبوراس، الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار تح: المهدي لبوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ت، ص 120 أما الناصري السلاوي فيقول: "أن قبائل زناتة استقرت بإقليم توات و شيدت القصور مثل قصر بودة و تمنطيط و تساييت و تيقورارين التي كان أكثر سكانها من زناتة...". الناصري السلاوي الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، مصدر سابق، ج3، ص 173.

3- بحيث يورخ ابن خلدون لقبائل زناتة و اعتبرها من القبائل الشمالية التي هاجرت إلى توات قائلا: "وسكن المناطق الأخرى من الصحراء قبائل زناتة قصور تيقورارين على عشر مراحل من تلمسان و تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد و في الجنوب الغربي منها قصور توات و بعدها تمنطيط...". ينظر: ابن خلدون، العبر، مصدر نفسه، ج6، ص 372.

السكان و أسماء و أدوات الفلاحة و الزراعة، في النخيل و التمور كلها بلغتهم الزناتية و أنهم كانوا اشد اهتماما بيسط الجنات و البساتين و حفر الآبار و الفقاقير¹.

وقد سكن الإقليم التواتي إلى الجانب العنصر البربري العنصر العربي الذي كان له إضافة في البلاد، بل قد أحدث التغيير الذي شمل عدة ميادين، فأى القبائل العربية استوطنت توات؟ وما مستجدات هذا القبيل في البلاد؟
العنصر العربي:

لقد عرف العرب الصحاري منذ قديم الزمن، حيث كانت لهم علاقات و اتصالات تجارية منذ القرون الهجرية الأولى²، لكن مسألة استقرار العرب أو العنصر العربي في إقليم توات بالتحديد فهي مسألة خاض فيها المؤرخون، مؤكدين أن هذا العنصر اعتبر من الأجناس المتأخرة في التوطن مقارنة مع الجنس البربري مثلا، فقد أرجع ابن خلدون فترة القرن السادس هجري بداية استقرارهم فيها، بحيث تأقلم العرب مع هذه البيئة الحارة التي تشبه إلى حد كبير بيئة شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى اعتبارات أخرى.

ومن العرب يحدد ابن خلدون قبيل المعقل قائلا: "هذا القبيل بهذا العهد من أوفر قبائل العرب و مواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون بني عامر من زغبة في مواطنهم بقبيلة تلمسان... وهم ثلاثة بطون: ذوي عبد الله و ذوي منصور و ذوي حسان..."³.

ثم يعرض ابن خلدون أن هؤلاء عرب المعاقيل احتكموا زمام الأقاليم مجاورين قبائل الزناتية مستحكمين على أمور البلاد ففرضوا الإتاوات و الضرائب بقوله: "فجاز عرب المعقل هؤلاء الأوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الأتاوات و الضرائب وصارت لهم خباية يعتدون فيها ملكا..."⁴.

1- محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج1، ص 77.

2- خير الدين، شترة، مرجع سابق، ج1، ص 120.

3- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 77.

4- نفسه، ج6، ص ص 119-120.

ومن أهم القبائل العربية المستقرة و المعمرة في توات: أولاد محمد، الخنافس، أولاد عمر الحارزة، أولاد طلحة، أولاد أعيش أولاد ملوك، أولاد غانم، أولاد حرز الله، أولاد منصور ذوي منع،... و هذا ما يؤكد محمد بن عبد الله التمنطيبي¹، اشتغلت القبائل العربية بالزراعة و بناء القصور و حفر الآبار، مارسوا التجارة فانتعشت على إثرهم الحياة الاقتصادية على كامل الإقليم مما يؤكد مسألة تعايش العرب مع البربر و المساهمة في انتقال توات من حياة البداوة إلى حياة مفعمة بالحركة و النشاط².

فمثلا ضربت السكة من قبل أولاد داود بن عمر فانتعشت التجارة، شيدت القصور و الحمامات، عمجت الأسواق بالبضائع المختلفة و ساهم العرب في الحرف و الصنائع مثل النجارة و الحدادة و العطار³.

و إلى جانب عرب المعاقيل و بني هلال دخل الأشراف⁴، إلى الإقليم مما ساهم في بناء الزوايا و المدارس، هؤلاء الأشراف الذين يتصل نسبهم بالنبي صل الله عليه و سلم من قبل ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، و قد وصل الأشراف فرادى و جماعات بعد سقوط الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى و من جهة تلمسان أيضا بعد المضايقات و العنف و عدم الاستقرار، و قد انقسم هؤلاء الأشراف إلى أدارسة و علويون، و تذكر كتب التاريخ أن الشيخ مولاي سليمان بن علي الإدريسي المتوفى في القرن السابع هجري، وصل إلى توات في حدود سنة

1- محمد بن عبد الكريم، التمنطيبي، تاريخ توات، مخطوط بمخزن المنصوري، أقبلي، الورقة 07.

2- ينظر: محمد، قومي، دور الطائفة اليهودية، مرجع سابق، ص 77.

3- أما المنتسبون إلى آل البيت، فاحتلت مكانة مميزة في الإقليم التواتي، فتنفق معظم الدراسات أنهم قدموا إلى توات من الشمال المغرب العربي، و هم متواجدون في معظم القصور التواتية، تيديكلت و قورارة و لكن الأغلبية في قصور توات الوسط، ينظر: محمد أعيف، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي و السياسي لواحاح الجنوب المغربي توات في القرن 19 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، إشراف جرمان عياش، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، شعبة التاريخ، 1982، ص 95.

4- ابن بابا، حيدة، القول البسيط، مصدر سابق، ص 18.

580 هجري و هو أول الأشراف وصولاً إلى الإقليم¹ مؤسساً زاوية في البلاد سميت باسمه لتكون قاعدة علم و مقصد الطلبة، ملجأ للفقراء و عابري السبيل محطة عبور الحجيج كما خص سكان الإقليم كل الاحترام و التقدير كونهم ينتمون إلى الفترة النبوية الشريفة².

العنصر الزنجي:

وصل هذا العنصر بحكم عوامل كثيرة أهمها موقع الإقليم الجغرافي الذي يسيطر على المسالك التجارية الذاهبة و الآتية من الجنوب إلى الشمال و انفتاح عامل التجارة في الإقليم و رواج هذا النشاط الذي عزز أواصر العلاقات بين الطرفين، فواصل العنصر الأسود على فترات مختلفة و بأساليب مختلفة³.

و عن وصول السود إلى الإقليم يرجع المؤرخ الإفريقي عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان أن نواة العنصر الأسود إلى الإقليم يرجع إلى القرن الثامن أثناء حج "المنسى موسى" ملك مالي و مروره بتوات فتخلف خلق كثير في توات بعدا إصابتهم بعلة في أرجلهم وقد تم التفصيل في هذه القضية في أول هذا الفصل⁴.

كما أن العامل الأقوى في وصول الزنوج أو السود سكان أقاليم السودان سواء الغربي أو الأوسط فكان عن طريق تجارة الرقيق الذين كانوا يجلبون من هناك سواء مسلمون كانوا أو وثنيون، إثر الحروب و عدم الاستقرار في تلك الممالك، وقد كان الطلب على هؤلاء العبيد كبير، بحيث

1- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 95.

2- عبد الرحمن، بعثمان، مرجع سابق، ص 83-85. عبد الحميد، بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 95-96.

3- نقصد بالعنصر الزنجي العنصر الأسود الإفريقي الذي وصل إلى توات ثم اندمج مع أهله فأنجج عنصراً جديداً سمي بالموالي أو الحراطين، أما عن الأسباب التي وصل بها إلى توات فهي الواقع المعاش في السواد الغربي و الحروب السائدة بين ممالكه و البحث عن الاستقرار و القوت بعيداً عن القحط و الجفاف و الحروب، أو عن طريق بيعهم في سوق النخاسة أو سوق الرقيق، لاستعمالهم في المهن القاسية و الذليلة، خير الدين شترة، المرجع السابق، ج1، ص 124 ينظر أيضاً:

Selka Abderrahmane, notice sur le Touat, bulletin de la société de géographier d'Adrar, Alger, 1922, P 524.

4- عبد الله حمادي، الإدريسي، القوات من تاريخ توات و صحراء الجهات، ج1، ط1، دار الكتاب الملكي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 125

يستعملون في المهنة الشاقة كحفر الآبار، ورعي المواشي و بناء القصور و العمل في البيوت و غيرها من الأعمال الشاقة¹.

وفي مسألة تجارة الرقيق وبيع العبيد من السودان أثرت مسألة أو نازلة في شرعية بيع الأسود يعد إسلامه²، هل يجوز معاملته بتلك الطريقة لا يرضاها الإسلام وفي هذا الشأن وردت مسألة راسلها الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري إلى تلميذه الشيخ عبد الكريم بن محمد البكري يستفتيه في المسألة فراسل هو بدوره شيخه أحمد بابا التنبكي علما منه انه أقرب و أقدر على الإجابة في هذا الباب، فكتب جوابه على مجلوب السودان في رسالة سماها معراج الصعود³.
ومن هؤلاء السود من وصل توات طواعية مهاجرا بحثا عن الاستقرار و تأمين لقمة عيشه طالبا الأمان خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي واشتد القحط و الجفاف⁴، فكانوا يسمون بالموالي و شيئا فشيئا تجانس هؤلاء السود بعد اعتناقهم الإسلام أو من كان مسلما منذ قدومه مشكلين مجتمعاً تواتياً متكامل.

1- ينظر: Selka Abderrahmane, Op.cit.P P 523-524

2- ينظر: الناصري، المصدر السابق، ج 02، ص 131.. خير الدين، شترة، المرجع السابق، ج 1 ص ص 123-124. ينظر أيضا: بعثمان، المرجع السابق، ص 83. ينظر: عبد المؤمن بيهية، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18-19 الميلاديين، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف، أستاذ بن معمر جامعة وهران 2005-2006، ص 49.

3- الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 131. أحمد بابا، التنبكي: هو أبو العباس بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد ينتهي إلى آل أقيت السودانية، ولد في تنبكتو والده قاضي في مسقط رأسه ورثها هو الآخر عن أبيه، له تأليف كثيرة منها: نيل الابتهاج بتطريز الديقاج ذيلا على كتاب ابن فرحون الديقاج المذهب لأصحاب المذهب، ثم ذيله هو الآخر بكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من لبس في الديقاج و الرسالة التي كتبها ليحيب على سؤال إبراهيم بن سعيد و الذي سماه الكشف و البيان لأصحاب مجلوب السودان أو سماها أي الرسالة: "معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود". ينظر: البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تح: محمد حجي، و محمد إبراهيم الكتاني، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981، ص 29. و ينظر أيضا: أحمد بابا، التنبكي، الكشف و البيان لأصحاب مجلوب السودان، مخطوط خزانة مبروك مقدم، ورقة 01، نقلا عن: محمد قومي، دور طائفة اليهود بتوات، مرجع سابق، ص 83.

4- خير الدين، شترة، المرجع السابق، ج 1، ص 125.

ويرجع أصل هؤلاء السود إلى قبائل الفلان و البامبارا و المانيقو و الهوسا و الموسي و الفوتا¹، جلبوا من أماكن مختلفة ككشنة و كوبر و برنو و سكوتو و غيرها من الأماكن².

اليهود:

يعتبر العنصر اليهودي من العناصر الوافدة على الإقليم التواتي في حدود القرن الخامس و السادس ميلاديين على حسب ما عثر مكتوب على قصور يهودية كقصر أولاد أهمال الذي اعتبر أول قصر بني في المنطقة مع معبد يهودي سنة 517م³.

بينما يرى بعض المؤرخين الغرب و اليهود بالتحديد على رأسهم "جاكوب" "أوليل" "Joliel"، إن التواجد اليهودي في الإقليم يعود إلى أزمنا بعيدة 50 سنة قبل الميلاد معللين ذلك أنهم هاجروا من الشمال إلى الصحاري خوفا من بطش الرومان و الفينيقيين⁴.

و يجمع المؤرخون أن الهجرات اليهودية يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل أولها في الأول الميلادي قادمين من ليبيا إلى توات، و المرحلة الثانية في القرن السادس الميلادي قادمين من العراق و بعض يهود خيبر مارين من مصر إلى ليبيا فتوات، و المرحلة الثالثة في القرن السابع الميلادي من الأندلس إلى المغرب إلى توات مع حلول القرن العاشر ميلادي⁵.

1-Selka Abderrahmane, Op cit, 1922. P 524.

2- حسن الوزان، مصدر سابق، ص ص 159-179.

3-Martin, a, g. P, les oasis sahariennes, Op cit, P 85.

4- فوزي، سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص 79. ينظر أيضا، Oleil,

Jacob, les juifs au Sahara, le Touat au Moyen Age, CNRS, Paris, 1994, P17.

5- jacob, Oleil, les juifs au sahara, Op cit, P 15.

يضيف جاكوب أوليل ان المسلك التي سلكها اليهود هي كالتالي:

- 1- الموصل- الشام- مصر- ليبيا - تمنطيط.
- 2- الحجاز (خيبر). اليمن- الحبشة- مصر- ليبيا- تمنطيط.
- 3- الأندلس- المغرب الأقصى ← سوس- درعة- تمنطيط.
- 4- تافيلالت- تمنطيط. ←

و قد أسسوا قصور في توات أهمها تيطاف، تخنيف، تاسفاوت، تازولت، تماسخت و تمنطيط¹، و أغلب تواجدهم كان في هذه الأخيرة، بحيث يذكر صاحب القول البسيط " أن عدد الصاغة يفوق 363 صائغ في تمنطيط كلهم من اصول يهودية²، مما يدل على أن هذه الطائفة اليهودية كانت مستقرة في أمن و سلام و مسيطرة على الوظائف الحساسة في الإقليم كالخرف و التجارة و انتشرت اليهود عموما في مدين المغرب الإسلامي على امتداد حتى تخوم الصحراء حيث تتوفر شبكة الطرق التجارية التي تربط بين الشمال و ما وراء الصحراء، خاصة بعد سقوط غانة الإسلامية و تعذر الطريق الرابط بين سوس و السودان³، فأصبح لزاما على يهود المغرب الأقصى المرور بمنطقة توات، و قد مثلوا وسطاء تجاريين مع تجار أوروبا و بين توات و السودان الغربي⁴.

ويركز "جاكوف أوليل" أن التواجد اليهودي في الإقليم قدم اعتمادا على شواهد قبرية بقصر أولاد داود بتمنطيط سنة 793هـ / 1390م الموافق لسنة 5150 العبرية لصاحبها ميمون شامويل بن إبراهيم كبي، تذكر الشهادة القبرية أن عمره 410 سنة⁵. و عموما فاليهود عندما وصلوا إلى توات و استقروا في قصورها اشتغلوا بالتجارة و الحرف فاستحسن المسلمون معاملتهم فزاد نفوذهم و علت شوكتهم في مدينة تمنطيط مما تسبب في تعاقب الكثير من الأحداث في المنطقة⁶.

- 1- محمد، قومي، دور اليهود، مرجع سابق، ص 84.
- 2- ابن بابا، حيدة، القول البسيط، مصدر سابق، ص 14.
- 3- خير الدين، شترة، مرجع سابق، ج1، ص 128.
- 4- قد احتكر اليهود التجارة بأنواعها بحيث لم تمر قافلة أو تخرج إلا و فيها يهودي يقودها مما جعلهم يتحكمون في سيرها و خاصة الواردات من غانا بحيث اهتم اليهود بالمادة النفيسة و هي الذهب، وهو المعدن الذي ميز بلاد غانا حتى سميت آنذاك ببلاد الذهب. ينظر: أبو الحسن، المسعودي، مروج الذهب و معادن الجواهر، تح: محمد محي الدين، ج2، مطبعة تجارية د.م.ن، 1958، ص 04، ينظر أيضا: القزويني، المصدر السابق، ص 39.
- 5- عبد الله حمادي، الإدريسي، مرجع سابق، ج1، ص 93.
- 6- يحيى، بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995 ص146، و قد أشير بتعاقب الأحداث من جراء الأمن الذي عرفه اليهود في الإقليم تنقذ هذه الطائفة و عدم التزامهم بواجبهم الذمي و بالتالي وقع ما وقع مع الشيخ المغيلي رحمة الله و اليهود و التي اصطلح عليها بنزلة اليهود.

3- التبعية و واقع الانتماء السياسي للإقليم التواتي:

ولم يحدث أن وجد نص تاريخي يؤكد التبعية السياسية لإقليم توات قبل القرن الثامن هجري، إلا ما ذكر على أنها أرض أمان و اطمئنان لذاك كانت ملجأ لكل من جارت عليه ظروف الزمان و أشكلت عليه الحوائج¹، إذ نجد أن هذا الإقليم كان قبلة لقبائل زناتة في القرن الخامس هجري ثم هاجر إليها المرابطون بعد القرن السادس هريا من بطش الموحدين².

أما مسألة فرض الضرائب في العهد الموحيدي على توات فالأمر ليس غريبا كون أن هذه الدولة وحدت المغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس³، لكن الاستثناء في توات الخضوع غير المباشر للسلطة كون هذه الأخيرة بعيدة عنها فكانت تبعيتها تلزمها فقط دفع الضرائب⁴.

وبما أن سقوط الدولة الموحدية ترتب عنها ظهور الدويلات الثلاث الحفصية و الزيانية و المرينية، التي ظهرت بينها الحدة و الشقاق مما قويض من مهام الدولة الزيانية التي كثيرا ما كانت غير مستقرة، فاكتفت أن يكون إقليم توات إقليما تابعا لها معنويا، حيث جعلت الطريق الرابط بين توات و تلمسان أهم الطرق التجارية الفعالة و الآمنة⁵، كما يذكر الفشتالي أنه في نهاية القرن السابع و بداية القرن الثامن لجأ السلطان الزياني أبو حمو موسى بن عثمان (697 هـ/718م) إلى تيكورارين، قورارة، هاربا من بطش السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني⁶. مما يؤكد أن بين توات و تلمسان شعورا بالتبعية. و عندما أصبحت توات مركزا وسيطا للتجارة بين الشمال و الجنوب و برزت مدينة تنكتو في الضفة الجنوبية مركزا تجاريا هاما في مطلع القرن الثامن هجري

1- تقييد ما وجد من تاريخ و الأخبار التواتية، مخطوط بخزانة كوسام، ادرار، مصدر سابق، ص 14.

2- درة الأقالام، مرجع سابق، ص 10.

3- عبد الله حمادي، الإدريسي، الفوات من تاريخ توات، مرجع سابق، ج1، ص 162.

4- مما يدل أن أمر توات كان سابقا دون سلطة معينة، اهتم أهل الجماعة بتسيير شؤونه و أمور تجارته الخارجية فخضوعه لأي سلطة كان خضوعا مرغما، وكما قال أحد المؤرخون المحليون أن أهل توات مسالمون مدهنون. ينظر: محمد بن عبد الكريم، درة الأقالام، مصدر سابق، ص 103.

5- عباس، عبد الكريم، الصلات التجارية بين المغرب و السودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، ع: 04، جامعة بابل، أيلول 2010، ص ص 47-49.

6- عبد العزيز، الفشتالي، مصدر سابق، ص 74.

و تراءت¹ لها عيون الطامعين كونها أصبحت تشكل طريقا للذهب، هذا الذي يفسر الغزو المريني سنة 715هـ/1315هـ بقيادة الأمير أبي علي عمر بن عفان²، بعد أن استقبل بسجلماسة و جعلها مركز إمارته، بحيث يقول الناصري: "وأرتحل [أبو علي] إلى سجلماسة سنة خمس عشر و سبعمائة فأقام بها دولة فخيمة، و استولى على بلاد القبلة، ودون الدواوين و استحق و استركب و استخدم طواغن العرب من بني معقل و افتتح معاقل الصحراء و قصور توات و تيكورارين و تمنطيط و غير ذلك"³.

هذا و قد كان حكم المرينيين في الإقليم حكما صوريا، بحيث تكتفي بدفع الضرائب لعاصمة الدولة، بينما بقيت القيادة الفعلية في يد الجماعة زعماء القبائل، و بعد أن أفل نجم الدولة المرينية نهاية القرن التاسع هجري الخامس ميلادي⁴، امتنعت توات من دفع الضرائب و دخلت فترة جديدة و هي فترة حكم القضاة، حيث أصبح قاضي الجماعة هو من يتولى أمرها و آل الحكم حينئذ للقاضي، "يحي بن يدير"⁵ ثم بعده الشيخ العالم أبو بكر العصوني⁶ و هي

1- مبارك، جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 99.

2- حاول ولي العهد الأمير أبو علي عمر الخروج على أبيه أبي سعد ثم كان الصلح بينهما على أن يولي أبي علي سجلماسة حيث ولي السلطان أبو سعيد عثمان لابته علي (ت 731 هـ/1331م) فدخل توات سنة 715 هـ. ينظر: أحمد الناصري الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى،، تح: جعفر و محمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954 ص 105.

3- أحمد الناصري، المصدر نفسه، ج3، ص 107.

4- خير الدين، شترة، مرجع سابق، ج2، ص 88.

5- يحي بن يدير بن عتيق التادلسي (ت 877 هـ / 1472 م)، دخل توات سنة 854 هـ تصدر لتحفيز القرآن الكريم و قواعد اللغة العربية، كان شيخا للمغلي، تولى القضاء و عرف باستقامته، ينظر: محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، مرجع سابق، ص 19.

6- هو الشيخ عبد الله بن أبي بكر العصوني (ت 914 هـ / 1508م)، حل بتوات مع عائلته سنة 862 هـ من تلمسان مستقرا في تمنطيط، تولى القضاء بعد شيخه بم يدير سنة 877 هـ، عرف بقضية مخالفة للمغلي. ينظر: تقييد في تاريخ الأخبار التواتية، مصدر سابق، ص 14. ينظر أيضا: المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط و دور الإمام المغلي لها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، ع:94، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، جويلية- أوت 1986، ص ص 81-82.



على أن توات بكل أقطارها لم تكن يوماً قطعة من المغرب الأقصى و إن تبعت في فترات متلاحقة لم يكن إلا تبعية خنوع من ضعيف لا يملك نفس المقومات و المؤهلات لتوازن معادلة النزال¹.
 لكن السعديين لم يغيروا من إدارة و سياسة توات بحيث أبقوا على شيوخ تمنطيط و كلف أحد شيوخها "عمر بن محمد" شيخ القبيلة، علي بن موسى على تسيير شؤون البلاد و جمع الجبايات و الضرائب و بعثها إلى مراكش²
 ثم تسلم زمام بلاد توات يد الحكم العلوي الذين خلفوا السعديين نظراً لأهمية توات الاقتصادية، فتذكر بعض المصادر أن أول ملوك العلويين من دخل توات هو المولى محمد بن علي الشريف (ت 1075هـ/1664م)³، مكث فيها أربعة شهور، فعين القيادة في أهل تيمي بدلا من تمنطيط⁴، مرغماً السكان بدفع الضرائب السنوية للمخزن. فامتدت السلطة العلوية في توات و تيكورارين و في أهل أوقروت⁵، كلهم تحت طاعة صاحب سجلماسة⁶.

هذه هي تسلسل التبعية و النفوذ المغربي بسلطاته المختلفة المرينية، السعدية و العلوية بحيث تتوقف عند القرن الحادي عشر الهجري مما يجعلنا نعلم أن مصلحة تلك الدول المجاورة كانت

1- ابن عبد الكريم، محمد بن عبد الحق، تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط، مخطوط بجزنة أولاد القاضي، تمنطيط أدرار الورقة 04.

2- الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 139.

3- محمد باي، بلعالم، مرجع سابق، ج 2، ص 64.

4- يرى ابن عبد الكريم في تقييده خاص بتاريخ توات أن دور تمنطيط في أخذ الريادة في المناصب العليا قد ولى بعدما عينت تيمي عاصمة للإقليم بسبب تراجع الاقتصاد في المنطقة في القرن 11 هجري و بذلك ستتقل مناصب القضاء إلى توات الوسطى. ينظر: ابن عبد الكريم، التقييد السابق، الورقة 04 و ما بعدها.

5- أوقروت: سميت أوكروت و هي قرية كثيرة ذات نخيل جم و هي معدودة من بلاد تيجورارين... ينظر: عبد الرحم بعثمان، القضاء في توات، مرجع سابق، ص 55، أما العياشي، أبو سالم فيصف أوكروت بهذا الرسم: " و هي آخر البلاد التي هي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماسة- رحمة الله... قاصدين إلى وركلا، ثم يصف واد أمكيدن بانه غزير الماء وعذبه" ينظر العياشي، مصدر سابق، ج 1، ص 63.

6- العياشي، نفسه، ج1، ص 63.

تسعى للسيطرة على الإقليم مهما تغيرت رجالات الحكم لأن الهدف واحد هو السيطرة على طريق الذهب.

في نهاية الدراسة مونوغرافية لإقليم يمكن اعتبار الإشارة لأصل التسمية مثلي مثل أي باحث تناول توات بالدراسة سواء فقهية، عمرانية أو ثقافية هي دراسة نمطية توقع في السرد والتكرار و كأن إقليم توات هو الوحيد الذي تطرح مسألة تسميته و تتضارب تبعيتها بين العربية أو البربرية أو حتى الغربية؛ و هي مغالطة أوقعتنا فيها الدراسات السابقة و التي كان علينا تفاديها و الإشارة إليها في الإحالات، لأن الواقع يؤكد أن معظم المناطق و الأمصار التابعة لبلاد المغرب الإسلامي شرقا و غربا و شمالا و جنوبا تحمل أسماء بربرية تعود إلى أصل سكانها و لم نجد لها أخذت ذلك الحجم الذي أخذته منطقة توات.

أما الدراسة الجغرافية فتتيح لنا فهم مسائل كثيرة منها أهمية موقع توات في خلفيته السياسية و الامتياز الاقتصادي، إذ يعتبر مسلكا تجاريا عابر للصحراء خاصة السودان الغربي و الساحل وقد كانت توات منطقة قصورية بامتياز، حاولنا عرضها و التعريف بها و توزيعها على المناطق الثلاثة (قورارة، توات الوسطى، تيديكلت)، و التي تحمل في غالبيتها أسماء زناتية و بعد الهجرات العربية بدأت تظهر للأفق بعض القصور ذات الأسماء العربية مثل قصر أولاد سعيد، قصور أولاد القاضي، قصر أولاد يعقوب وغيرها من القصور باعتبارها كانت حواضر ثقافية أو عواصم سياسية أو مراكز تجارية (تيميمون، تمنطيط، عين صالح).

ثم إن الدراسة المونوغرافية تتيح فهم التركيبة السكانية أو ما يسمى بالجغرافية البشرية للمنطقة المركبة من أهم القبائل التي توطنت المنطقة كالقبائل الزناتية و الصنهاجية ثم قبائل المعقل و القبائل الهلالية و بعد ذلك وصول الهجرات السودانية الإفريقية، و كما كانت توات محل المد

البشري كانت قبة للتجار و محل للاستقرار لمختلف القبائل التي استأنست و استأمنت المكان و بالتالي التأكيد على أن البلاد التواتية بلاد إسلامية بالاختطاط مبرزين.

و أما دراستها السياسية فكانت مستقلة استقلالاً ذاتياً حيناً وحيناً آخر تابعة لسلطة معينة خاصة منها السلطة المغربية من العهد المريني إلى العهد العلوي، مؤكداً على أن هذه التبعية كانت تبعية خنوع و إذعان فقط احتكاماً لميزان القوة التي لم تتوفر لدى سكان الإقليم أما معنويًا و جغرافياً فكانت أرضاً تابعة للمغرب الأوسط.

عموماً كان هذا العرض بداية لمعرفة الظروف التي عاشتها المنطقة منذ أول عهدها بالإسلام إلى غاية القرن العاشر هجري ليتسنى بذلك معرفة الخلفية التي على أساسها نشأت بيوتات علمية لم تتضح معالمها إلا مع القرن الحادي عشر هجري.

الفصل الأول:

بولار النهضة و ظاهرة البيوتك العلمية

من القرن 7 هـ إلى القرن 11 هـ

- 1- الأوضاع العامة في الإقليم قبيل القرن السابع هجري.
- 2- دور الوفادة العلمية في تفعيل الحراك الثقافي.
- 3- ظاهرة البيوتات العلمية و تمثيلها في الإقليم.
- 4- البيوتات العلمية التواتية من القرن 8 هجري إلى القرن 11 هجري.

1- الأوضاع العامة قبيل القرن 7 هجري و بداية القرن 9 هجري.

لمعرفة طبيعة الأوضاع التي عاشها إقليم توات قبيل القرن السابع هجري ينبغي منا تتبع كل ما تعلق بالإقليم من الأحوال: نمط المعيشة، الأوضاع الاجتماعية و السياسية، أو من خلال موقعها الجغرافي، لتتمكن من قراءة الوضع قراءة وافية، وقد ركزت علي القرن السابع بالضبط لأنه يمثل بداية انبعاث الإقليم في شتى المجالات، كما يمثل تغير في الخارطة الاقتصادية في كل الغرب الإسلامي لتصبح توات حلقة وصل لشبكة الطرق التجارية الرابطة بين جوانب الشمال و الجنوب.

ولقد سبق وأشرنا إلى أصول السكان في توات و عرفنا أنها تشكل مزيجا من الأجناس و الطوائف بل قل أن توات عرفت زحفا بشريا منقطع النظر قبيل القرن السابع، مما شكل بؤرا للنزاع و التوتر خاصة بين البربر -صنهاجة و زناتة- و بين العنصر العربي بعد وصول عرب المعقل و تبعتها الهجرات الهلالية¹، لكن وصول العرب و استقرارهم بالصحراء فرض نوعا من الزعامة على جميع المستويات خاصة منها التعريب الذي شمل لسان سكانها و أسماء قصورها و مع جعل الإقليم خاضعا لزعامتها حتى أنهم فرضوا الضرائب و الإتاوات على سكانها²، ذلك قبل أن تتبع توات إلى زعامة الدولة المرينية ثم السعدية و العلوية.

1- مبارك، جعفري، المكتبات و الخزائن الخاصة و دورها في المحافظة على المخطوطات - منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري نموذجا، المؤتمر الدولي الأول للمخطوطات و الوثائق التاريخية، ماليزيا- يومي 20 21 رجب 1437 هـ / 27-28 أبريل، ص ص 01-06. ينظر أيضا: عبد الرحمن بعثمان، القضاء في توات، مرجع سابق، ص 95.

2- محمد بن عبد الكريم، درة الأقاليم، المرجع السابق، ص 103، بحيث أن توات عرفت الزعامة العربية المعقلية إن صح التعبير ذلك ما أكده الناصري حين يقول: "و ارتحل (أبو علي) إلى سحلماسة سنة خمس عشر و سبعمائة، فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة... واستخدم طواعن العرب من بني معقل، وافتتح معاقل الصحراء و قصور توات...". ينظر: الناصري، المصدر السابق، ج 03، ص 107.

عرفت توات توتر و عدم استقرار داخلي بسبب الخلاف الحاصل بين القبائل، خاصة الحرب التي عرفت باسم "يحمد و سفيان"¹، ولا نجد لها وصفا و تعبيرا أدق مما قاله صاحب درة الأقاليم ملخصا شدة حدة الخصومة قائلا: "و الأعجب منه يجتمع الشخصان لم ير أحدهما الآخر قط فإذا أخبره أنه من فئة سفيان كرهه أشد الكراهية حيث كان هو من فئة يحمد و لعمرى إن ذلك لعداوة شيطانية"². و هناك خلاف في تحديد تاريخ ذلك التوتر، غير أن أحد مؤرخي المنطقة يؤكد أن الحرب تزامنت و عهد الدولة الموحدية، بحيث يذكر أن يوسف بن علي أوفد إلى توات سنة 560هـ/1165م عامله الطاهر بن علي و قاضيا يسمى علي بن يوسف لحل ذلك الخلاف³، ولم تكن تلك الفتنة الوحيدة التي عرفها الإقليم، بل قد عصفت بالمنطقة غارات و حروب تسببت نوعا ما في تعثر ركب النهضة العلمية، ففي سنة 630هـ هاجم أهل أقبور توات - تمنطيط- و ألحقوا بها أضرار كبيرة خاصة قصر أزقور الشارف و إينغر...⁴، ثم في سنة 675 هجري يجتاح غزو من أرض أتشيت أن شيتت على قصر المنصور و تامست و أهل

1- ينسب البعض هذه التسمية لحدة الصراع القائم بينهما كما وقع بين ففة أحمد و هم المسلمون و ففة قريش بقيادة أبي سفيان و هم الكفار. ينظر: محمد عبد الكريم، مرجع سابق، الورقة 10. و أما البعض الآخر فيرجع التسمية إلى البرامكة الفارين من بطش العباسيين و كان أول من دخل منهم الأخوين موسى و أحمد، فاستقروا في تاخيفت و امتلأت الأرض بشراقتها، فأراد الأخ أحمد أن يقتسم الأرزاق، لكن موسى اقترح على أخيه أن يمهل سنة و وضع جبلان، واحد في قصر المنصور و الثاني في بوعلي، ولما انقضت السنة وجد جبل منصور قد دفن في الرمال فاختر موسى بوعلي قبل أحمد القسمة و اشترط أن يزرع من حيز فسيل نخيل بوعلي فرفض موسى فدخل أحمد وشيعته و انزع الفسيل ليشتد نار الحرب بين الأخوين لذلك سميت حرب أحمد و سفيان كناية على حرب أحمد وأخيه موسى. ينظر: عبد الرحمن، بعثمان، المرجع السابق، ص ص 97-98.

2- محمد بن عبد الكريم، مرجع السابق، الورقة 103.

3- نفسه، التقييد، مرجع سابق، الورقة 02.

4- محمد باي، بلعالم، محاضرة "التعريف ببعض جوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارته"، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 45.

واد الجنة¹، ثم سنة 690 هجري/ 1290 يحل على توات بلاء من جيش عبدة، بحيث ارتكبوا مناكر عظيمة². و في سنة 986 ه/ 1578 م توجه قبائل تافيلالت بحملة قوية على بلاد توات ألحقت بها أضرارا وخيمة، حيث قتل ما يزيد عن 1300 من سكان توات و سبي النساء و الأطفال، و قد مثلت تلك الحملة الشرسة بداية حملات متكررة من المغرب الأقصى بقيادة السلطان السعدي المنصور الذهبي، تمخض عنها إلحاق الإقليم للحكم «السعدي» سنة 991 هـ/ 1583 م³.

هذه الصور من عدم الأمن و لا استقرار نتيجة لغياب سلطة معينة، جعلت منه عرضة للتوتر و الاعتداءات المتكررة التي كانت عاملا صارفا عن طلب العلم و تحصيله و العمل على تطويره⁴.

ومن العوامل التي ساهمت في تغيير الأوضاع العامة في توات موقعه الجغرافي المتميز و المتمثل في ارتكازه على مفترق الطرق التجارية و اعتباره أيضا من أهم معابر ركاب الحجيج هذا من جهة و من جهة أخرى ابتعاده عن بؤر التوتر في الشمال ليصبح دار أمن و استقرار كل من أراد حياة آمنة بعيدة عن الصراع و المتابعة، خاصة ما تعلق بالعلماء و الزهاد و المضطهدين من رجال الفكر.

و إن كنا بصدد الحديث عن بداية القرن السابع هجري فهو أيضا التاريخ الذي جعل من توات تعرف مرحلة انتقالية على الصعيد التجاري الاقتصادي، بعد تغير الخارطة الاقتصادية الصحراوية آنذاك بسقوط مملكة غانا الإسلامية و انتقال الزعامة إلى مملكة مالي و بالتالي تغيير المسلك

1- مختار، حساني، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، مرجع سابق، ص 97. ينظر: محمد، صالح حواتية، توات الأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 83.

2- مختار، حساني، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- عبد الكريم، كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف الظواهر الحضارية، ط2، شركة الطبع و النشر، المغرب، 1978، ص 150.

4- محمد جرادي، الدرس الفقهي في توات خلال القرنين 11 و 12 هـ، معالمه و خصائصه، مقال على الأنترنت دون بيانات، ص 379.

التجاري من مراكش و سلجلماسة ثم تنكبوا إلى توات كأنه نقطة عبور للقوافل التجارية الذاهبة و الآبية من الشمال و الجنوب¹، خاصة و أن توات عالم مفتوح على عالمين مهمين في البلاد الإسلامية- المغرب الإسلامي شمالا و السودان الغربي جنوبا². لذلك فقد كان وصف ابن خلدون وصفا دقيقا يؤكد على كونها ممرا حتميا للركبان قائلا: "وطن توات ركاب التجار المترددين من الغرب إلى بلاد مالي من السودان، اتخذوا سكانها بها الجنان من النخيل و الأعناب و سائر الفواكه..."³. تم يصف الفشتالي الإقليم التواتي وصفا يؤكد فيه غنى و ثراء الإقليم من عدة جوانب قائلا: "...و بالجملة فالقطران عالم من عوالم الأرض و إقليم من أقاليم الدنيا بما جمع من الأمم و تراكم فيه من قصور و اتصل به العمران و تخلله من العيون ذات الآبار و النخيل المرخي على أكتافه جناحا من الليل الدامس..."⁴.

هذا الوصف الدقيق يجعلنا نتأكد جازمين أن سيطرة السعديين على الإقليم كان قائما على النهب و السلب قبل أن يكون تخطيطا لتعبيد الطريق أمام ذهب بلاد السودان.

1- حسن، الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 167.

2- مبارك، جعفري، المكتبات و الخزائن، مرجع سابق، ص 05. و عن التجارة و الطريق العابر لإقليم توات كان السيطرة فيه لليهود بشكل شبه تام، فقد كان على رأس كل قافلة يهودي يقودها، وقد ارتادوا تجارة الرقيق و الملح و الذهب خاصة ذهب غانا، ينظر: محمد، قومي، دور طائفة اليهودية، مرجع سابق، ص 91.

3- عبد الرحمن، ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 76.

4- عبد العزيز، الفشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 73.

2- دور الوفادة¹ العلمية في دفع الحراك الثقافي:

نقصد بالوفادة العلمية جموع العلماء و الشيوخ الصلحاء الذين أقبلوا على بلاد توات راغبين أو زاهدين أو ساعين للابتعاد عن الفتن و عوادي الزمن، فكانت وفادة خير على أهلها فأحسنوا إفادتهم، و لأن سكان الإقليم يقدرّون أهل العلم خاصة منها العلوم الشرعية كالفقه و الحديث و التفسير، بسطوا أيديهم العطايا و الأرزاق و حسن الاستقبال حتى يتسنى لجموع هؤلاء العلماء البقاء في البلاد.

فأهل توات عرفوا بهذه الخاصية مع الغرباء الوافدون فما بالك بالعلماء المسلمون و هي شهادة الرحالة الألماني جيرها رد رولف قائلا: "أنهم قوم يحبون الغرباء و يحترمون رجال الدين..."². أما وصول هؤلاء العلماء ما بين القرن السادس و السابع كالعالم الشيخ سليمان بن علي الإدريسي (ت 670هـ) و القاضي عيسى بن محمد البطوي (ت ما بعد 714 هـ) و العالم الشيخ أبي يحيى المنباري (ت 840هـ)³ و العالم القاضي عبد الله العصنوني و الشيخ العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي و غيرهم الكثر أعطى للإقليم دفعا قويا أخرجه من بوتقة الجهالة إلى منارة الفهم و الدراية.

بدأت توات تشهد نهضة معرفية رويدا رويدا شمل مجالات كثيرة، فمن العلماء من أدخل الكتب و الأسانيد فقهية كمختصر خليل⁴ و رسالة القيرواني (ت 386 هـ) و منهم بل جلهم

1- الوفادة: مصدر علة وفد و هي عن وفد إليه أو وفد عليهن قال تعالى: "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا" سورة مريم، الآية 85، قال الأصمعي: "وفد فلام يفد وفادة إذا خرج إلى الملك الأمير، وقيل الوفد هم الركبان المكرمون. ينظر: ابن المنظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13(ل.و.ي) ص312

2-Gerhard, R, op cit, P 204

3- لقد أفردت لكل واحد من هؤلاء العلماء ترجمة خاصة به في نهاية هذا المحور.

4- لقد كان الشيخ العالم ميمون بن عمرو بن محمد الباز (ت 901 هـ/1496 م) القادم من فاس مع أبيه أول من أدخل مختصر خليل إلى توات بعد أن اشتراه بأربع مثاقيل ذهب بعد اختلافه مع العلماء و الطلبة على نازلة فقهية. ينظر: جوهر المعاني، مرجع سابق، ج1، الورقة 43.

الشيخ مولاي سليمان الذي أجابه طائعا، وقد أوصاه أبوه بأن يحفر بئرا إذا وصل و يرد التراب في البئر فإذا استوعب البئر التراب كان محل إقامته¹.

و فعلا قام بتنفيذ وصية والده فوجد في تراب أرض تيمي ضالته فتبرك بأهلها و استقر هناك و أسس أول زاوية له بعد أن ارتحل إلى أولاد أوثن سنة 594، ثم كانت له خزانة عامرة بالمخطوطات، يقال أنه أول من أدخل الرسالة لأبي زيد القيرواني إلى توات، كان عالما معلما أقبلت عليه جموع الطلبة من كل مكان، يقول فيه الشيخ عبد القادر التنيلاني: "وكان ذو منزلة عظيمة في النفوس و من كبار المشايخ، صاحب الآيات و الكرامات و قبره أحد المزارات..."

العالم: عيسى بن محمد البطوي² (ت ما بعد 714 هـ / 1314م):

لم برد تاريخا لمولده بالضبط، لذلك يمكن إيعازه للقرن السابع الهجري، نزيل توات في حدود سنة 714 هـ / 1314م، كان عالما فاضلا تقيا ورعا، فقد شهد له بصفاته المحمودة و أخلاقه المشهودة في أولاد أحمد بتمنطيط، لذلك اختير لأن يكون قاضي الجماعة فيهم فقضى بينهم بالعدل والإنصاف.

بنى مسجدا جامعاً في القصر، و يذكر أن صومعته كانت عالية تشرف على جميع الجهات في تمنطيط و لما أنهى تشيدها أمر بان تنقل صلاة الجمعة في مسجده، لكن أهل تايلوت و أولاد يعقوب رفضوا و منعه من فعل ذلك³، لكن لم يرجع عن ذلك حتى نقل صلاة الجمعة. وعن سنة

1- محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 35 وما بعدها. ينظر أيضا: عبد الحميد، البكري، النبذة ص 95، سلسلة النواة، مرجع سابق، ج 1، ص 92. توات و الأزواد، مرجع سابق، ج 1، ص 274.

2- محمد العالم، البكراوي، ترجمة و جيزة لبعض علماء توات، مخطوط بخزانة كوسام، أردار، ص ص 01-02. ينظر أيضا: عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 79. محفوظ بن ساعد، بوكراع، الفرقد الناثر، مرجع سابق، ص 392. ينظر أيضا: عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان و توات، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 568.

3- يورد صاحب الترجمة الوجيزة تلك القصة كما يلي: "... و لما أراد نقل الجمعة عارضه أهل تايلوت و أولاد يعقوب محتجين بأن الجمعة للعتيق فرغ للأمر أبي علي عمر بن السلطان عثمان فأمر بالإقامة الجمعة في الجامعين معا فأقيمت فيهما...". ينظر: البكراوي، ترجمة و جيزة، المصدر نفسه، ص ص 02-03. ينظر: عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 277.

وفاته لم تسعفن المصادر و لا مراجع عن ثبوتها غير؟ أنهم جعلوها بعد سنة قدومه إلى توات عام 1314/714 م.

العالم: أبو يحيى محمد بن محمد المنيارى¹ التمنيطي (ت 840 هـ / 1436 م):

وصل هذا العالم الجليل إلى توات سنة 815 هـ بقرية تجعفرت غرب قصر عمرو يوسف بحيث ينسب صاحب القول البسيط نفسه إلى هذا العالم الجليل: "جدنا سيدي يحيى بن محمد المنيارى... نسبة بني منيارة من العرب المعرفة بأرض التيلوت..."²، عرف عن العالم الصلاح و النبوغ فاتفقت الجماعة بتوليئه القضاء في نفس سنة قدومه فخصوه بمؤونة قدرها خمسمائة مثقال في السنة، فانتظم في منصبه و اتخذ الموازين و ضبط القوانين، انتفع به كل ضعيف و صاحب حاجة، بقى في القضاء إلى وافته المنية سنة 480 هـ / 1436 م³.

العالم: يحيى بن يدير⁴ بن عتيق التادلسي (ت 877 هـ / 1472 م):

هو العالم الرباني أبو زكرياء بن يدير بن عتيق التادلسي، التلمساني التمنيطي، اختلفت الروايات في تحديد سنة نزوله بتوات منهم يم يجعلها سنة 840 هـ و منهم من يؤكد على سنة 845 هـ و هي السنة التي ولى فيها القضاء، لقد أثرى بنزوله النشاط العلمي في المنطقة بان قيد مسألة و نوازل كثيرة و جلس على كرسي العلماء للتعليم فأفادوا منه خلق كثير، أعطى حياته كلها

1- هو محمد أبو يحيى بن محمد المنيارى نسبة إلى بني منيار قبيلة من العرب معروفة بأرض التلول خاليا ضواحي مدينة سعيدة، يقال أن أصل نسبهم إلى قريش. ينظر: ابن بابا حيدا، القول البسيط، مصدر سابق، ص. 112 عبد الحق التمنيطي، جوهرة المعاني، مرجع سابق، الورقة 34، عبد الحميد، البكري، النبذة، المرجع فيه، ص 80. مبارك جعفري مرجع سابق، ص 22. عبد الرحمن، عثمان، القضاء في توات، مرجع سابق، ص 12. محفوظ، بوكراع، المرجع السابق ص 352.

2- ابن بابا، حيدا، القول البسيط، نفسه، ص 12.

3- تذكر المصادر أن هو من وضع اللبنة الأساسية للقصر في تمنيط. ينظر: محفوظ، بوكراع، نفسه، الصفحة نفسها.

4- يذكره المؤرخون برسم مختلف من بدير إلى يدير أو يدير. ينظر: أبو العباس المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال تج: محمد الأحمدى أبو النور، ج3، دار التراث و المكتبة العتيقة بتونس و القاهرة، 1981، ص 336. ينظر: محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام، مصدر سابق، ص 19. أحمد بابا، التنيكي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 1، ص 2، ص 637. عبد الحميد البكري، النبذة، نفسه، ص ص 96-97. عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق ص 402.

للعلم و التعليم وأتمّ الرسالة التي تلقاها من مشايخه أمثال أبو عبد الله بن العباس التلمساني إمام النحويين و الشيخ محمد بن أحمد العقباني و الإمام ابن زاغو و غيرهم.

ومن العلماء الذين استفادوا من علمه، العالم أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الحفيد و العالم الشيخ عبد الله العصنوني و العالم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.

استلم القضاء في توات على يد جماعته بعدما التمسوا عدله و نباهته فقد كان عالماً مفوّهاً في علم الفقه الملكي، فلم يخاف في الله لومة لائم، و كما اختلف المؤرخون في سنة مجيئه إلى توات قد اختلفوا في سنة وفاته و مكان دفنه فتجمع بعض المصادر أنه توفي سنة 877 هـ في تمنطيط و دفن فيها و قبره لا يزال مزاراً للناس و البعض الآخر يؤمن أنه توفي في قسنطينة و دفن هناك¹.

العالم: موسى بن مسعود² (ت 920 هـ / 1514م):

يذكر انه من ذرية العالم الجليل عبد القادر الجيلاني، ولد بأولاد سعيد عام 733 هـ / 1332م على التقريب، نشأ في رعايه والده، فكان خير خلف لخير سلف، حيث تلقى علومه الأولى على يده، ثم واصل تعليمه عند كبار العلماء منهم الشيخ أحمد بن يوسف الملياني الراشدي طاف هذا العالم على قرى كثيرة منها قرية حاج قلمان أين دفن والده بالقرارة، قرية أم السعد "كالي" تميمون.

1- عن اختلاف المصادر في مسألة وفاته ومكان دفنه إن كان في تمنطيط أو قسنطينة، فقد أورد عبد الحميد البكري نقلاً عن درة الأقاليم أنه توفي و دفن في مقبرة سيدي علي ابن موسى، بينما يذكر أحمد بابا التنبكي أنه نقل عن تلميذ ابن عبد الكريم المغيلي أن وفاته كانت يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة و سبعين و ثمانمائة في قسنطينة وهو الأرجح اعتماداً على قول التنبكي الذي يعد مصدراً وثيقاً. ينظر التنبكي، أحمد بابا، النيل، المصدر السابق، 637.

2- عن سنة ولادته فهي غير مؤكدة لكن الغالب على حسب ما وجدته في بعض التراجم أنها ما بين 773-783، يقول عنه صاحب الدرّة الفاخرة ما يلي: "صاحب المآثر العديدة و المكارم الحميدة بشهرة حسبه و نسبه الغني عن التعريف قدس الله ثراه..." ينظر في ترجمته كل من: محمد عبد القادر بن عمر ابن عبد الرحمن التتلاقي، الدرّة الفاخرة، مرجع سابق الورقة 23. مولاي التهامي، غيتاوي سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج3، ج1 المطبعة الحديثة، الجزائر، 2001، ص ص 25-26. الحاج الصديق، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 55. محفوظ بوكراع، عبد الحق حميش، الموسوعة مرجع سابق، ص ص 557-558. عبد الحميد، البكري، النبذة، المرجع السابق ص 95.

رجع إلى مسقط رأسه فدرس جموع الطلبة منهم: الشيخ الهواري بأغلاذ بأولاد سعيد الشيخ عبد الله بن سموطة، و الشيخ عومر الوقروتي، كلهم من خيرة علماء المنطقة. لقد كان لهذا العالم مناقب جليلة و منافع كثيرة، حيث يعود له الفصل في بناء سوق كبيرة ما زال يعرف لحد الآن باسمه، وقد بناه ليغير بيده منكرًا أظهره اليهود الذين أفسحوا الرى في معاملاتهم و أقفلوا على الناس بالديون، فكان هذا السوق منافسًا لسوق اليهود بمعاملات مشروعة، و هو بذلك يسبق عبد الكريم المغيلي في كشف عدم التزام اليهود بذمتهم مما يؤكد موقف الشيخ المغيلي من هؤلاء اليهود¹.

لقد عمر الشيخ طويلا حسب ما ذكر في المصادر و ترك ذرية مباركة منهم الشيخ إبراهيم قاضي تميمون السيد أحمد بناحية ظلمين و السيد محمد المعروف بمحي الدين الموتى و ابنه أحمد بتاسفاوت.

توفي رحمة الله سنة 920 هـ/1515م²، ودفن بتاسفاوت ناحية قرارة بعد أن ترك وصية

للعالم الشيخ الحاج أبو القاسم³.

1- مسألة موقف الشيخ المغيلي مع اليهود و عدم التزام بشروط الذمة سنأتي على ذكرها في الجزء الخاص بالمجال الإصلاحى و الدعي من الفصل الأول في الباب الثاني من هذا العمل.

2- نجد عدم تحقيق في معظم سنوات الميلاد و الوفاة فعن الشيخ موسى بن مسعود نجد سنة وفاته في 991هـ و هذا عند صاحب كتاب، سلسلة النواة في الجزء الثالث الصفحة رقم 26.

3- العالم الشيخ الحاج أبو القاسم صاحب الزاوية المعروفة قرب تميمون من علماء القرن العاشر هجري له المناقب الكثيرة و المنافع الجليلة سنأتي على ترجمته في فصل البيوتات العلمية.

3- التعريف بظاهرة البيوتات العلمية و تمثيلها في الإقليم:

تعد ظاهرة البيت العلمي¹ في المجتمع الإسلامي أثناء فترة العصور الوسطى مؤشر على تفوق هذه الأمة في جميع مجالات الحياة، حيث يصبح كعب العلم ظاهر على أبناء البيت الواحد و هي دليل على علو الهمة الحضارية لدى الأمة بأكملها في جميع أقاليمها، و قد اعتمد هذا المصطلح كدليل على تميز و تفرد بعض الأسر على مثيلاتها في جملة من الخصائص أهمها التميز في العلوم و إنجاب العلماء جيلا بعد جيل².

وقد اصطلح على تلك الأسر بالبيت و جمعها ببيوتات بدل كلمة الأسر ذلك لتجلي الأولى عن الثانية في أمهات الكتب و في القرآن الكريم، حيث يصف الله عز وجل مكانة و شرف آل النبي محمد صلى الله عليه و سلم في سورة الأحزاب. بعد بسم الله الرحمن الرحيم: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"³. فقد أورد الكثير من المؤرخين معنى الشرف عند ذكر كلمة بيت، فمثلا ذهب الزمخشري إلى أن صفة الشرف تعني تخصيص فلان عن فلان و ينعته بأهل البيوتات معبرا بذلك على أنه من بيت كريم.

فقد ذهب أهل اللغة و البلاغة أن معنى البيت يتلازم مع صفة الشرف و يغلب استعمال مصطلح بيوتات على أشرف البيوت⁴، و هذا ما أكده الزمخشري حين ذكر أن أصحاب البيوت الكريمة- الشريفة- ينعت صاحبها لفلان من أهل البيوتات⁵.

1- البيت: جمعها بيئات أو بيوت و جمع الجمع بيوتات للدلالة على خاصية أهلها، و قد أورد ابن منظور ما يلي: العرب تقول فلان بيت قومه أي شرفهم، و يقال بيت العرب أي شرفها و البيت من بيوتات العرب الذي يضم الشرف كأن يقال بيت تميم في بني حنظلة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج1، ص 393.

2- لزغم فوزية، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي (1830-1520/1246-929م) أطروحة دكتوراه في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، إشراف: محمد بن معمر، 2013-2014، ص 25.

3- سورة الأحزاب الآية 33.

4- لزغم فوزية، المرجع نفسه، ص 25.

5- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرحيم محمود، دار المعارف للطباعة و النشر، بيروت، ص 34.

ولقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موطن لفظة "آل" التي خصّها الله عز وجل لبيوت النبوة التي اصطفاهما على العالمين، فكانت بيوت عز وشرف الرسالة كأن وصف أهل إبراهيم صلاة الله عليه و على آله وأهل عمران و أهل النبي صلى الله عليه و سلم¹، فقال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ"². و قال تعالى: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا"³.

ويضيف ابن خلدون فصلا آخر شارحا فيه منشأ البيت العملي القائم على أصالة الشرف و ذكر أن معنى الشرف و الحسب إنما هو بالخلال، فمعنى الحسب راجع للنسب قالوا: " ذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال، ومعنى البيت أن يعد الرجل في آبائه أشرافاً مذكورين، تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلّة في أهل جلدته،...والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن"⁴.

انتقى ابن خلدون هذا الفهم من قول الرسول صلى الله عليه و سلم: "النَّاسُ مَعَادِنٌ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا"⁵.

إن حديث النبي صلى الله عليه و سلم يؤكد أن مسألة الأصل في النسب مثل أصل الذهب في المعادن، لكنه صلى الله عليه و سلم يضع إذا الشرطية التي تعزز مسألة أنه لا يكفي

1- رشيد، يماني، البيوتات العلمية في الأندلس النصرية خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين - دراسة تحليلية و توثيقية أطروحة دكتوراه في التاريخ السياسي و الثقافي للمغرب الإسلامي، إشراف مبخوت بودواية، جامعة تلمسان سنة 2014-2015، ص ص 12-13.

2- سورة آل عمران، الآية 33-34.

3- سورة الأحزاب الآية 33.

4- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 147.

5- رواه البخاري و مسلم و اللفظ له، رقم (3383)، 2638، وعن ساق الحديث حديث رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: "تجدون النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا" و معنى الحديث ذكره: ابن حجر العسقلاني في كتابه، فتح الباري شرح صحيح البخاري دار الريان للتراث، 1986.

و عن الحديث الأول أيضا: رواه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب- باب الأرواح جنود مجنودة، رقم 2638.

الأصل و النسب و أحدهما لجلاء بيت عن بيت آخر، بل يجب أن يلازمهما الفهم و الفقه الذي لخصه صلى الله عليه و سلم في العلم و العمل، بحيث يقول عليه الصلاة و السلام في موضع آخر: " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"¹.

ويشترط ابن خلدون على غرار المؤرخين المتقدمين أن البيت ينسب لأربعة آباء في الغالب وهؤلاء الأربعة صنفهم كما يلي: الأب الأول سماه الباني و الثاني المباشر له و الثالث المقلد و الرابع و هو الهادم أو الحاطم الذي يهدم البيت على يديه². لقد استوحى الرقم أربعة من خلال حديث النبي صلى الله عليه و سلم: "إنما الكَرِيمُ ابْنُ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ"³. في هذا المعنى يقول النسابة صاحب "زهرة الآس" ما معناه أن أصل البيوت أربعة آباء، مستدلاً بقول ابن خلدون ثم معتمداً على قول أحد ملوك و حكماء بني أموية هشام بن عبد الملك، بحيث يجعل من مصطلح بيت نعت للتمييز و الاستثناء تتوفر فيه المجد و التعظيم و العز و الشرف، و إن كان خلدون يجعل في العدد أربعة حداً أقصى للبيت المعلوم بحيث يكون الرابع هادماً له، فإن الكتاني يزيد عن هذا قائلاً: "وقد يزيد فضلاً من الله و نعمه"⁴. و يستشهد بقول هشام بن عبد الملك: "البيت هو ما كان له سابقة ولاحقة، و عماد حال و مساك دهر، فإن كان كذلك، فهو بيت"⁴.

1- رواه أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم 1023 الجزء الرابع من باب استحباب الاجتماع على القراءة، رياض الصالحين للإمام النووي، ص 705.

2- ابن خلدون المقدمة، المصدر السابق، ص 150.

3- البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تح: مصطفى الفاء، ج3، دار ابن كثير، 1987، ص 1237، حديث رقم 3202، كما يذكر هذا الحديث ابن خلدون في مقدمته الصفحة 150.

4- محمد عبد الكبير هشام الكتاني، الأكياس و مفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الآس في بيوتات أهل فاس تح: بن المنتصر الكتاني، ج1، ط1، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002، ص 45. كما يقصد بالسابقة: الشرف في الأسلاف و اللاحقة ما لحق بهم من الأبناء، عماد الحال، الثروة و مسالك الحال الدهر الجاه. ينظر: الكتاني، المرجع نفسه، ص 45.

هذا وإن حاولنا تفصيل هذا المعنى للبيوتات العلمية في المساحة الجغرافية و الزمانية لإقليم توات، ستواجهنا العديد من العقبات منها ما تعلق بالركائز الأساسية لبناء و تنشئة تلك البيوتات العلمية، باعتبار أن فترة القرن السابع و الحادي عشر هجريين لم تكن مهياًة لظهور البيوتات لعوارض كثيرة أهمها عدم توفر الأجيال الثلاثة في تكوين البيت العلمي الواحد كحد أدنى، و من جهة أخرى تأخر النهضة العلمية في الإقليم قيضت نوعاً ما في تشكيلها، و أن ما اعتبرناها من البيوت العلمية ربما لم تكن تتألف سوى من عالم واحد.

لكن ما أعطى دفعا قويا في بداية تشكيل البيئة المناسبة هو وصول العلماء من دول الجوار و غالبا ما يكون هؤلاء العلماء من أصول شريفة ثابتة، فبدأ الإقليم شيئا فشيئا يشهد استقرار في جميع المستويات وبدأت تتمثل الركائز الأساسية لتلك البيوتات في أواخر القرن العاشر هجري المتمثلة في العلم، النسب، الولاية و الجاه.

فقد اعتبرت فترة القرنين الثامن و التاسع هجريين مرحلة غراس ساهمت في تمثل الأسر و البيوتات العلمية في الإقليم فسميها بظاهرة البيوتات العلمية بحكم أن المدلول اللغوي لكلمة ظاهرة هي الأمر الذي ينجم بين الناس، فقد تجلي هذا التعريف في أمر ظهورها وهو أمر طارئ على البلاد، باعتبار نواة تشكيلها وافدة على الإقليم، ففي تلك الفترة لم تكن للأقاليم الإسلامية حدود ولا للعلم و العلماء جنسية، فمثلا كثير من البيوتات العلمية في حاضرة تلمسان لم تكن من أصول تلمسانية بل ربما من الأندلس أو تونس و غيرها كالأسرة العقبلانية و أبناء الإمام و غيرهم الكثير.

ما يمكن أن نختتم به هذا المحور أن الوفادة العلمية و تأصيل اللغة العربية و عامل الاستقرار ووصول الأشراف كلها عوامل شكلت ركائز أساسية أثمرت ولادة بيوتات علمية وضعت بصمتها في توات و العالم الإسلامي عامة و الغرب الإسلامي خاصة، على سبيل المثال لا الحصر، بيت العصنوني، بيت المغيلي، البيت البكري، البيت الجنتوري و الكنتي... الخ

4- نماذج البيوتات العلمية التواتية من القرن 8 هجري إلى القرن 10 هجري.

1- التعريف بالبيت العصنوني:

يتنسب هذا البيت إلى أصل -شريف يصل إلى أبناء فاطمة الزهراء أشرف بنات المؤمنين و علي أبي طالب كرم الله وجهه، بحيث سلسل من هذا البيت علماء أجلاء كان استقرارهم في حاضرة تلمسان، وقد اصطلح على هذا البيت اسم العصنوني نسبة إلى مجده السابع عشر من سلسلة أجداده¹.

العالم: عبد الله بن أبي بكر العصنوني:

هو عبد الله بن أبي بكر بن عثمان بني أبي بكر بن موسى بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن صالح بن أحمد بن عصنون إلى أن يصل نسبه إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (رضي الله عنه) وفاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم².

وهذا الرسم للنسب وجد برسمه في تقييد مخطوط بالخزانة البكرية في تمنطيط بخط الشيخ البكري بن عبد الكريم بن البكري حيث يقول: "...وهو نسب الشيخ المبارك الناسك العابد الزاهد الفقيه العالم العلامة، القدوة الفهامة، سيدي عبد الله بن أبي بكرن و أخيه سيدي أحمد و أولادهما و أعمامها، و من تفرع منهم كما في أحمد بن غانم الهواري و أمضاه القاضي ابن سعيد العقباني، عام ثمانية و سبعين و سبعمائة 778/هـ 1376م، و القاضي سيدي أحمد بن محمد القرموني التلمساني... إلى أن قال: انتهى ما وجدته في رق جلد مكتوب بماء الذهب طوله ذراعين

1- عبد الحق التمنطيطي، درة الأقلام، مرجع سابق، بنظر أيضا: حوارة المعاني، مرجع سابق، الورقة 49. أحمد جعفري الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص 52.

2- ينظر: تقييد مخطوط حول نسب العصنوني، خزانة با عبد الله، ادرار، ص ص 01-02. ينظر: أبو العباس أحمد الونشريسي، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل إفريقيا و الأندلس و المغرب، تح: محمد حجي، ج2 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، 1980، ص 219.

و عرضه ذراع، وقد ذكر هذا النسب الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم عندما سئل عنه بمراكش عام رجب 1098 هـ/1686م¹.

وقد نسخ الشيخ البكري نسبهم الشريف لأنه يلتقي مع العالم الشيخ عبد الله العصنوني من جهة الأم².

تعتبر العائلة العصنونية من أهم العائلات العلمية في تلمسان و التي ساهمت بشكل كبير في نشاط الواقع الثقافي و الحضاري في إقليم توات مع القرن التاسع هجري³.

لم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا على أن نقف له على تاريخ ولادته، غير أنه حل و عائلته بتوات عام 862 هجري/ 1457 م⁴، كان قدوم هذا العالم من تلمسان إلى توات مهاجرا بحث عن الأمن و الأمان وقد جاء هو و أخيه محمد بن أبي بكر العصنوني في سبب قدومه إلى المنطقة يقول بعض المؤرخين أنه ربما مستهم شظايا التهمة التي مست الشيخ أحمد الونشريسي أيام حكم السلطان الزياني المتوكل (سلطان أبو ثابت الزياني)⁵. الذي غضب عليه

1- مخطوط الدررة البهية في الشجرة البكرية، خزانة كوسام، الورقة 31. ينظر: محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق ص 349.

2- يعتبر العصنوني جده لأمه، بحيث تصاهر مع بيت بن عمرو بن محمد الباز (ت 890 هـ) حين زوج ابنته فاطمة الزهراء بابن العالم عمرو الأميني و هو ميمون بن عمرو بن محمد الباز (ت 901 هـ/1496م). الذي يعتبر الجد السادس للبيت البكري، ينظر: عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 135، خير الدين شترة، مرجع سابق ج1، ص ص 148-150.

3- ينظر: عبد الحفيظ بوكراع، الفرقد النائر، نفسه، ص 349، مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 126، خير الدين شترة، نفسه، ج1، ص 148.

4- لقد أورد الباحث المهدي البوعبدلي تاريخا آخر لتزول الشيخ العصنوني إلى توات المتمثل في 875 هـ/1470م ينظر: المهدي، البوعبدلي، أعضاء على تاريخ مدينة تمنطيط و دوره الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة تصدرها وزارة الثقافة، الجزائر، جويلية- أوت 1986، ع: 94، ص ص 81-82.

5- هو السلطان الزياني المتوكل الذي حكم ما بين 866 هـ/1462م - 873 هـ/1469م، وقد وقع عهده الفتن خاصة فتنة محنة العالم الونشريسي وهو في أوج عطائه وستة أربعين سنة، فاكشف السلطان المتوكل مؤامرة للإطاحة به أو وشي له بما فاتهم العالم أحمد بن يحيى الونشريسي العالم الجزائري/ نشأ في تلمسان و عاش في فاس أين دون مؤلفه الشهر المعيار، ينظر: أبو العاس أحمد الونشريسي، المعيار مصدر سابق، ج1، ص 07.

و هدم داره سنة 874 هـ/1469 م، و قد كان العصنوني أحد معاصري الونشريسي و المغيلي محمد بن عبد الكريم، هاجر عدد كبير من علماء تلمسان إلى أصقاع العالم¹ الإسلامي خاصة توات و فاس و بجاية و مدينة الجزائر.

لذلك يعزوا كثيرا من المؤرخين هجرة آل العصنوني إلى توات إلى هذه المسألة. استقر عبد الله العصنوني في قرية بني تامر² من قرى تيمي، ثم انتقل إلى تمنطيطه حيث كان دار علم و رئاسة، حيث جلس في مجلس شيخه يحيى بن ادير التدلسي و تعلم على يديه ذلك سنة 863 هجري، ثم تصدر مجالس التدريس في توات.

و مما يروى عن الشيخ العصنوني خلال درسه أنه اختلف مع طلابه في حلقة الدرس خاصة مع ميمون بن عمرو (ت 901 هـ) في مسألة فقهية كان رأي تلميذه مخالفا لحكم شيخهن و هي مسألة سيتم أفراد شرحها في مواطن أخرى من هذا البحث.

هذا التلميذ الذي كان قدومه على توات فيه الخير الكثير كان صبها للشيخ العصنونين كان له الفضل في تأسيس بيت من بيوتات العلم في المنطقة، أيضا يعتبر أول من استقدم متن شرح خليل توات من فاس³.

أخذ العلم على يد شيوخه في تلمسان من العلماء العقباين و عن الشيخ العالم أحمد بن زكرياء المغراوي و عن جماعة من علماء بجاية هكذا يقول صاحب درة الحجال في الترجمة⁴ و عليه تتلمذ كثير من طلبة العلم كالأخوين عبد الحميد و ميمون أبناء الشيخ عمرو بن محمد

1- حسب رواية الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 82.

2- قرية بني تامر تبعد عن مدينة اداره 70 كلم، نقلا عن خير الدين شترة، ج 1، المرجع نفسه، ص 148.

3- عبد الحميد البكري، النبذة، المرجع السابق، ص 140، خير الدين شترة، مرجع سابق، ج 1، ص 149، محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 2، ص 206، ج 1، ص 411، جوهر المعاني، مصدر سابق، ص 43، سلسلة علماء توات، مرجع سابق، ص 19، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 56.

4- أبو العباس، أحمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحدي أبو النور، ج 3، ط 1. دار العتيقة تونس، دار التراث، القاهرة، 1981، ص 54-55.

الباز (ت 890 هـ/1423م)¹. ولي القضاء بعد وفاة شيخه قاضي الجماعة الشيخ يحيى بن يدير (ت 877 هـ/1472م) حتى سنة (914 هـ/1508م) وهي السنة التي ترك خطة القضاء فيها لإبن أخيه سالم بن محمد بن أبي بكر العصوني (ت 968 هـ/1560م) توفي الشيخ سنة 927 هـ/1520م².

العالم سالم بن محمد بن أبي بكر العصوني ت 968 هـ/1560م.:

هو ثاني علم من أعلام البيت العصوني في إقليم، ويمكن تصنيف هذه الأسرة بالبيوتات الصغرى غدا لم نجد ترجمة لأحفاد هذا البيت كما لم يسعفنا الحظ في معلومات أخرى عن مؤسس هذا البيت و هو الشيخ أبو بكر بن عثمان العصوني. لكن ما تفرد به هذا البيت العلمي استمرار الإتحاد بينهما و بين الأسرة الشريفة الحسنية وبين عائلة الشريف عمرو بن محمد بن الباز، حيث أصل هذا التزاوج نتج عنه البيت البكري، فالعالم الجليل سالم العصوني تصاهر هو أيضا مع ابن الشيخ العالم ميمون بن عمرو الأمري، حيث زوج ابنته فاطمة بالعالم الشيخ أحمد بن أحمد بن ميمون المكنى بأبي محمد³ هذا العالم سليل العلماء ابن محمد بن أبي بكر العصوني، ابن أخ العالم عبد الله، ولد في توات عام 885 هـ/1477م، و هي السنة التي توافق مجيء العالم الرباني الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للمرة الثانية⁴. تتلمذ على يد كبار علماء البلاد منهم عمه الشيخ عبد الله العصوني (927 هـ) ثم الشيخ أبو زكريا يحيى السوسي و الشيخ على بن زكري، كان له من

1- عبد الحق التمنيطي، جوهرة المعاني، مرجع سابق، الورقة 43-44.

2- عبد الحفيظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 350.

3- محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 2، ص 210.

4- تتمثل سنة ولادته عام 882 هـ السنة موازية لمجيء عبد الكريم المغيلي، حيث يذكر أنه جاء توات سنة 870 لأول مرة فوجد في توات العالم يحيى بن يدير فدرس على يده ثم رحل إلى أولاد سعيد بقورارة ولم يرجع إلى تمنطيط حتى وفاة شيخه ينظر: محمد بن العالم، الرحلة، ج 1، نفسه، ص 81-82.

خط التدريس حيث تخرج على يده الكثير منهم: أحمد فتحا بن أحمد بن ميمون، عبد الحميد بن أحمد بن ميمون الأمري¹.

تقلد خطة القضاء منذ 914 إلى 968. فحسنت سيرته فيها، عرف عنه خوف الله و تقواه حيث ورد انه عندما كان يجلس للفتيا اتخذ رجلا ن على رأسه يتلون قوله تعالى "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" ثم يقضي بين الخصمين²، كان له ولد اسمه أحمد بن سالم العصنوني يقال أنه كان من قضاة مصر³.

له نظم يشتمل على أخبار الجنة و النار و الحساب و العقاب يربو عن 300 بيت يذكر أنه سافر إلى السودان الغربي فأسلم على يده خلق كثير.

توفى بتوات سنة 10 ذي القعدة عند صلاة العصر من يوم الثلاثاء سنة 968 هـ / 1560م⁴.

2- التعريف ببيت المغيلي:

إننا عندما نصلح على أسرة الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي⁵ ببيت العلم فلأن شروط تأسيس البيت العلمي قد توفر فيه فقد توارث العلم أبا عن جد، إضافة إلى النسب

1- عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم، مرجع سابق، ص 515-516.

2- ابن بابا، حيداء، القول البسيط، مصدر سابق، ص 20، محمد بلعالم الرحلة، ج2، ص 210، المهدي البوعبدلي أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، مرجع سابق، ص 91.

3- عبد الحفيظ، بوكراع، مرجع سابق، ص 352.

4- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 141.

5- شخصية الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي بارز في التاريخ بأحداث ارتبطت مع اليهود ونازلتهم في توات و هو العالم العزيز التأليف المتضلع في كثير من العلوم وصفه ابن مريم في كتابه بخاتمة المحققين الإمام العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحبر أحد أذكيا العالم، و أفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم. "...المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه و سلم...". ابن مريم، مصدر سابق، ص 253. يقول عنه العالم الفقيه المفسر المصري جلال الدين السيوطي في مقطع شعري معترفا بنبيله:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله *** أثاني عن حير أقر بنبيله=

وقد نسب إلى قبيلة مغلية¹ بأحواز تلمسان، ولد العالم ابن عبد الكريم المغيلي في أحواز تلمسان من عائلة علم و صلاح، ولد الرجل على اختلاف المؤرخين و المدونين في مطلع القرن التاسع الهجري على الأرجح حيث نجد في تقييد بزايته في توات يحمل نسبه و شجرته لمجهول نسخه السيد الطيب الشاري البلبالي و هو مقيد في زاويته بكوسام بلدية تيممي بأدرار أن سنة ولادته سنة 790 هـ / 1366 أوائل ربيع الأول واصفا إياه بالفقيه الحكيم ذو الرؤية الثاقبة و الحكمة الصائبة². لكن نجد في مؤلفات عديدة سنوات أخرى تؤرخ لولادته كسنة 842 هـ و سنة 821 هـ و سنة 831 هـ و يرجح أغلب البحاثة تاريخ ولادته ما بين 820 هـ 830 هـ حسب ما تأكد من تاريخ وفاته و هو عام 909 هـ³.

نشأ الرجل في بيئته علمية عرف عنها الصلاح و الورع سواءا عائلته الصغيرة أو العائلة الكبيرة المازوني و الشيخ المشهور بالجلاب⁴ محمد بن احمد لن عيسى المغيلي اللذان وردت تراجمهما في عديد كتب التراجم و الفهارس درس بتلمسان فتلقى علومه الأولى على يد علمائها أولهم الشيخ موسى بن يحيى المغيلي - قاضي مازونة - ثم المغيلي الجلاب ثم الشيخ الحافظ التنسي (899 هـ)⁵ و علم البيت المرزوقي الكفيف (901 هـ).

1- مغيلة: قرية بأحواز تلمسان تعود إلى القبائل البربرية التي توزعت في تلك المناطق بين المغرب الأوسط و الأقصى بحيث نجد هذا الإسم في تيارت و في فاس، يقول عنها حسن الوزان: "هي التي بناها الرومان على قمة جبل زهون...". حسن الوزان مصدر سابق، ج1، ص 297.

2- تقييد حول نسب الشيخ مغيلي، مرجع سابق، الورقة 01-04.

3- مبروك مقدم، الإمام المغيلي، مرجع سابق، ص 27.

4- الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المعروف بالجلاب، أحد شيوخ الونشريسي و السنوسي له فتاوى في المازونية و المعيار، قال عنه الونشريسي في وفياته: "شيخنا الفقيه المحصل الحافظ، توفي سنة 875 هـ"، ينظر أحمد بابا التنبكتي مصدر سابق، ص 552.

5- محمد بن عبد الجليل التنسي: عرف بالفقيه الحافظ الأديب المطلع، من أكبر علماء تلمسان، أخذ عن أبي الفصل إلى قاسم العقباني و الولي العالم إبراهيم التازي، عرف بعلمه و بلاغته له مؤلف معروف نظم الدرر و العقبان في دولة آل بني زيان، له تعقيبات على فرعي ابن الحاجب و جواب مطول عن يهود توات، توفي في جماد سنة 899. ينظر: أحمد بابا المصدر نفسه، ص 572-573. درة المجال، المصدر السابق، ج 3، ص 143.

عاش الرجل في بيئة متميزة بخيرة العلماء خاصة في تلمسان، حيث عاصر أكبر العلماء منهم الإمام السنوسي¹ و العصنوني و الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي (914 هـ) و العلماء العقباين مم يجعلنا نؤكد بأن سوق العلم فيه نافقة و تجارتها رابحة خلفت فترة تسير في نفس المسار و لا مبادئ حكامها مهيبين للشورى و أخذ الرأي من ذوي الألباب من العلماء فكثرت الفتنة و تدخل يد اليهود و تسللت إلى بلاد الحكم مما جعلت من نار الفتن تتأجج ضد أبنائها من العلماء، بحيث يذكر صاحب المعيار في المجلد الخالد.

سافر الإمام عبد الكريم إلى بجاية و أخذ عن علمائها فأخذ عنهم جملة من علوم التفسير و الحديث مثل الشيخ أبو زيد الوغليسي²، ومنها انتقل إلى مدينة الجزائر أين التحق بشيخها و عالمها الإمام الأشعري المتصوف³ فأخذ عنه الحدي و التفسير و القراءات، فعرف عنه الذكاء و توقد الفكر، فأشار عليه شيخه إلى السفر و نشر تعاليم الطريقة في توات.

1- محمد بن يوسف السنوسي: هو عالم تلمسان و صالحها و زاهدنا و كبير علمائها هو الأستاذ المحقق المقرئ أبو يعقوب يوسف، كان ورعا غير مقبل على الدنيا إذ لا يجب التقرب من الملوك و السلاطين ولا يحضر الولائم ولا يقبل عطية السلاطين، ينام أول الليل و يخبه كله حتى الفجر، مات يوم الأحد 18 جمادي عام 895، وولد بعد 830، حسب صاحب النيل أحمد بابا، و صاحب البستان، ابن مريم، مصدر سابق، ص 237. أحمد بابا، نفسه، ص ص 263-273.

2- الشيخ أبو زيد الوغليسي: المتوفى سنة 786 هـ و هو العالم الهمام البجائي شيخ الشيوخ تتلمذ على يد الشيخ الإمام الثعالبي (875 هـ) صاحب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، و هو عبد الرحمن بن عبد الله الوغليسي، هو غانم و مفتي حاضرة بجاية له مقدمته المشهورة بالوغلية، أخذ عنه خلف كثير. ينظر: أحمد بابا التمبكتي، مصدر سابق، ص 248.

3- نقصد به العالم المتصوف عبد الرحمن الثعالبي، إمام و مفتي مدينة الجزائر، يكنى بابي زيد و شهرته الثعالبي صاحب التصانيف العديدة، قال عنه السخاوي إماما علامة اختصر تفسير ابن عطية و شرح ابن الحاجب الفرعي، صاحب الجواهر الحسان في تفسير القرآن من شيوخه الوغليسي عبد الرحمن، و من طلبته محمد بن عبد الكريم المغيلي، (ولد 786 و توفي 875 هـ). ينظر احمد بابا، المصدر نفسه، ص ص 257-260. يبدو أنه في سنة وفاة الشيخ الوغليسي خطأ.

تزوج العالم عبد الكريم المغيلي من بنت العالم عبد الرحمن و سافر إلى توات مهاجرا مجاهدا ساعيا للعمل بكتابه تعالى و ترسيخ السنن النبوية¹.

وصل إلى قصر أولاد سعيد ناحية تميمون فرزق بالبنين والبنات، كان منهم ثلاث أولاد علي و عبد الجبار² و عبد الله، أما علي فقد مات صغيرا و أما عبد الجبار فقد تعلم على يد أبيه فصول العلم و فنون القيادة و الإمارة و كان خليفة له بعد سفره إلى بلاد السودان و أما ابنه عبد الله فقد كان يكنى به أي أبو عبد الله و هو من بقى حيا و خلف أولادا من بعده هم أبو قاسم محمد و عبد الرحيم³. كما يذكر البعض أن الشيخ محمد بن عبد الكريم تزوج في بلاد السودان (كنو- مالي- كشنه) و كان له عقب هناك لا تزال أسر هناك تعود بأصولها إليه و الله أعلم⁴.

لقد اختلفت أعلام توات من ترجم للعالم المغيلي في تاريخ وصوله لصاحب درة الأقلام أو نسيم النفحات أو بعض التقاليد الأخرى في سنة وصوله إلى الإقليم فمنهم من يجعلها في سنة

1- محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج1 ص ص 80-81، محمد الحميد البكري، النبذة، ص 99 تقييد عن نسب شجرة الشيخ المغيلي بجزارة كوسام في أدرار، مرجع سابق، الورقة 07. ترجمة وحيزة لبعض العلماء إقليمنا التواتي لمجهول، مرجع سابق، الورقة 05.

2- ابنه و خليفته عبد الجبار و بعض الكتب تذكره باسم محمد لكن من خلال نازلة اليهود في المعيار وجدت رسالة الشيخ عبد الله العصبوني يؤكد في كلامه أن الشيخ المغيلي وابنه عبد الجبار يشغب على توات و ينشر الفتنة، أما عن عبد الجبار فقد ولاه أبوه أمر توات بعد القضاء على اليهود و سافر هو إلى بلاد التكرور و السودان الغربي عموما، لكنه قتل بعده بوشاية و تسلل اليهود إلى توات و تعاونهم مع بعض الشردمة من سكان توات فوشي به إلى الجيش العثماني فقتل عبد الجبار بن محمد المغيلي و هو سبب رجوع أبيه إلى توات. ينظر: ناصر الدين، سعيدوني، من تراث التاريخي و الجغرافي للقرب الإسلامي، تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص 266-275.

3- تقييد عن نسب و شجرة المغيلي، مرجع السابق، الورقة 10.

4- نفسه ص ص 04-10.

870 هـ و منهم الآخر من يجعلها في سنة 882 هـ و آخرون يجعلون في سنة 892 هـ و آخرون ينحون طريق الخطأ عندما يجعلون مجيئه سنة 802 هـ أو سنة 855 هـ¹.

لأن هاتين السنتين فيما انزلاق كبير فالأولى تبعد عن تاريخ مولده الذين اجمع بعض المؤرخين أن يكون ما بين (821 هـ - 831 هـ)² و الثانية فسنة 855 هـ لم يكن فيها الشيخ في الديار التواتية و الراجح أنه لم يخرج من تلمسان بعد بحيث أن المصادر تؤكد أن السلطان الزياني المتوكل بالله هدم دار العالم احمد بن يحيى الونشروسي في تلمسان سنة 874 هـ³. و بعدها حتى هاجر المغيلي كذلك.

إضافة أن المغيلي عندما وصل إلى توات وجد عالمها وقاضياها الشيخ يحيى بن يدير في تمنطيط فجلس مع عصره العالم عبد الله العصنوني ليتدارسا فنون العلم عنده و خاصة علوم الفقه فانتفع به، و من يجعل من سنة 882 هـ أول قدومه قد أخطأ لأن الشيخ يحيى بن يدير كان قد توفي سنة 877 هـ فمتى درس العام عنده؟.

و الراجح و هذا ما يتفق عليه بعض الباحثين أن العالم الشيخ محمد بن عبد الكريم قد وصل إلى توات مرتين الأولى سنة 870 هـ فنزل في بني أولاد سعيد بقورارة ثم إلى بني يعقوب في تمنطيط سنة 882 هـ جري و قد وجد القاضي عبد الله العصنوني قد تولى أمور الإفتاء في توات⁴.

1- منها ما ورد في التقييد المنسوخ بيد الطبيب الشاري القائم على خزانة كوسام بملوكة بلدية تيمي، ربما فيه خطأ من الناسخ أيضا من جعله داخل توات في 892 وهو الشيخ محمد بلعالم و هذا بعيد عن التصويب.

2- مقدم، بن مبروك، الإمام المغيلي، مرجع سابق، ص ص 27-28.

3- يذكر صاحب المعيار في الجزء الثاني مسألة ارتحاله إلى فاس، بحيث وشي به عند السلطان الزياني المتوكل بالله بأنه يتأمر على إطاحته من ملكه فأمر خاصته بالقضاء عليه وقتله و سجن مجموعة كبيرة من العلماء لولا توفيق من الله تعالى في هروبه مع أصحابه و خروجه سالما إلى فاس، فأمر الملك بمصادرة أمواله و هدم داره ذلك سنة 874 هـ. ينظر المعيار مصدر سابق ج1، ص ض أ ج، ينظر: أيضا: السملالي المراكشي، الإعلام، مصدر سابق، ابن القاضي، درة الحجال مصدر سابق، ج1 ص ص 91-92. أحمد بابا، مصدر سابق، ص ص 87-88. ابن مريم، البستان، المصدر سابق ص ص 53-54.

4- مخطوط عن نسب الشيخ المغيلي بخزانة كوسام، الورقة 05-07.

لقد استقر الشيخ العالم في توات و قد ترك أثر بارزا في البلاد حيث نشر العلم و جلس للتدريس، ألف عديد من الكتب في مجالات مختلفة في التفسير و الحديث و العروض و المنطق و غيرها الكثير، لقد كان مجيء هنا العالم الفذ المنفرد على أقرائه من العلماء رفع شأن توات حيث جعلها إمارة مستقلة في تسير أمورها الداخلية ثم أنه أجلى عنها المنكر عندما طهر أديمها من اليهود الذين لم يلتزموا بدمتهم و دفع الجزية صاغرين.

3- التعريف بالأسرة البكرية:

هي عائلة شريفة النسب و زادها العلم بسطة من الشرف، يعود نسبها إلى العالم الجليل الشيخ عمر بن محمد بن عمرو بن عمار الباز الذي جاء إلى إقليم توات فارا بدينه و علمه من ملوك المغرب الأقصى سنة 809 هـ / 1485 م و معه ولديه الشيخ ميمون و الشيخ التهامي. و يعود نسب العائلة البكرية إلى نسب السيد عمرو من ذرية سيدي أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن محمد بن سعيد بن أبي بكر بن حمودة بن عمران بن عيسى بن القاسم بن يحيى بن عبد الله الكامل بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه¹.

ويعتبر هذا الشريف الحسيني أحد كبار علماء فاس في القرن التاسع هجري، تميز و تفرد من بين جموع العلماء و المعاصرين له، بحيث عرف برجاحة عقله و حسن تفكيره، فقد أحبه الخاص و العام فأشار إليه بعض المقربين منه بإقامة دولة تنسب إلى آل بيت النبي الشريف و أظهروا له المبايعة لكنه لم يكن ممن يجعل الدنيا أول همهم و لا المال هدفا وسعيا لعيشه، فوشي به إلى السلطان المريني إسماعيل، فتخوف منه و عزم للمكر به، فعلم الشيخ عمرو بذلك فعزم على الرحيل² و ترك مفاسد الأمور خشية من الفتنة.

1- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 138، عبد الحق حميش، مبارك جعفري، الموسوعة، مرجع سابق ص 291. و ينظر أيضا، عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، تراجم أعلام توات، ص 279.

2- محمد بن عبد الكريم، تقييد تاريخ بعض علماء المنطقة التواتية، مرجع سابق، ورقة 30.

وقد عزم على توجّه إلى إقليم توات و في تلك الأثناء التقى مع بعض أهل تمنطيط و كان منهم رجل يدعى "زكري بن يحي" و قد أظهر للشيخ ورعه و دينه فاستودعه الشيخ مالا كثيرا و أمره أن يبني له بيتا في تمنطيط حتى يفد عليه¹.

لكن الرجل خدعه و أخذ ماله بحيث أنكر على الشيخ الأمانة بعد أن وصل إلى توات سنة 980 هـ فاندشم الشيخ و استغرب و قال: "... من خدعنا في إيمانه بالله انخدعنا له..." و دعا عليه دعوة منكرة و خرج غاضبا من تمنطيط².

لكن أهل تمنطيط - قبيلة أولاد محمد - ناشدوه بالبقاء و الإقامة لكنه رفض و أكد لهم أن عزمه في الخروج قد صح، لكنهم أثقلوا عليه بالإلحاح فعندما رأى منهم ذلك ترك معهم ولديه سيدي ميمون و التهامي و ترك لهم وصية ما نصه: قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"³ و قوله تعالى "... رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ"⁴ ثم أضاف يوصي: " و عليكم بالكتاب و السنة، فعضوا عليها بالنواجذ، و عليكم بالثبث، فإن خمير الرأي أفضل من قصيره..."

و خرج هو متوجها إلى بلاد التكرور و بقي فيها حتى توفي يوم الرابع عشر من شوال 872 هجري و قد أنجب أولاد هناك عرفوا بالمحاجيب⁵.

بقي ولدى الشيخ عمروو السيدان ميمون و التهامي فعكفا على الدرس و طلب العلم عند الشيخ العالم القاضي عبد الله بن أبي بكر العصنوني ، فقرهما منه و عرض عليهما الزواج من ابنتيه فقبل ميمون مباشرة حين علم أن الشيخ يتفرس من هذا الزواج، لكن أخيه التهامي اختار أن

1- نفسه، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 29-30.

2 نفسه، الورقة 30.

3 سورة آل عمران الآية 102

4 سورة إبراهيم الآية 37

5 عبد الحميد البكري، النبذة مرجع سابق، ص 137 ص 138، خير الدين شيرة، الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي، مرجع

سابق، ج 1، 149، محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 54.

يستشير أولاً¹. فزوج القاضي العصوني ابنته فاطمة من الشيخ ميمون بن عمر فكانت هذه المصاهرة بين الفرع التلمساني و الفرع الشريف القادم من فاس أساساً متيناً أصلاً للبيت البكري التواتي.

وهذه أبيات نظمها الشيخ عبد الحق البكري يذكر فيه النسب الشريف قائلاً²:

حمدت إلهي ثم صليت أولاً	على المصطفى المبعوث و له الملسود
فخذ نسب الشريف لفظاً منظماً	أبو محمد و ابن المسمى بأحمد
وقفنا على صك بخط أجلى	يقول من البناء الشريف محمد
و ميمون عمرو ذو الأيادي التي غدت	مناقبه تغشوا لدى كل موصد
هو ابن لعبد الواحد المسمى الذي	بيوسف يدعى سيد بن سيد
و والده محمد بن سعيد هم	أبوهم أبو بكر و جبههم قد
و عبد الرحمن و هو نجل علينا	و والده عبد الله بن محمد
أبو محمد بن يحيى سرائهم	أبوه يسمى القاسم العدل السؤدد
أبوه علي ابن حمود يتتبعني	بن عيسى بن عمران بالآل اهتدي
و بالسيد ابن القاسم العفو أسأل	بن يحيى من المولى الكرم تايدي

1- العالم ميمون بن عمرو بن محمد المكنى بأبي محمد الأمريني (ت. 1490/901):

هو نواة تأسيس البيت الميموني و البكري³. ولد قبل سنة 872 هـ اعتباراً أن والده توفي في هذه السنة، ولد في فاس و نشأ و تعلم على يد كبار العلماء أهمهم والده الشيخ عمرو

1 عبد الحميد، بكري، نفسه، ص 139.

2 محمد بن عبد الحق، التمنيطي، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 01-03. يقول الباحث عبد الحميد البكري، أن القصيدة نقلت من مخطوط الدرّة البهية في الشجرة البكرية المخطوط السابق. نقلاً عن النبذة الصفحة 136.

3- محمد بن عبد الكرم، درة الأقلام، مرجع سابق، ورقة 30 ينظر: ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، مرجع سابق الورقة 06 عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 141، 142.

و الشيخ الإمام بن غازي المكناسي، جاء مع أبيه و أخيه إلى توات سنة 890 هـ¹، تزوج بآبنة الشيخ العالم عبد الله العصنوني السيدة فاطمة و أنجبت له ابنه أحمد و منه تفرعت الأسرة البكرية بحيث يعتبر الشيخ ميمون الأصل الخامس للأسرة البكرية.

هو أول من توطن بالصحراء في مدينة تمنطيط مع أخيه التهامي بن عمرو توفي سنة 901 هـ/1495م².

شريف الأب و الأم إذ أمها بنت الشيخ عبد العصنوني و أمها بنت علي بن عبد الحق أحد فروع سيدي سليمان بن علي.

و قد تفرس فيه الشيخ العصنوني و في أخيه التهامي لذلك عرضا عليهما الزواج فقبل ميمون بن عمرو مباشرة و أما التهامي فيقال أنه لم يكن له عقب³.

ارتبط اسم ميمون بكتاب مختصر خليل إذ هو أول من أدخله للإقليم التواتي سنة 900 هـ، و قد سافر إلى فاس لأجل اقتنائه و فعلا اشتراه بأربع مئاقيل من الذهب، و الحادثة التي ارتبطت أيضا مع مختصر خليل أن وقعت بينه و بين شيخه عبد الله العضوي و طلبته في نازلة في مسألة يمين مفادها: إذ قال البائع أبيعك أمة ثيبا، فلما اشتراها وجدها بكرًا، فأفتى عامة علماء الصحراء بعدم الرد إذ البكر أحسن من الثيب، و قالوا: إنما يقع الرد إذا اشترت على أنها بكر فوجدت ثيبا، و وافقهم القاضي، لكن الشيخ ميمون أفتى بثبوت الرد عن شيخه ابن غازي فجاهروا بالتكذيب حيث لم يستند قوله بثبوت كتاب معلوم⁴.

1- هناك اختلاف في سنة قدومه إلى توات هو و أخيه بحيث نجد هناك خطأ عند كتاب النبذة بحيث يجعل قدومه في 809 و يجعل سنة 890 سنة لوفااته، يكن الأرجح هو أنه قدم مع أبيه و أخيه سنة 890 هـ، النبذة المرجع نفسه ص141.

2- محمد بالعالم باي، مرجع سابق، ج2، ص206، عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص141، محمد بلعالم باي مرجع نفسه، ج1، ص411.

3- محمد بن عبد الكريم البكراوي، جوهرة المعاني، مرجع نفسه، الورقة-40

4- نفسه، الصفحة نفسها.

و قد وجد النازلة مبسوطة في مختصر خليل و هي قوله: "و رد بعدم مشروط فيه عرض، كتيب ليمين فيجدها بكرا و إن بمناداة".

2- العالم: أحمد بن ميمون البكري¹ (ت. 920 هـ/1514م)

و قد وجدت اسمه في كثير من المراجع بمحمد بن ميمون بن عمرو الأبريني بن الباز نشأ في بيت علم و صلاح و شرف بحيث أن الوالد و الوالدة من عائلة مشرقة ذات أصل و نسب و علم، ولد بتمنيط، فكان ذا عفة و فاضل النفس، طويل الباع في الأدب متقنا لكثير من الصناعات العلمية، بحيث يكتب الشعر و النثر، كريم جواد، يحب المعالي.

و قد روي عنه أنه لا يرد سائلا يقصده، يؤثر على نفسه و لو كان به خصاصة، لقد كان يدفع بالبصرة من الذهب متى دارت به دواب الأيام و لم يبق من الأعيان فتغيرت أحواله و ساءت أوضاعه فقال فيما قال:

قالوا تَغَيَّرَتْ قُلْتُ الدهر غيرني ما قل جودي و لكن قل موجودي

و تذكر المصادر أنه تعرض لمحنة في تمنيط من كيد الكائدين و حسد الحاسدين فضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فهم قاصدا أرض الساحل (بلاد التكرور) فلقى عمه أبي الفضل بن الشيخ ابن عمرو، فنصحته بالرجوع إلى أرضه توات داعيا له بقوله: "كفاك الله كيد أعدائك و أورثك أرضهم و ديارهم و أموالهم." و أعطاه خبزة و عكازا و أمره بالعودة. في طرق عودته و هو في اليوم السابع قام ليصلي الظهر فركز عكازته ستر له و القافلة تسير فلما أتم صلاته أخذ ستره فإذا بكثر تحته مدفونا بالأرض لما حفر بيده وجد كنزا لا يستطيع البعير حمله فنادى بخادمه لكن خاف وقال له هلكننا لأن الرفقة رفقة سوء. فقال الشيخ أحمد لا تخاف إن الله معنا "لا تحزن إن الله معنا

1- ينظر: محمد بن عبد الكرم بن عبد الحق، الكواكب البرية في المناقب البكرية، مخطوط منسوخ بخط يد الشيخ الطيب الشاري، بخرانة كوسام أدرار، الورقة 7-10، محمد بن عبد الكرم، الدررة البهية، مرجع سابق، الورقة 10-11. ينظر: عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 141-142، محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 59 مبارك جعفري، عبد الله المقلاتي، تراجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 395.

هو أمر رباني لا شيطاني". و فعلا لما علم أصحاب القافلة أرادوا قتلاهما فهما بالهروب و النفاذ بأنفسهما، فقصدوا ركبا آخر و ذكروا ما كان من أمرهما، فما كان منهم إلا أن ساروا في طلبهم و قصدوهم حتى أجهزوا عليهم عن آخرهم. فقال الشيخ قول الله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا"¹.

عاد الشيخ بأموال جلييلة فوجد أولاده في ضيق و كرب من أولاد يعقوب فبسط يده بالعتاء للمساكين و الفقراء، و سار سيرة حسنة في نفسه و أهله و ماله حتى توفي سنة 920 هجري الموافق 1514 م².

3- العالم: عبد الحميد بن أحمد بن ميمون (ت 997 هـ 1588):

هو نجل العالم أحمد سليل آل الباز الحسيني، التواقي أصلا و دارا، ولد قبل سنة 920 هـ اعتمادا على تاريخ وفاة أبيه أحمد ميمون، تربى و نشأ في بيت علم و صلاح كابر عن كبار أخذ العلوم على يد أبيه و الشيخ القاضي سالم بن محمد بن أبي بكر العضوي³. عرف عنه الصلاح و الورع، نصب نفسه لقراءة كتاب الله و نسخه حيث أنه دأب على نسخ كتاب الله و عناية كل سنة و بعثه إلى سلطان السودان فيرسل له مائة مثقال ذهب و كان هذا حاله حتى توفي سنة 997 هجري⁴.

و لم أجد أكثر من هذه التفاصيل في ترجمته إلا ما أورد المؤرخ محفوظ بوكراع في كتاباته التي اهتم من خلالها بتراجم علماء المنطقة فهو يقول أنه وجد حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا بيد العالم عبد الحميد و هو مسند الرواية حتى وصل أنس بن مالك⁵.

1- سورة المائدة، الآية 33.

2- محمد العالم البكري، ترجمة و حيزة، مرجع سابق، ورقة 07، عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 141 ينظر:

عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع موسوعة تراجم، مرجع سابق، ص 293.

3- محفوظ بن ساعد بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 63

4- عبد الحميد بكري المرجع نفسه، ص 143.

5- محفوظ بوكراع، نفسه، ص 62.

و الحديث نصه كالتالي: يقول عبد الله تعالى عبد الحميد بن أحمد بن ميمون الحسيني -حتم الله بالحسنى- أخبرني شيخي و مولاي أبو النخاعة سيدي سالم بن محمد العضوي نسبة التواتي دار، عن الشيخ الإسلام إبراهيم بن علاء الدين المقائشيري المصري، و الشيخ المكرم محمد بن علي بن أبي الشرف الحسيني، عن أبي عبد الله محمد بن غازي العثماني، عن محمد بن مرزوق و عن عبد الله محمد بن مرزوق و عن والده محمد بن مرزوق، عن أبي حفص علي بن الملقن و عبد الهيثمي، عن محمد بن محمد القلاسي عن محمد بن إبراهيم المازوني، عن أبي الحسين علي بن نصر بن المبارك بن الهنا، عن عبد الملك بن أبي القاسم بن أبي سهل الكروخي عن محمود بن القاسم الأزدي، و أحمد بن عبد الصمد القورجي، عبد العزيز بن محمد التبراققي، عن عبد الجبار بن محمد الجراحي، عن محمد بن عيسى الترمذي، عن عبد الله بن إسحاق الجوهري، عن أبي عاصم كثير، عن سعيد بن عبيد بكر بن عبد الله الموزيني، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: قال الله عزّ و جل: "ابن آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي إِلَّا غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، ابْنِ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً"¹، توفي آخر يوم محرم سنة 997 هـ / 1588 م².

4- العالم: أمحمد بن أحمد بن ميمون الأمريني (ت 1000 هـ/ 1591 م):

و اسمه محمد بن أحمد بن ميمون من آل الباز الحسيني ولد سنة 910 هـ/ 1504 م المكنى بأبي محمد، كان صالحا ورعا³ تتلمذ على يد الشيخ سالم بن محمد بن أبي بكر العصوني.

1- نقلا عن الفرقد النائر للمؤرخ محفوظ بوكراع، ص 62. و نشير أن الحديث فيه تحريف عن الحديث الحسن الذي رواه الترمذي عن أنس بن مالك بهذا النص: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ .

2- محفوظ بوكراع بن ساعد، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكاير، مرجع سابق، ص 62.

3- عبد الحميد البكري، مرجع سابق، ص 144.

العصنوني هو أخ للعالم الورع الشيخ عبد الحميد¹ و قد تزوج من بنت شيخه العصنوني فاطمة الزهراء فأنجبت له ابنه محمد و عبد المهيمن، و توفيت 999 هـ، و قد كانت هذه المصاهرة هي الثانية بين البيتين الميموني و العصنوني و فعلا قد كان خلف هذا السلف كلهم من العلماء الأجلاء الذين سيعملون لواء الحركة العلمية و الثقافية خلال القرن الحادي عشر هجري توفي ليلة آخر محرم سنة 1000 هـ/1591م².

5- العالم عبد المهيمن بن أبي محمد (ت 1008هـ):

لم يعلم تاريخا لولادة هذا العالم الجليل عبد المهيمن بن احمد بن محمد بن ميمون بن عمرو بن الباز، كما علم تاريخ وفاته عام 1008 هـ و هي نفس السنة التي توفي فيها أخوه محمد بن أبي محمد.

عرف عنه الهمة و الشجاعة و كنز الشريعة و الحقيقة أخذ علومه الأولى على يد والده و الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الحسيني و اجازه رحمه الله عام 989 هـ. اشتغل الشيخ بالعمل في الدعوة و نشر الإسلام في بلاد السودان حتى توفي سنة 1008 هـ³.

1- و عن الأخوين الشيخ أبو محمد و الشيخ عبد الحميد تذكر المراجع أن الشيخ سالم العصنوني عرض عليهما الزواج من ابنته فقيل الأول مباشرة و أراد عبد الحميد استشارة أمه و كأن الباحثين وقعوا في خلط فهي نفس قصة الشيخ عبد الله العصنوني مع الأخوين ميمون و التهامي بحيث قبل ميمون بالزواج من فاطمة الزهراء بنت الشيخ عبد الله. أو أن التاريخ يعيد نفسه!

2- عبد الحميد، البكري نفسه، ص145، بحيث تذكر بعض المراجع سنة 997 هـ سنة وفاته بينما هي سنة وفاة أخيه عبد الحميد، خاصة في الموسوعة لتراجم تلمسان و توات و في الفرقد النائر، ص64.

3- محمد بن عبد الكرم بن عبد الحق، جوهر المعاني، مرجع سابق، ج1، الورقة 28 - عبد الحميد البكري النبذة، مرجع سابق، ص 148

6- العالم: عبد الكريم¹ بن أمحمد بن أبي محمد الأميريني (ت 1042 هـ):

هو محمد عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو الشريف المكنى بعالم توات، ولد سنة 994 هـ، بتمنطيط تربي و نشأ بها و تعلم على يد أبيه الشيخ "أحمد" و الذي قال عنه أنّ أول فائدة استفدتها من أبي كانت قوله: "لم حرف جزم، فحفظتها و لم أفهم معناها"، ثم حفظ القرآن على يديه حتى سورة الأعراف ثم امتطى سبيل الرحلة لطلب العلوم فكان له شيوخ كثير من أصقاع البلاد و خارجها منهم:

عبد الحاكم بن عبد الكريم الجراري الوطاسي ، أحمد بن عبد الله بن أبي محلي السجلماسي² . أحمد بابا التنيكتي³ .

1- محمد بن عبد الكريم، نفسه، ص01، ص 02، محمد العالم البكراوي ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليمنا التواتي، مرجع سابق، الورقة 12، محمد بن محمد البكري، تاريخ البكريين الكرام، مرجع سابق، الورقة 09، ص 10 محمد بن عبد الكريم درة الأعلام، مرجع سابق، الورقة 20، و الورقة 23، الدرّة الفاخرة، مرجع سابق، الورقة 05 الدرّة البهية، مرجع سابق الورقة 34، أحمد جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق، ج1، ص 49.

2- أحمد بن عبد الله المحلي السجلماسي: هو الفقيه المتصوف الرئيس المسمى بالفيلاي التستاوي العباسي، جاء إلى بني عباس و درس ودرّس، له كتاب إصليت الخريت، قال فيه كانت ولادته سنة 967 بسجلماسة و هو ذرية العباس بن عبد المطلب، يعرف أهله بأولاد القاضي لأن بيتهم بيت قضاء، انتحل لباس التصوف من تلاميذه أحمد التواتي، عبد الكريم بن أحمد و الشيخ العالم، سعيد بن قدورة، ينظر: المراكشي، العباس بن إبراهيم الإعلام بن جل مراكش و أغمات من الأعلام، مصدر سابق، ص 285، ص 296.

3- أحمد بابا التنيكتي: هو العالم الهمام بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الماسني التنيكتي، ولد في ذي الحجة ختام 968هـ، من أعلام بلاد سنغاي و قد نفي إلى مراكش أكثر من 14 سنة في عهد المنصور الذهبي، كان عالما و مدرسا لا يناظره أقرانه، له مؤلفات غزيرة منها نيل الابتهاج و كفاية المحتاج ذيل على ابن فرحون في كتابه الديباج المذهب. توفي 6 شعبان 1036 هـ / 22 أبريل 1627 م، وقيل سنة 1032 هـ / 1623 م، ينظر: أبو عبد الله، البرتلي فتح الشكور ، مصدر سابق، ص 31.

أحمد بن محمد المقرئ، سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري¹، الإمام المنجور²، الحسن بن أحمد بن أبي يحيى الشريف و قد أشادني ذكر مناقب هذا الأخير، درس الفقه عن أشياخه الشيخ سعيد المقرئ و نظرائه، ثم أخذ عنه الرجز لابن يري شرحا و فهما في قراءة نافع و استفاد منه في الفرائض و الحساب، و عن الشيخ عبد الصمد بن عبد الرحمن مختصر تحليل من أوله إلى فراض الصلاة، و كان كثيرا ما يحفظ البيت الذي يردده شيخه".

فإن الإله رؤوف رؤوف
فلا تقنطن يا عظيم الذنوب

و لا تمضتين على غير راد
فإن الطريق مخوف مخوف

أخذ الأجرومية عن الشيخ محمد بن عبد الحكم بن عبد الكريم القراري، ثم أبوابا من البخاري و المقدمة للسنوسي، و رسالة القيرواني... ذكر هذه الإجازات في رحلته الفهرسية³

1- سعيد بن إبراهيم بن قدورة: هو أبو عثمان لسعيد بن إبراهيم قدورة (ت 1066 هـ) نشأ في الجزائر أبوه إبراهيم كان نجارا، لكن عالم فهو مؤسس بيت قدورة الجزائر دار و منشأ و التونسي أصلا ولد أباه قدورة قرية في تونس، كان علما و مفتي دار السلطان مدة طويلة درس على يد إسماعيل المطماطي و في تلمسان سنة 1012 م عند سعيد المقرئ تولى التدريس في بني عباس و سافر إلى المغرب الأقصى عاد إلى الجزائر 1019 و حس على كرسي الإفتاء. ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي تاريخ الخلف برجال السلف، الجزائر، 1906، ص 62.

2- الإمام المنجور: هو الإمام أحمد المنجور بن علي من أهل فاس، كان علما مشاركا، رزق حسن البارة، درس بفاس و مراكش، ألف كتب عديدة في علم الكلام و شرح قصيدة الإمام ابن زكري، ينظر: بن عسكرة، الشفشاوني، دوحة الناشر بلمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح: محمد حاجي، ط 2، مطبوعات للتأليف و الترجمة و النشر سلسلة التراجم، المغرب، 1977، ص 59.

3- كان للشيخ مؤلف فهرسي جمع فيه فصول و مشاهدات الرحلة العلمية و مشايخه و ذكر ثناءه عليهم و بما ورد في الرحلة قوله: بعد الحمد له و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم: " و بعد فقد سألتني من أعد امتثال أمره فوضا، و أرى إجابة طلبته ربحا محصنا أن أبيض له من رحلتي القصيرة، و أذكر له ما سهل من الفوائد الأثيرة، فأجبتة لذلك مع أني لست من فرسان تلك المسالك، و لكن كما قال الشاعر:

لعمري أريك ما نسب المعلي
إلى كرم و في الدنيا كريم

و لكن البلاد إذا اقشعرت
وضوح نبتها رعي الهشيم

ينظر: عبد الكريم بن أحمد التواتي، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بالخزينة البكرية، تمنطيط، الورقة 02.

أما شيخه سعيد بن إبراهيم بن قدورة فقد التقى به في بني عباس، عن طريق شيخه أحمد بن أحمد بن أبي يحيى الشريف، و عندما التقى بالعالم قدورة أشاد بعلمه و قال له لن أدخر عنك علما.

فقد اختصر الشيخ عبد الكريم كتاب العيون الغامرة على خفايا الزاهرة على الخزرجية من وضع الدمامني¹ و كتب أبيات إلى شيخه سعيد بن إبراهيم يقول فيها:

يا قرئا هذا المفيد حد على واش الحروف يدعوه بالمغفرة
عبد الكريم سماه فحل محمد يرجو الكريم بفضله أن يستره
و بأن يكون عبيد مولاه خالصا فتصير نسيته بذلك محرّره
ثم الصلاة على النبي و ءاله عليهم بالدوام ممـررة

فرّد عليها الشيخ قائلا:

يا رب فضلك واسع فاغفر له ثم أجزه بما قد سطره²

كان علما شيخ الشيوخ زمانه بحيث ارتحل و حضر مشيخات في مدينة الجزائر و فاس و مصر و حج البيت سنة 1040هـ حيث يقول في مؤلفه تحفة المجتاز³ ما يلي:

حجتنا تمت بحسن اللطف سنة الأربعين بعد الألف

قد اغترف فنون العلوم كلها حين يقول في فراش الموت: "ها أنا أموت بنيف و أربعين علما لم أجد لها سائلا..."⁴.

1- يقول محفوظ بوكراع في كتابه موسوعة تراجم علماء الجزائر أن الشيخ عبد الكريم قد اختصر الدماميني على المغني أي مغني النيل عن كتب الأعراب لابن هشام و له حاشيتان هندية و يمنية و حاشية تعرف بالمصرية فلا ندري على أي حاشية اختصر عبد الكريم، ينظر: محفوظ بوكراع عبد الحق حميش، مرجع سابق، ص304.

2 - عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص152.

3- له كتاب تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز و قد كان كتاب رحلة الحج يبين فيها آداب المسافر إلى هذا المقام، كيف تكون أفعال العمرة و الحج، ذكر فيها المزارات. عبد الحميد البكري، نفسه، ص155.

4- محمد عبد الكريم ابن عبد الحق، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 12.

من ما يميز الرجل عن أقواله غزارة تأليفه التي تنوعت بين التفسير و الفقه و اللغة و المناجاة و الرحلة، فقد كتب كتاب جمع فيه تفاصيل رحلته العلمية بفكر المتون و العلم و المشايخ و المشاهدات سماه: الرحلة في طلب العلم و قد رتبته، أبواب الكتاب على حروف الهجاء، و هو مخطوط في الخزانة البكرية،

له كتاب: سفينة النجاة بأهل المناجاة¹.

- شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان

- تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز

- غاية الأمل في إعراب الجمل لشرح على لامية الجراد

خلف من العلماء عالمين هما: الشيخ الحاج محمد الأكبر (ت. 1092هـ) و الشيخ العالم

البكري بن عبد الكريم (ت. 1133 هـ).

توفي رحمه الله ليلة الاثنين 23 شوال عام 1042 هـ/1622م².

1- قصيدة قيمة و جلييلة يقال عنها أن من قرأها استحالت دعوته و من هذه الأبيات ما يلي:

و أمن ملعلعي بعيني قسرتي	و طلل، ممزعي و سكن مروعي
و أجزل تبرجي بكل مليحتي	و عجل تفرجي و اجر تعرجي
وصف توشغي بديباح نصرتي	و متن المنعي و زين تقنعي

إلى أن يقول:

محمد الممود في كل خصلتي	بجاه إمام الرسل واسطة المنسا
يدومان ما هام الحبيب بلوعتي	عليه الصلاة و السلام مطيب

مأخوذة من نبذة: عبد الحميد البكري، مرجع سابق، ص 157.

2- ترجمة وحيزة، مرجع سابق، ورقة 12، أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مرجع سابق، ص 75-76

أحمد جعفري الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص 50.

7- العالم أمحمد بن عبد الكريم بن محمد (1092 هـ)

و لد نجل العالم عبد الكريم قبل 1042 هـ أي قبل وفاة أبيه، نشأته علمية تشرب من فنون العلوم بدءا على يد والده الشيخ عبد الكريم، و يذكر أنه أخذ عن أعيان و علماء بلاد الحرمين فقد كان هناك في الحجاز و لم يعد إلى تمنطيط حتى علم بوفاة أبيه¹.

حصلت له حادثة مع الرحالة أبو سالم العياشي الذي أراد امتحانه في بعض العلوم ليعرف منزلته فيها فكان العياشي يسأل و الشيخ أحمد يجيب حتى وصلا إلى علم العروض و كان صاحبنا غير متمكن منه فطلب البقاء حتى الصباح ليحييه و في منامه رأى والده يقول له: أتخشى من سؤال العياشي لك في علم العروض؟ قال نعم: فلقنه كتاب الخرجية في العروض حتى الصباح فلما استيقظ وجد نفسه مستحكما فيها فدعى لوالده رحمة الله عليه الذي علمه حيا و ميتا. فلما التقيا و امتحن في العروض وجده العالم الرحالة العياشي متملكا لهذا الفن فقال له أنت عالم بن عالم².

عرف عن العالم الورع و الوقار و العدل بحيث تولى خطة القضاء و سار بالعدل فيه سنة 1055 هـ. توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء 13 رجب سنة 1092 هـ/1681م³.

8- العالم: محمد البكري بن عبد الكريم (ت. 1133 هـ/1720م)

هو سليل العلماء العالم ابن العالم لقب بأبي المواهب الأمرني التمنطيطي و اسمه محمد البكري بن عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون بن عمرو، و هو من أضاف

1- البكري بن عبد الكريم الدرّة البهية في الشجرة البكرية، مرجع سابق، الورقة 53.

محمد بلعالم باي الرحلة، ج11، ص59، الغيتاوي، سلسلة النواة، ج1، مرجع سابق، ج1، ص94.

محمد عبد العزيز عمر، قطف الزهراء من أخبار العلماء توات، مصدر سابق، ص119. ينظر: درة الأقلام، مرجع سابق الورقة 23.

2- محمد بن عبد الكريم، نفسه، الورقة 15. وينظر: عبد الحميد البكري، نفسه، ص160.

3- نفسه، الورقة 15 19.

اسمه على اسم العائلة فكنيت بالبيت البكري، و لد سنة 1042 هـ/1632م، بعد وفاة أبيه بأربعين يوماً و ذلك في غرة رمضان، أخذ العلم عن أخيه و شيوخ أبيه الشيخ أحمد بن عبد الكريم و الشيخ سعيد بن قدورة، محمد بن علي الوجروني التواتي، محمد بن عمر البداوي أجازة العالم المصري الشيخ الإمام الخرشبي، أجازة قبل ذلك تلميذ أباه الشيخ أحمد بن علي الوجروني دارا التمنطيبي منشأ¹.

سافر إلى مدينة الجزائر قاصدا شيخ والده العالم الشيخ السعيد بن قدورة فأحسن استقباله فقال في ارتجال:

لو تعلم الدار من قد جاءها فرحت و استشرت ثم باست موضع القدم
و أنشدت بلسان الحال قائلــــة أهلا و سهلا بأهل الجود و الكرم
فبقى عنده حتى ضرب العلوم بسهم صائب حتى توفي شيخه "سعيد" عام 1066 هـ
كان يسير في العلم على خطى أبيه، بحيث ارتحل فلول الشعاب طالبا العلوم و تكرم الله عليه إذ
كان من ضيوف الرحمن و كان كلما وصل بلادا ابنتي زاوية فيها، و مكث زمنا غير قصير خارج
الديار التواتية حتى وصلته رسائل الشوق من أعزائه و أصدقائه² خاصة عندما علم بوفاة
أخيه القاضي أحمد ليتولى القضاء بعده و كان ذلك بعد 1092 هـ³.

1- محمد بن علي النحوي الوقروتي، (1062هـ/1651م) من أشهر شيوخ زاوية أوقرت، ابن العالم سيد الحاج أبو سعدون، نسبه يرجع الأولاد سيدي الحاج بو سعدون، درس عن والده و العلم عبد الكريم التمنطيبي نينغ في الفقه و النحو، من تلاميذه سيدي البكري و السيد علي بن جنيني، توفي 1651/1062م. ينظر: مبارك جعفري، عبد الله مقلاتي، تراجم أعلام توات، مرجع سابق، ص359.

2- هي رسالة الشوق و الحنين من صديقه و أخيه عبد الرحمن بن علي التازلاغي، كتب له رسالة و أبيات شعرية، وقد أوردناها في باب الرسائل و التأليف، في الفصل الثالث، ينظر: عبد الحميد، بكري النبعة، مرجع سابق، صص163-164.

3- البكري بن عبد الكريم، الدرر البهية، مصدر سابق، ص53.

تتلمذ عليه خلف كثير منهم: أبناؤه الأربعة: محمد الصالح¹، عبد القادر²، محمد³ عبد الكريم⁴، و ابن أخيه عبد الله بن أحمد الشيخ التتلاي و محمد إدو علي... الخ.

عرف عن الشيخ عبد الكريم العدل و المهابة و لم كن يخاف في الله لومة لائم، لذلك وشي به عند سلطان المولى إسماعيل فبعث إليه في جنح السرعة يريد سؤاله فلما دخل على السلطان و في يده حفنة تراب فألقاها على سجاده و جلس عليها، فقال «السلطان لعلك مرائي فقال: كيف يرائي من رأى العالم بخذافره في حضرة الحاكم جمادا و إنما اخترت التراب على البساط لأنها الأصل و إليها المآب، فلما تحققت أنها في الختم و الابتداء اخترت أن تكون في الحشو فأمر بإرسال أسد له اختبارا فجعل الأسد يتلوذ بالشيخ و يتحسن له، فبينت الإشارة للسلطان، و علم أن الأمر رباني لا بمتاني، فوجه إليه السلطان الحجة المفترات ضده فتنفس الشيخ تنفسا عميقا ذاكرا اسم الله المنتقم، و قيل أن من حرى عليه مات من ساعته حيث كان بين عشيرته و ما دروا عليه حتى وجدوه يغط غطيظ الموت⁵.

1- محمد الصالح ابن الشيخ البكري (ت.1139) كان عارفا و أصوليا من الأخيار المتقين، درس على يد والده، انتقل إلى تقرت فجلس في حلقات علومها. ينظر: جوهرة المعاني، مرجع سابق، 36.

2- عبد القادر بن الشيخ البكري، (ت.1142 هـ)، كان عالما عابدا صالحا درس على يد أبيه و رحل إلى فاس و مصر من أولاده عبد الهادي، بن علي و السيدة غزالة، قال عنه سلطان المغرب إسماعيل الشريف الحسن أنه الكريم بن الكريم ينظر: النبذة، ص 180-181.

3- محمد بن الشيخ البكري: (ت.1188 هـ) عرف بجلمه و طيب أخلاقه درس على يد والده و الشيخ علي بن حنيني و محمد الصالح الميموني و أخذ الطريقة عنهم. ولد الشيخ سنة 1080 هـ و توفي في صفر من عام 1188 هـ. ينظر: عبد الحميد، بكرة، المرجع نفسه، ص 183-184.

4- عبد الكريم بن الشيخ البكري. (ت.1074 هـ)، ولد بتمنيط، سنة 1096 هـ تعلم على يد أبيه و الشيخ محمد بن إبراهيم و الشيخ محمد الصالح، تولى القضاء بعد ولده. ينظر: عبد الحميد، نفسه، ص 05.

5- محمد بن عبد الكريم، الكواكب البهية في المناقب البكرية، مخطوط سابق، الورقة 20-21.

4- التعريف بالبيت الكنتي:

هذا البيت هو من نسل الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري فاتح إفريقية، ينسبون إلى ابنه العاقب و منه تفرع نسبه و قد توزع هذا البيت في أقطار عديدة من الجنوب الغربي للمغرب الإسلامي بحيث يعود بأصوله قبيلة ابدوكل و تأصلت و تفرعت في إقليم توات ثم انتشرت بعروقتها إلى السودان الغربي. كما أن الفضل كله في إقليم توات يعود إلى فرع الرقادة أتباع الطريقة القادرية يتوزعون خاصة في زاوية كنتة¹ و قصر عزي و قصور أقبلي و غيرها.

يعتبر أحمد الرقاد أول من حل بزواية كنتة، حيث سمي بالرقاد لكرامة تميز بها في حال نومه. أما عن نسب هذه الأسرة فنقله صاحب الطرائف و التلائد بهذا الرسم: " هو المختار بن أحمد بن أبي بكر محمد بن حبيب الله الواقي بن الشيخ سيدي عمر بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي بن سيدي يحيى بن عثمان ابن يهيس بن دومان بن وريد بن العاقب بن عقبة المستجاب بن نافع فاتح إفريقية و المغرب الأقصى و بلاد تكرر²."

و عن لقب الكنتيين فقد رجح العلماء أنه نسبة للجد محمد الذي كان والده يدعى على بن يحيى بن عثمان قد تزوج من ابنة زعيم عشيرة ايدوكال في شنقيط و يدعى محمد العالم بن كنتة فأنجبت له ابناً سمي محمد فلقب بالكنتي نسبة لجد أمه.³

يعود ارتباط هذه القبيلة بالإقليم التواتي إلى القرن الثالث هجري كما يقول الرواة.

1- الزاوية الكنتية هي أحد قصور توات الوسطى أسسها أحد العلماء البارزين الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المعروف بالرقاد الكنتي المولود بواد نون سنة 968 و قد ترجم له هذا البحث. ينظر: أحمد جعفري، من تاريخ توات، مرجع سابق ص ص 1070-108، محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، ج1، ص ص 49، 50

2- محمد بن المختار الكنتي، الطرائف و التلائد من ذكر الوالدة و الوالد، نسخة من مخطوط بخزانة كنتة، أدرار، الورقة 101.

3- بول ماري، كنتة الشرقيون، تر: محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1423 هـ / 1985 م، ص 09.

أول وصولهم كان في قصر عُزَي الذي سكنه أحد الأبناء و هو يحي و قصته مع السبعين رجل الذين وصلوا غازين ثم تابوا على د الرجل و توفي في ذلك المكان فسمي المكان بَعُزَي أي الغزاة¹.

1- عمر بن أحمد البكاي: المعروف بعمر الشيخ:

ولد الشيخ قبل 864 هـ/1459م، اعتبارا من سنة عند لقائه بالشيخ المغيلي و هو صاحب العشرين سنة، ولد في المغرب الأقصى كان أصغر إخوته و هم: أبو بكر الحاج و محمد الكنتي الصغير عرف عنه العلم و التمكن على حداثة سنة، فقد كان يحفظ ما يزيد عن ألف مجلد في كل فنون العلم، تميز بولعه للرحلات العلمية لمصر، الأندلس، و الشام و أرض الحجاز. يقال أنه بلغ كل ذلك و سنة لم يتجاوز العشرين².

عرف عنه التزامه مع شيخه محمد بن عبد الكريم حتى توفي و قد أورثه كل علومه و حكمته و طريقته. إذن قد كان المغيلي من أهم شيوخه بحيث تذكره بعض المخطوطات أنه عندما كان المغيلي يتهيأ للدخول إلى المغرب الأقصى فالتقى بعمر المدعو بالبكاي فبدأ المغيلي يفاوض و يناظر العالم عمر بن أحمد فلم يطرح سؤالا إلا أجابه: فرح به المغيلي و أعجب بعمله كتر راجعا الأدبار و قال: "أرضا يأتي منه مثلك في حداثة سنة لا تحتاج لمثلي"³.

فعرض عليه الشيخ المرافقة بشرط يفارقه حتى يموت فأجاب الشيخ عمر "تبع نعم و أنالك عبد خادم ما بقيت متمسكا بعقلي" و فعلا كان الأمر كذلك حيث-لزم الشيخ المغيلي أكثر من 25 سنة و قيل 30 سنة فحج معه ثم عاد إلى توات و قد أهداه شيخه ما كان مكنونا

1- بول مارتى، مرجع سابق، ص 19، أحمد جعفري، المرجع السابق. 95

2- مختار الغيتاوي، سلسلة النواة، مرجع سابق، ج1، ص 56 ينظر أيضا: عمر باحمد دمة الكنتي، الزوايا الكنتية أعلاما و جغرافية النيجر، 2005، ص ص 18-19، مبارك جعفري عبد الله مقلاتي، تراجم أعلام توات، مرجع سابق ص 262، عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان و توات، مرجع سابق ص 531.

3- محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، 329.

في صدره من علم، حتى دنا منه الموت،... المغيلي جميع تلاميذه و ابنه عبد الله قائلا: " من أراد مني خيرا أو سرا أو علما ظاهرا أو باطنا فليطلبه من التلميذ الناصح، و الطود الراسخ، و الصدر الفسيح، الشيخ الشامخ، الإمام العلامة عمر الشيخ، فقد احتوى على ما عندنا و تمكن من مقامنا، فاعرفوا له ذلك و لا تنقصوه حقه... و أعطاه عكازته و سبحة و سجادته أمام الحاضرين و أوصاه بتجهيز كفته و غسله ثم دفنه¹.

و بعد وفاة شيخه المغيلي سنة 909 هـ - 1503 عاد إلى دياره و استقر "بواد نون" و بشر الدرس فيها و قد نسبت له طريقة جديدة امتداد للطريقة القادرية، لكن سماها باسم أبيه أحمد البكاي بالبكاية. توفي رحمه الله شهيدا، يقال أنه قتل على يد جماعة من اللصوص سنة 960 هـ / 1552 م. قبر في مدينة تمشت. و عن ذرية هذا الشيخ: امير الشيخ بن أحمد البكاي بودمعة يتفوعون إلى الرقايدة، المخاتير، أولاد الوافي².

العالم أحمد بن محمد الرقاد (1060 هـ - 1652)

هو أحمد بن محمد أول من لقب بالرقاد نسبة لكرامة ظهرت في نومه و في رواية أخرى أن اسم الرقاد لقب لأبيه محمد فنسي نسله بالرقايدة، ولد الشيخ العالم أحمد بن محمد سنة 968 هـ / 1560 بواد نون بمقر أجداده و أسلافه³.

تتلمذ على يد أبيه الشيخ محمد الرقاد، فقد قرأ عليه القرآن بروايتي "ورش و قالون" و أخذ عنه بعض مبادئ العلم⁴ كما أخذ عنه الطريقة القادرية و جددها كما تقول المصادر كما كان طالبا عند عمّ أبيه المختار بن عمر الشيخ. أجازه أبوه و الشيخ المختار كما أجازه

1- محفوظ بوكراع ، مرجع سابق، ص ص 330-331.

2- الصديق حاج أحمد، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي -حياته و آثاره- دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص ص 18-19.

3- مولاي التهامي غيتاوي، سلسلة النواة، مرجع سابق، ج1، ص 56 محمد بن سيد المختار الكنتي: الطرائق و التلائد مصدر سابق، ج1، الورقة 141.

4- أخذ عن أبيه رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مختصر البرادعي، كتب ابن رشد، مختصر خليل و مقدمة في النحو، و قرأ عنه الألفية و الشافية لابن مالك، ثم أجازته في الفقه و النحو الصرف... ينظر: خديجة، عيشل، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، و أهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مجلة الذاكرة، ع: 05، ص 111.

ابن عمه السيد الأمين الأزرق في علوم شتى أهمها الفقه من آل أبيه بكر الحاج بن أحمد البكاي بن أحمد الكنتي. ثم انتقل إلى فاس و أخذ فيها علوم مختلفة على أكبر علمائها و أجازته ثم قفل راجعا إلى مسقط رأسه - واد نون - و جلس على كرسي التعليم في قرية "تمقلشت" فانتدب للقضاء لكنه استعفى و هاجر فارا بنفسه إلى توات التي كانت له دار مقام، فقد قصد أولا زاوية الشيخ "بن عومر" ثم نزل زاوية كنتة سنة 999 هـ 1590 م¹. يعتبر أول علم من أعلام كنتة و طأت أقدامه أرض توات في سنة 999 هـ و قد وردت قصة تصف فيها بركات هذا الشيخ و كيفية استقراره في الإقليم مفادها:

أنه عندما عزم في الخروج إلى توات و وصل في أرض يسودها السباع و الضباع و أنواع الوحوش بركة بغلته به أمام صخرة كبيرة بيضاء بجانبها شجرة و جد فروعها ساجدة حرس و سبج و عكازه معه قلنسوة و كتاب مكتوب فيه: "هذه أمانة عمر الشيخ بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي، أخذناها من شيخنا محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، و قد تركناها بهذه الشجرة أمانة في رعاية الله و حفظه، و تحت حمايته، إلى أن يأتي من يعمر هذه الأرض من أحفادنا". فقد بلغت الأمانة إلى أصحابها و سلط الله عليها السباع و سائر الهوام لرعايتها له².

كان له من الأولاد سبعة و منهم من يقول ثمانية، أسس عند استقراره بتوات خزانة المخطوطات بالزاوية الرقادية زاوية كنتة في بداية القرن الحاد عشر، فيها العدد الكثير من المخطوطات انتصب فيها للتدريس و من تلاميذه الشيخ عبد المالك جد الشرفاء أهل تاحيفت الشيخ عبد الكريم، الشيخ الزين جد الشرفاء أولاد مولاي عبد الملك، محمد الصديق بن عبد الله

1- محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 326، ص 327. ينظر أيضا: محفوظ بوكراع، عبد الحق حميش الموسوعة، ص 230 231، ينظر: محمد حوتية، توات و الأزواد، مرجع سابق، ج1، ص 242 243، ينظر: مبارك جعفري: عبد الله مقالتي، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 79، ص 80.

2- محمد بن السيد المختار الكنتي، الطرائف و التلائد، المخطوط السابق. ج4، ص 144.141 - مبارك جعفري

الوجدي¹ عرف عن هذا الشيخ العالم ورعه و تقواه و إتقانه في العلوم. كان بليغا نحويا و متضلعا في علوم اللغة، عالما بالأصول و الفروع، بالمعقول و المنقول، و محدثا و مفسرا، فقد عدّ شيخ شيوخ زمانه. له تأليف كثيرة أهمها:

- غنية الإخوان في ما ورد من الطب السنة و القرآن.

- رسائل و أجوبة عن نوازل كثيرة

- وصية لابنه الشيخ السيد علي يوصيه فيها بالتعليم و ملازمة التقوى².

توفي بعد سنة 1022 هـ / 1613 م و يحتمل أن يكون قد توفي أنه بعد 1034 هـ -

1624 م³.

العالم علي⁴ بن أحمد بن محمد الرقاد (ت 1128 هـ / 1611 م):

ولد العالم الشيخ علي بالزاوية الرقادية الكنتية سنة 1008 هـ - 1599 م سار على سير أسلافه الكنتيين الدائمين على أخذ العلوم من جميع الفنون تربي على يده والده الشيخ أحمد فحفظ القرآن و هو لا يتعدى الحادي عشر من سنه، تعلم أصول الفقه فكان عالما مفسرا أديبا

1- محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق، ص 325 محمد عبد الكريم، درة الأقلام، مرجع سابق، الورقة 18.

2- يقول في الوصية: "يا بني إني خلّفتك من بعدي للتعليم و التدريس و التربية و الدعوة إلى الله عز وجل، فعليك بملازمة التقوى و الاستقامة و حسن الجوار و المعاشرة لساداتنا الأشراف الذين حلوا بساحتنا و أرى لهم حرمتهم، ولا تنظر إلى من شرد منهم و لو أذاك، في محبتهم يقوى إيمانك و يبغضهم و الإساءة إليهم يضعف إيمانك، و اعلم أنك واقف بين يدي الله و مسؤول عن محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب و السنة".

ينظر: عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 81، ينظر أيضا: محمد صالح حوتية مرجع سابق، ج 1 ص 242.

3- في شأن وفاته هناك أكثر من سنة، 1022 هـ، 1034 هـ، 1060 هـ حيث يقول صاحب معجم أعلام توات أنه ناهز المائة أي أنه يرجح سنة 1060 هـ / 1652 م، ينظر: عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري نفسه، ص 81.

4- الغيتاوي، سلسلة النواة، مرجع سابق، ج 1، ص ص 76-81 ينظر: محفوظ بوكراع، الفرقد النائر، مرجع سابق ص 331. أحمد جعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 110. ينظر: الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي، مرجع سابق ص 120.

نحويا لا يشق له غبار، كان عالم لا يناظره في عصره غيره، ما أخذ على يد أبيه: مختصر خليل مختصر الأخضري و الرسالة لابن أبي زيد، مختصر الإمام البرادعي، مقدمة ابن رشد، علوم النحو و الصرف و قواعد التجويد.

عرف عنه الرحلة حبا في نشر الدعوة، أذن له والده بالسفر إلى أرض التكرور فنزل "تنبكتو" عند البرابيش فأسس مدرسة و علم فيها الناس ف أنحاء السودان الغربي و الشرقي (من مال - الهوسا) فمكث هناك عشر سنين ثم عاد إلى الزاوية مسقط رأسه، بعد أن وصلته رسالة من والده.

و مكث في زاوية أبيه بعد وفاة والده قائما عليها فأوقف لها البساتين و الفقاقير حسبما لتبقى الزاوية باب سبيل لعربي السبيل حتى توفي سنة 1128 عشية يوم الخميس من شهر شوال و منهم من يذكر أنه توفي سنة 1120 و الله أعلم.

العالم محمد بن علي بن أحمد الرقادي (ت 1713/1125):

ولد هذا الشيخ في الزاوية عام 1050-1640م، فكان خيرا خلف لخير سلف، عرف عنه الصلاح و العلم، تتلمذ على يد أبيه في جميع العلوم، توفي عام 1125هـ-1713هـ.

5- البيت البلحاجي الشريف

كما يسمى هذا البيت بعائلة الأشريف النس حمو بلحاج، يعود أصله إلى الشرفاء العلويين الذين يتفرعون إلى قسمين: بلغيتيون نسبة للشريف السيد عبد الواحد (أبو الغيت) الذي يتفرغ إلى عائلة الشريف محمد بن عبد الواحد جد شرفاء سالي، و عائلة العربي بن عبد الواحد جد شرفاء ولاد هبلة².

و أما القسم الثاني من العلويين فهم المحمديون انتسابا للشريف محمد بن الحاج، المعروفة بالعائلة البلحاجية، أما عمودها النسبي فهو كالأتي: الحاج بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

1- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي، مرجع سابق 120.

2 - أحمد جعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 63.

بن علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن إلى أن يصل إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه و ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد صلى الله عليه و سلم¹، يقول الشريف إدريس الفضيلي معلقا في صحة هذا النسب ما يلي "و هذا النسب قد بلغ في الشهرة و الوضوح مبلغ التواتر القطعي الذي لا يتطرقه ريب... حتى أنه لم يختلف فيه اثنان من عامة و أعيان..."²، يرجع دخول هذا الفرع الشريف إلى توات إلى أولاد السي حمو بلحاج الذي قدم من تافيلالت إلى تمبكتو و كان تاجرا فالرتاد القفار منذ سنة 1042 هـ مارا بتوات و كل مرة كان يجلس في ضيافة أهلها ثم يعود إلى تمبكتو و بقي على هذه السيرة حتى سنة 1062 هـ أين مرض في تمبكتو مرضا شديدا فوافته منيته³، و قد كان هذا الشريف رجل علم و ولاية و مال فلما توفي أرسل حاكم تمبكتو إلى تافيلالت يطلب أهل تافيلالت من قرابته لتسليم تركة المرحوم و فعلا وصل من تافيلالت ابنه احمد الحاج فوجد في استقباله رجل من توات مع القائميين على شؤون تمبكتو، و كان ذلك التواقي أيضا من رجال الأعمال و اسمه الشيخ "تباحلي" و فعلا تم نقل التركة و قد كان الرجل التواقي كثيرا ما يعرض عليه البقاء في إقليم توات⁴، و قد كان الأمر كذلك عندما أقام في توات خاصة في زاوية كنتة سنة 1063 هـ. حيث طاب مقامه فيها فلم يبرح مكانه و أرسل إلى إخوته ليتسلموا نصيبهم في التركة و كان الأمر كذلك حيث استقروا جميعا في توات و بذلك تكون هذه الأسرة الشريفة أول الشرفاء العلويين إقامة في توات الوسطى.

1- تقييد مخطوط لنسب العائلة في يد أحفاده بالزاوية، الكنتة الصفحة الأولى.

2- الشيخ إدريس الفضيلي، كتاب الدرر البهية و الجواهر النبوية، ج1، الفضيلة المحمدية، المغرب، 1999 ص ص 98-99.

3- أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات، مرجع سابق، الورقة 101.

4- أحمد جعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 66.

استقر الشيخ أحمد الحاج في الزاوية و تصاهر مع الشيخ أحمد الرقادي حيث تزوج بابتته خديجة، و هذه المصاهرة هي من ستوطد من أوصل النسب الشريف و البيت الشريف¹.

أعلام البيت البلحاجي:

خلف الشريف السيد الحاج احمد تسعة أولاد كلهم عمرووا الإقليم بعد أن قدموا من تافيلالت إلا أصغرهم و هو السيد محمد الصالح الذي توفي صغيرا، و تلكر المصادر أن ابنا له يسمى "الزين" قد رجع إلى تافيلالت و لم يبق مع إخوته. أما أبناؤه التسعة فهم الشريف أحمد بن الحاج محمد، الشريف مولاي عبد الملك، الشريف عبد الكريم، الشريف عبد القادر الشريف سيدي الشيخ، الشريف عبد الله بوز قزاد، الشريف سيدي الزين و الشريف أحمد بن احمد الحاج².

العالم أمحمد الحاج (ت 1101 هـ):

يعد أكبر أبناء الشيخ السي حمو بلحاج، ولد سنة 1020 هـ، بأرض تافيلالت بالمغرب و هو أول القادمين و المستقوين في الإقليم كان ذلك في الفاتح من شعبان 1063 هـ. بقي في توات و تزوج من ابنة الشيخ أحمد الرقاد و كان له أولاد كثيرون توزعوا في قصور توات، توفي الشيخ سنة 1101 هـ. من أبناؤه، المتوزعين في قصر الزاوية كنتة و قص أعز ما ملال، قصر بوعلي قصر يتركان... و غيرها من القصور.

العالم الشريف عبد الملك (ت 1088 هـ)³:

ولد هذا الشريف عام 1027 هـ في تافيلالت و دخل إلى توات مع إخوته عام 1064 هـ. استقر بقصر زاوية كنتة، حتى توفي بها في رجب عام 1088 هـ، و له ذرية كثيرة متوزعة في كل من بودة، تاخيفت، أدغا و تساييت...

1- أحمد الجعفري، أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 67.

2- تقييد عن العائلة الرقانية، خزانة قصر باعبد الله، أدرار، ص 05 .

3- مولاي عبد الله إسماعيلي، أولاد السي حمو بلحاج، أعمال الملتقى الرابع حول تاريخ أولاد سي حمو بلحاج تاريخ و حضارة، 01 جوان 2006 زاوية كنتة، أدرار، ص 5. ينظر أيضا: عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، تراجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 96.

العالم الشريف عبد الكريم (1095 هـ)¹.

يأتي هذا الشريف في المركز الثالث من تعداد الإخوة الثمانية، ولد سنة 1029 هـ دخل مع إخوته سنة 1064 هـ إلى زاوية كنتة من أرض توات الوسطى، ثم انتقل إلى قصر تيطاوين أين قصيدة مشهورة، ليعود مرة أخرى إلى قصر كنتة و يتوفى بأرضها مطلع شهر ذي الحجة سنة 1095 هـ. أولاده متوزعين في قصر المنصور بسالي، قصر تيطاوين و في قصر المستور.

الشريف عبد القادر (ت 1094 هـ)².

ولد الشريف عبد القادر ابن السي حمو الحاج سنة 1033 هـ، بقي مع إخوته في قصر كنتة حتى وافته المنة شهر ذي الحجة من سنة 1094 هـ، أبناؤه في قصر أضوي.

الشريف سيدي الشيخ (ت 1098 هـ)³.

و لد شهر ذي القعدة سنة 1035 هـ و حل إلى توات سنة 1069 هـ مع إخوته، ثم استقر هناك حتى توفي في شهر صفر من سنة 1098 هـ، مدفون بقصر الشيخ القاسم، أبناؤه متوزعين بين قصر حمار بتسايت و قصر أولف و إينغر.

الشريف سيدي الزين (ت 1100 هـ)⁴

ولد هذا الشريف في الفاتح من شهر ذي الحجة من عام 1031 هـ، دخل إلى قصر كنتة مع إخوانه سنة 1064 هـ، لكنه الوحيد الذي رجع إلى أرض تافيلالت حتى توفي بها في شهر شعبان سنة 1100 هـ، و له أبناء في الإقليم التواتي يعرفون بلقب الرقاني.

الشريف أحمد بن محمد: (1180 هـ)⁵.

ولد في رمضان عام 1039 هـ نزل توات سنة 1065 هـ، و استقر فيها حتى توفي سنة 1108 هـ، و هو جد شرفاء بريش.

1- أحمد الجعفري، المرجع السابق، ص 69.

2 نفسه، ص 70، مبارك جعفري، عبد الله مقلاتي، مرجع سابق، ص 207.

3 نفسه، ص 70.

4 نفسه، ص 71.

5- أحمد الجعفري، المرجع السابق، ص 72.

الشريف عبد الله بوزقزاد: (بوزقزاد) التوفى (1105هـ) 1

ولد شهر رمضان 1037هـ، نزل سنة 1065هـ ثم انتقل إلى قصر بوزقزاد ببوعلي توفى شهر شوال 1105هـ، له أولاده في تيطاوين الشرفاء، تابع لأبناء الشريف السي حم بلحاج.

6- التعريف بالبيت التلاني:

يعد هذا البيت أحد أهم البيوت العلمية في القرن الحادي عشر التي امتدت فروعها و أثمرت فطاحل علماء تنان و كامل إقليم توات في مرحلة انتعاش الإقليم ثقافيا، ما بين القرن الثاني عشر و الثالث عشر.

و يعود الفضل في تنشئة هذه الأسر للعالم الفاضل أحمد بن يوسف و الذي يعود بأصوله إلى خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، كما تؤكد كذلك شجرة النسب الخاصة بهم في أحد خزائن العائلة التلانية. فهو أحمد بن يوسف بن محمد بن السلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدام بن دان بن سكناس بن معزوز بن قيس بن محمد بن أبا بن عثمان بن عفان².

و قد نسبت العائلة لقصر تنان نظرا لجده الأول أحمد السالف الذكر و الذي أسس فيها زاوية جديدة على أنقاض القصر التلاني القديم و كان ذلك سنة 1058هـ³.

1- أحمد جعفري، المرجع السابق، ص 72.

ينظر: مبارك جعفري، عبد الله مقلاتي، تراجم علماء توات، مرجع سابق، ص 232.

2- شجرة أنساب العائلة التلانية بجزنة الشيخ عبد العزيز بقصر مهدية أولاد إبراهيم، الورقة 01، ينظر أيضا: محمد باي بلعام، الرحلة، مرجع سابق، ص 35-36. ينظر: محمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، مرجع سابق ص 79.

3- عبد العزيز سيدي أعمار، مرجع سابق، ص 79.

أعلام البيت التلاني:

1- العالم أحمد بن يوسف بن محمد الأموي التلاني (ت 1078هـ / 1667م).

هو العالم الجد أو الأصل الأول لبيت التلاني في الإقليم و قد ذكرنا نسبه الذي يعود إلى ثالث خلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولد سنة 1002هـ بأولاد ونقال¹ و نشأ بها و تعلم على يد أحواله، حتى سنة 1058هـ و قد أصبح عالماً عاملاً ماهراً في شتى العلوم كعلم الحديث و علم الفقه و الأدب و غيرها. تتلمذ على يد شيخه الجليل عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التمنطيبي، و هو ناله من الولاية و الدراية، فكان نعم طالب العلم. تزوج العالم أحمد بن يوسف فكان له سبعة أولاد هم: الشيخ عبد الكريم أكبر أولاده الشيخ عبد المؤمن ثم يليه الشيخ الحاج عبد القادر ثم الحاج محمد أما باقي الأبناء الثلاثة فلم يكن لهم عقب².

أما تلاميذه فكانوا كثر منهم: عبد القادر بن محمد بن عبد الله، عبد الله بن علي بن أحمد... عبد الكريم بن محمد بن عبد الله. تذكر المصادر أنه انتقل إلى تينلان سنة 1058هـ/1647م بعد وقع بينه و بين أحواله مخاصمة جعلته يخرج مغاضباً باحثاً في أرض الله الواسعة فطاب له المقام في أرض تينلان القديم و قد اندثر نبؤه فعمر بها البساتين و حفر الفقاقير وابتنى بها زاوية اسمها يوحى عن معناها الكبير "رزق الله الواسع و النور الساطع". تحديداً يوم الأربعاء

1- يقول الشيخ باي بلعالم في كتابه الرحلة أن الشيخ أحمد بن يوسف كان له أخ يدعى معروف و قد سافر إلى المغرب الأقصى و استقر هناك و كان غنياً بملك البقرة و الغنم و بساتين و اثمار فأرسل إلى أخيه أحمد قائلاً: "إنني رجل ذو مال و أنت بتوات و هي صعبة أنصحك أن تلحق بي. فأجاب الشيخ أحمد، "لا مال إلا كماء... و لا ظل إلا ظل الجدار و أما مالك يا معروف فهو بيت سباع و ضباع..". و أما أخيه معروف فقد أصاب البلد قحط و جفاف، فضاع ماله و ملكه فتحقق ظن أخيه، فكانت مصيبة فيها خير حيث رجع بعدها إلى توات ليكون معاضد كنف أخيه ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ص 38-39.

2- عمر عبد العزيز، قطف الزهراء، مرجع سابق، ص 79-80.

21 رمضان 1058هـ. توفي تينلان بعد مضي عشرين سنة من استيطانه و استقراره بما عام 1667/1168 عن عمر يناهز 76 سنة و فيها قبر¹.

2- العالم: بولنوار² بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التتلائي (ت 1158هـ/1754م):

هو أحد أحفاد العالم الجليل أحمد بن يوسف فهذا الخير لم يكن أولاده من العلماء البارزين لذلك لم نجد أثر لتراجمهم، لكن كان له من الأحفاد ما ورث منه ولاية العلم و هما الشيخان أبو الأنوار و عمر الكبير الذي سنأتي على ترجمته.

هو الشيخ بولنوار بن عبد الكرم بن أحمد بن يوسف التتلائي، ولد سنة 1077هـ/1666م بقصر تينلان ممن تتلمذ على أيديهم الشيخ أحمد بن دين الله التيطافي فكان عالما ملما بجمع فصول العلم خاصة الفقه و فقه النوازل، من مؤلفاته فتاوي كثيرة في فقه النوازل منها ما هي محرّر في "... المقتصد السائل" و منها ما يزال حيا في الجزائر، من تلاميذه هيبه و الشيخ علي ابن احيني و محمد بن مولاي هيبه الذي كان أنجب طلابه فوجه من ابنته فاطمة و جعله وصيا على أمواله³.

كان عالما ورعا يشغل مهنتان نبيلتان التعليم و التجارة، فقد امتهن التجارة فكان المال ملك يده لا قلبه لذلك كان يسافر كثيرا إلى مناطق النيجر و تنبكتو حتى كان يستقر هناك حيث مكث في الأزواد و التقى بشيوخ كتنة كالسيد أحمد بن أبي بكر، السيد المحجوبي فأسسوا حضارة مبروك المعروفة في الأزواد سنة 1125-1713، حتى جاءه يوما كتاب من أخيه أن المال و الثروة زائلتين و أن صلة الرحم لا تنقطع فسارع بالرجوع إلى... و أسس بها زاوية و اشترى

1- عمر بن عبد القادر تتلائي، فهرست التتلائي، مخطوط بجزانة كوسام، أدرار، الورقة 05-07.

2- محمد بلعالم، باي، الرحلة، مرجع سابق، ج1، ص ص 220-222. و ينظر: عبد الحفيظ بوكراع، مرجع سابق ص 148.

3- عبد القادر بن عمار بن عبد الرحمن، الدرّة الفاخرة، مرجع سابق، الورقة، 06.

البساتين و الأراضي فعرفت الزاوية بزواية مولاي الهية نسبة لحفيده ابن ابنته المعروفة في قصر أولف الشرفاء¹.

عرف عنه الكرم و الجود و خدمة أهل السبيل فأوقف عددا من البساتين و الأراضي حسبها على عدة زوايا في قصر تنلان يستفيد منها المساكين و الفقراء و عابري السبيل. تفرغ في كبره للعبادة و الدعوة حتى توفي عام 1158 هـ، في مراجع أخرى تؤكد أنه توفي سنة 1168 هـ².

العالم عمر بن عبد القادر التلالي المعروف بعمر الأكبر (ت 1152 هـ - 1739 م):

هو عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف، المكنى بأبي حفص و بعمر الأكبر، حتى يميز عن الشيخ عمر التلاني المهداوي الملقب بعمر الأصغر، قد ولد سنة 1098 هـ / 1686³. اعتبر أيضا وريث جدّه أحمد بن يوسف التلاني في ملكة العلم و الفهم، و صف بأعجوبة زمانه، شغب حبا بطلب العلم و خوض مطايا السفر و الرحلة في طلبه، مما كتبه في رحلته قوله: "... و بعد فقد كنت في صغري مشغوبا بالعلم مولعا بطلبه مشتغلا بقراءة الشيخ خليل و ألفية بن مالك مقبلا على ذلك متشوقا إلى الشيخ كامل يكشف لي عن غطاها و يوقفني على معانيها، فلم يتفق لي ذلك لكون بلادي شاغرة من العلماء إلى أن شرح الله لي صدري فتوجهت همتي للسفر لسجلماسة أو لمدينة فاس... فسافرت لطلب العلم من توات لمدينة فاس سنة 1117 هـ و أقمت بها مشتغلا بالقراءة و الإقراء إلى آخر سنة 1129 هـ..."⁴..

1- محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج1، ص 33. وينظر: محمد بلعالم، الرحلة، نفسه، ج2، ص 181.

2- محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ج1، ص 33.

3- عبد الرحمن بن عمر التلاني، الفهرست التلاني، تح: عبد الرحمن بعثمان، مذكرة ماجستير، معهد الأدب و العلوم الاجتماعية. جامعة بشار، 2008، ص ص 82-91. التمنطيطي عبد الكريم، جوهر المعاني، مرجع سابق، الورقة 07 و ينظر: عبد العزيز سيد أعمار، قطف الزهرات، مرجع سابق ص 83.

4- عمر بن عبد القادر تلاني، فهرست التلاني، المصدر السابق، الورقة 01. و ينظر: عبد الرحمن التلالي الفهرسة مصدر نفسه، ص ص 82-98.

له من الشيوخ ما لا يحصى و قد ذكرهم في كتابه الفهرست المعروف باسمه و البعض الآخر يسميه الرحلة منهم: الولي الصالح أبو عبد الله محمد السالم بن محمد الرباعي بالمدرسة المصباحية في فاس، (ت 1120هـ) درس الأرجومية عند الشيخ العربي بن عبد الله مهدي و ابن عبد السلام الفاسي، الشيخ محمد بن عبد الله السحلماني و غيرهم الكثير، ذكر أصناف العلوم و المتون التي تلقنها على يد شيوخه فتعلم الفقه و الحديث... و البيان و المنطق و القراءات و الشروح و حفظ المتون المطولة و المختصرات... ثم أصبح معلماً مدرسا في مدرسة الصباحية بفاس و مفسرا للقرآن في المسجد الجامع القرويين عاد بعد 29 سنة إلى تنلاني مسقط رأسه ليحرّر سماء توات من الركود و الجمود و إعادة إحياء علومها¹.

من تخرج على يده من العلماء: عبد الرحمن بن عمر أحد أحفاد عمّ والده الشيخ معروف بن يوسف، عبد الرحمن الجنتوري و أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الكريم الأمريني، ثم توالى القضاء في قصر تنلان سنة 1033 هـ-1623 م فحسن سيره و سريره توفي رحمه الله سنة 1152 هـ - 1739 م².

البيت الجوزي (بيت أولاد القاضي):

يعرف هذا البيت أيضا بالحسني و القوراري و التازدايتي فالحسني نسبة لشرف البيت الذي يعود إلى النبي صلى الله عليه و سلم فعموده النسبي يرجع إلى القاضي الجوزي (الجد، بن احمد عبد الله بن عبد الكريم بن احمد بن محمد المسعود بن ابراهيم بن محمد بن يدرين محمد بن عمرو بن عمران المريني الوطاسي بن عيسى بن أبي القاسم بن يحيى بن عبد الرحمان بن علي بن سليمان بن عيسى بن إدريس بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن البسط بن علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه و سلم³.

1- عمر بن عبد القادر تنلاني، فهرست التنلاني، مصدر سابق، ص ص 46-50.

2- نفسه ص ص 1-3.

ينظر: سيد أعمار، قطف الزهرات، مرجع سابق، 87، مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 227.

3- محفوظ بوكراع، عبد الحق حميش، موسوعة تراجم، الجزائر، ص 340.

وينسب إلى القوراري لأن مؤسس المبيت المكنى بأبي العباس استقر في أولاد سعيد بقورارة وسمي بتازدايتي نسبة لمدينة تازديت في المغرب الأقصى، وإضافة إلى نسب المكان فقد عرف بلقب الجوزي نسبة للجد محمد الجوزي ابن أحمد عبد الله بن الكريم بن أحمد وقد لقبه بهذا الاسم أحد علماء مصر، وقد عرف الجد بالعلم و الصلاح و الترحال فلما ناظره ذلك العالم فوجد فيه تمكن لجميع الفنون و اعتراف لع يعلو كعب في التحكيم بالعلم فشبيهه للعلامة للشهير أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (ت 597 هـ) فأعجبه ذلك اللقب و اتخذه لقباً لأسرته¹.

و أما نسبه هذا البيت بأولاد القاضي لأن معظم أفراد البيت تقلدوا مناصب القضاء فكانوا أهل علم و صلاح ورثوه من لدن الشيخ أبي العباس (ت 895 هـ) ثم ابنه أبو المكارم و غيرهم من الأحفاد القضاء².

أعلام البيت الجوزي:

1- أحمد بن مسعود بن إبراهيم الحسني (ت 895 هـ)³.

ويكنى بأبي العباس القاضي ابن القاضي فقد كان المسعود بن إبراهيم قاضيا ومدرسا فخلف الابن أباه ليكون أيضا مدرسا قاضيا و عالما، و هو أحمد بن محمد المسعود ابن إبراهيم إلى أن يصل إلى ابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه و سلم اشتغل بالعلم ليظهر كلمة الحق و قد عاصر العالم المصلح ابن عبد الكريم المغيلي و كان ممن ساندته في

1- عبد السلام الأسمر بلعام، الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر هجريين، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د: سعيد فكرة، تخصص الفقه و أصوله، كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر-01، باتنة السنة الجامعية 2015-2016، ص 299.

2- نفسه، ص 300.

3- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 172. ينظر أيضا: عبد الحق حميش و محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم الجزائر، مرجع سابق، ص ص 429-430. ينظر: محفوظ بوكراع، الفرقد الناثر/ مرجع سابق، ص ص 219-220. ينظر: عبد السلام الأسمر، الحياة الفقهية، مرجع سابق، ص 258.

قضية يهود توات، توفي سنة 895 هجري قبل المغيلي بأربعة عشر سنة في مدينة تزولت التي عمرها أولاد القاضي من بعده فأصبحت تسمى باسمهم و فبره معروف هناك.

2- عبد الكريم بن أحمد بن مسعود - أبو المكارم¹.

هو ابن العالم الجليل أحمد بن مسعود و المكنى بأبي المكارم الحسيني القوراري، تصلع في سائر العلوم على يد أبيه و شيوخ آخرين منهم الشيخ محمد بن عبد الله الدقلق الفاسي، فحصل على إجازات عدة في مختلف العلوم، ليعود إلى مسقط رأسه - تازولت - لم تقف المراجع على تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته غير ان الباحث عبد السلام الأسمر في أطروحته - الحياة الفقهية- الذي يضع تاريخ وفاة له و لأبيه فيقول أنه توفي في 941 هجري².

3- عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجوزي (ما بعد 994 هـ)

هو احد أبناء البيت الجوزي، إذن فهو العالم حفيد العلماء، لم نجد تاريخا لميلاده و لم تتفق الأقلام على تاريخ وفاته إلا أن تاريخ ما بعد 994 هـ اعتمادا على تاريخ ميلاد أحد تلاميذه و هو الشيخ عبد الكريم بن احمد بن أبي محمد³، لكن الأصدق أنه توفي ما بعد سنة 1010 هـ/1601 م لأن العالم عبد الكريم يقول انه لما التقاه سنة 1010 هجري سأله ما تقرأ؟ فقال له: ألفية ابن مالك، فقال له أين بلغت؟ فرد عليه الموصول، فقال له الشيخ أنت موصول إن شاء الله⁴. ثم يشهد تلميذه انه كان لا يتام حتى يختم المختصرات و كان يكثر النظر في الكتب.

و من مؤلفاته نظم طبقات النسب:

يا سائلا عن طبقات النسب	خذيها على الترتيب عند العرب
أعلاه شعب دونه فييلته	ثم عمارة فخذ فضيلة
ثم بطن ثم فخذ بعده	فصيلة سدسة في العمدة
ثم حي و عشيرة كما	نقل نص الثقات الحكماء

1- محفوظ بوكراع، نفسه، ص 221. عبد السلام الأسمر، نفسه، ص ص 298-299.

2- يضع الباحث عبد السلام هذا التاريخ اعتمادا على كتاب ذاكرة الماضي للمؤرخ عبد الرحمن الجوزي الصفحة 10.

3- محفوظ بوكراع، الفرقد الناثر، مرجع سابق، ص 223.

4- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 193.

مما يذكر عنه أنه عاصر شيخ المصلحين محمد بن عبد الكرم المغيلي و سانه في قضية "يهود توات"¹.

4- محمد بن عبد الله التازدايتي المعروف بالجوزي².

هو أحد أحفاد أولاد القاضي و حفيد الشيخ أبي المكارم، لم تذكر المراجع عنه الكثير سوى انه تقلد القضاء و دفن في قرية أولاد سعيد.

إن الأوضاع العامة التي عرفها الإقليم قبل القرن السابع الهجري؛ هي نقطة ارتكاز بالنسبة لتوات في الجانبين الاقتصادي و الاجتماعي، فقد عرف الإقليم عدم استقرار و توتر داخلي و خارجي بسبب عدم وجود سلطة معينة تضبط الخلاف الدائر بين القبائل الساكنة فيه و تصد الضربات الخارجية عنه.

هذه الصورة من عدم الأمن و لا استقرار نتيجة غياب سلطة معينة قبل القرن السابع الهجري كانت عاملا صارفا عن الاستقرار و التطور خاصة الجانب العلمي الثقافي؛ لكن بعد هذه الفترة بدأت المنطقة تشهد بعض التغيرات خاصة و أن موقعها الجغرافي أهلها لذلك، فإن موقع توات في مفترق الطرق الرابطة بين الشمال و الجنوب جعلها منطقة تجارية خاصة سقوط دولة غانة و انتقال الحكم إلى دولة مالي و بالتالي تغيير الطرق التجارية و انتقالها من فاس و مراكش و سجلماسة إلى توات؛ إضافة إلى أنها مثلت أهم مساحة لمحطات ركاب الحجيج الرابطة بين حجاج المغرب الإسلامي و السودان الغربي ومنها إلى مصر ثم إلى بلاد الحجاز، فقد اعتبر توات طريقا آمنا كونه بعيد عن مسرح الصراع في الشمال؛ فأصبحت توات قبلة الزهاد و الحجاج و الفقهاء و العلماء، فكانت هذه الوفادة وفادة خير أحسن سكان توات وفادتهم مما شجعهم للبقاء و الاستقرار.

1- محفوظ بوكراع، نفسه، ص 223.

2- نفسه، ص 224.

الفصل الثاني:

مظاهر النهضة و العلوم المعتمدة في الإقليم

3- المؤسسات التعليمية و العمائر الدينية:

1- الكتاتيب.

2- تأسيس الزوايا و أنواعها.

3- دور الزوايا.

4- المساجد في الإقليم التواتي.

5- الخزائن.

4- أثر المؤسسات العلمية على الإقليم.

5- العلوم المعتمدة في الإقليم التواتي:

1- العلوم الشرعية

2- العلوم النقلية

3- العلوم العقلية

1- المؤسسات التعليمية و العمائر الدينية:

بدأ إقليم توات في الارتقاء شيئا فشيئا منذ دخول الإسلام إليه، و قد بلغت المنطقة أوجها مع بداية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، حتى وصف بالعصر الذهبي، و قد ساهم في عملية الارتقاء كبار العلماء من أهلها و الوافدين إليها الذين ساهموا في تفعيل دولا ب الحركة الثقافية¹، فكثرت الكتابات التي تعد اللبنة الأولى في حركة التعليم، ثم المساجد التي كانت القاعدة المتينة في تعاليم الدين و جمع شمل المسلمين².

أيضا نجد الزوايا التي ساهمت بشكل واسع في المحافظة على الدين الإسلامي و الطابع الروحي للتعليم، بحيث تعد مرحلة ثانية للتعليم بعد أن ينتقل من المرحلة الابتدائية ليصل على المراحل العليا للعلم بفروعه و تخصصاته³.

و قد تمتعت توات بحياة ثقافية حافلة خلال القرن التاسع هجري، حيث تأثرت بانتمائها للمغرب الأوسط الذي كان مركز إشعاع فكري و علمي⁴.

و قد أصبحت تلك المؤسسات الثقافية مقياسا هاما يقاس به الواقع الثقافي لإقليم توات و غيرها من الأقاليم، حيث تنوعت كما سبق و ذكرنا بين المساجد و الزوايا و الكتابات، ثم حركة العلماء و نشاطهم الذي أضفى على تلك المؤسسات طابعها الحركي النابض بالتفاعل⁵.

1- أحمد الحميدي، مرجع سابق، ص 66.

2- مبخوت، بودواية، العلاقات الثقافية و التجارية، مرجع سابق، ص 61.

3- فرج محمود، فرج، مرجع سابق، ص 85-86.

4- عبد الحميد حاجيات، الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، ع: 26، جويلية - أوت 1975، ص 155.

5- عبد الحميد، بكري، النبذة في تاريخ توات و أعلامها، مرجع سابق، ص 44-46، و ينظر أيضا: عبد القادر زبانية، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 77، 78.

الكتاتيب:

هو مكان خصصه المسلمون لتعليم صبيانهم مبادئ القراءة و الكتابة و تحفيظهم القرآن و الأحاديث النبوية، مع شيء من النحو و الصرف، و هذا الرأي يؤكدُه أبو حامد الغزالي حين يتكلم عن الموضوعات التي تعلم في الكتاتيب، "القرآن الكريم، و أحاديث الأخيار، و حكايات الأبرار و أحوالهم، و بعض الأحكام الدينية و الشعر"¹، و الشائع في وظيفة الكتاب تحفيظ الصبيان القرآن الكريم و تأدية الصلاة².

و الكتاتيب لغة جمع لمفرد كتاب، بضم الكاف و تفخيم التاء الممدودة، و باء ساكنة لكن بعض اللغويين يرون غير ذلك بحيث يفرضون الرأي القاضي بأن الكتاتيب جمع لكلمة مكتب، و جمعها مكاتب يرون غير ذلك بحيث يفرضون الرأي التالي: "المكتب موضع للتعليم و المكتب بفتح الكاف و تشديد التاء و كسره المعلم، و الكتاب هم الصبيان، و من جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ..."³.

و قد اتخذ المسلمون مبنى صغير متواضع جدا و خصصوه للكتاب، منفصل عن المسجد لمقاصد كثيرة أهمها تفادي دخول الغير بالغين لبيت الله احتراسا لتفادي النجاسة أو ما شابه ذلك⁴، و يتم الالتحاق بالكتاب في السن الرابعة و الخامسة، فمتى تأتى للطفل الكلام والإفصاح بشكل صريح استطاع الانضمام⁵.

و في هذا الشأن يقول صاحب كتاب قطف الزهرات: " فلما بلغت سن التعليم أدخلني سيدي والذي مكتب القرآن، عند عمنا و مقرئ بلدنا البركة الربانية و الأسرار الرحمانية..."⁶.

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، دار القلم، بيروت، د ت، ص 53.

2- صالح، بوسليم، مرجع سابق، ص 146.

3- أحمد، أمين، ضحى الإسلام، ج2، ط2، مصر، مكتبة النهضة، 1985، ص 50.

4- صالح، بوسليم، المرجع السابق، ص 148.

5- محمد، باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج1، ص 262.

6- عبد العزيز، سيدي عمر، قطف الزهرات، مرجع سابق، ص ص 9 - 10.

و الكتاب بلغة أهل توات يسمى "أقريش" و هي كلمة زناتية، أو تسمى بالمحاضرة¹ خاصة في منطقة بودة².

و قد انحصرت وظيفة الكتاب أو الأقريش في توات و في عامة العالم الإسلامي في تهيئة الطالب للدخول للمرحلة الثانية في المدارس أو الزوايا أو المساجد، بحيث يلم بالخط و فنونه و بالغة العربية و ضرورها زيادة على الحرص على عملية تحفيظ القرآن عن ظهر قلب³، و طبعا تلك الوظائف كلها تحتاج إلى معلم ضليع بالأمور السالفة الذكر، و الذي تطلق عليه الأسماء التالية: المؤدب، الشيخ، مرشد أو المولى.

و يمكن الجزم أن تحفيظ القرآن للصبيان في الكتاب هو أول ما يبني عليه التعليم بكل أطواره⁴، و هذا من خلال تجربة أسلافنا لهم كما يذكر ابن خلدون في مقدمته: "... اعلم أن تعليم الولدان القرآن من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة و درجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان و عقائده من آيات القرآن، و صار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعد من الملكات ثم اختصت العوائد الإسلامية بتقدم دراسة القرآن الكريم، للتبرك و خشية ما يتعرض للولد من جنون الصبا و الآفات القواطع فيفوته القرآن"⁵.

و عن أجرة المرشد أو الشيخ فكانت حصة من التمر و القمح سنويا تدفعها الأسرة مقابل تعلمه القرآن، أما الصبي فكان لزاما عليه أن يطعم دابة المعلم، نظير تعلمه⁶.

1- المحاضرة: اسم شارع في بلاد شنقيط، لكنها ليست بنفس المفهوم بحيث تعني عندهم تلك الجامعات التي تستقبل الطلبة الوافدين، بحيث توفر لهم ما يحبون من ضروب العلم و المعرفة، ينظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة و الرباط عرض للحياة العلمية الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنتقلة (المحاضر)، منشورات المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1987، ص 54.

2- صالح، بو سليم، المرجع السابق، ص 148، ينظر أيضا: الصديق، الحاج أحمد، الحياة الثقافية، مرجع سابق، ص 45.

3- نفسه، المرجع نفسه، ص 149، أحمد، الحميدي، مرجع سابق، ص 73.

4- فرج، محمود فرج، مرجع سابق، ص 86.

5- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 279، 280.

6- فرج محمود، المرجع السابق، ص 86.

أما عند ختم أحد الصبية للقرآن فكانت تختفي به أسرته أيما احتفاء، مما يدل على اهتمام أهل توات بالعلم و حفظ القرآن الكريم.

الزوايا:

تعد الزوايا ركنا متينا في هيكل المؤسسات العلمية في توات و غيرها، وذلك لعظم الدور القائم بها و إن كانت في تعريفها اللغوي تعني أحد أركان المسجد.

و كلمة زاوية مشتقة من فعل انزوى ينزوي، و زوى تعني ابتعد و انعزل، و فعل "زوا" الشيء زيا تعني جمعه و قبضه¹.

و في الحديث: "زويت في الأرض فأريت مشارقها و مغاربها"، و قد أطلقت هذه التسمية في بداية الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت هذه الكلمة على المصلي - تلك المساجد الصغيرة التي تقام فيه الصلوات الخمس- و مازالت هذه الكلمة تحمل نفس المعنى في المشرق، أما في المغرب الإسلامي فكلمة زاوية فهي مبنى يميزه الطابع الديني يمكنه أن يشبه الدير في مفهومه، فهي مدرسة دينية مجانية².

إذن مفهوم الزاوية³ بهذا الشكل اشتقت من فعل زوى أي جمع، ففيها تتجمع الصفوف التي يختلط فيها الغني بالفقير، و الطالب بالعالم، ثم تجمع فيها الأموال قصد تمويلها و تسييرها⁴.

1- حسان بجيدي، محمد عبد القادر، الزوايا و دورها في حفظ المخطوطات، مذكرة ليسانس، تخصص علم مكنيات و التوثيق كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة السانية، وهران، 2000 - 2001، ص 04.

2- محمد نسيب، زوايا العلم و القراءة بالجزائر، بوزريعة، دار الفكر العربي، دت، ص 27.

3- يطلق اسم الزاوية عموما على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني...عرفت في أوائل القرن 8هـ و كانت تطلق على مكان معد للزاوية، كالمسجد، و يشتمل على المرافق للطلبة المجاورين لها... و سميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة...". ينظر: محمد نسيب، نفسه، ص 30.

4- محمد باي، بلعالم، أهداف نشأة الزوايا و واقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام: 1،2،3، 2000 م، ص 2.

أما المعنى الاصطلاحي لها، فهي مؤسسة دينية لها طابعها الاجتماعي الصوفي، يجتمع فيها المريدون، فهي وعاء الطرق الصوفية، تتخذ لإيواء الطلبة و الزوار المسافرين، هذا الطابع الذي طغى على الزاوية خلال القرن العاشر هجري¹.

و إن حاولنا البحث في منشأ الزاوية فيذهب الكثير من المؤرخين إلى أن الزاوية أصلها الرباط²، و أصبحت ابتداء من القرن الرابع هجري تعرف تحولا كبيرا، حيث أضحت مركزا تعليميا يقصدها العلماء لمزاولة أعمالهم و تدوين تأليفهم، و يتجمع فيها الطلبة المتسابقين لنيل شرف العلم و التعلم.

و قد أخذت الزاوية أسماء متعددة، فمثلا في المشرق سميت "بالخانقاه"، و قد كانت بيوتا صغيرة متلاصقة بالمساجد و مخصصة للذكر و العبادة و الانقطاع و التأمل و التفكير و مع مرور الزمن انفصلت عن المساجد و أصبحت قائمة بذاتها، لها وظائف و مهامها التي تجاوزت الإيواء و تحفيظ القرآن، بل أصبحت شأنها شأن المعاهد العليا، أين تدرس العلوم الدينية كالفقه و التفسير و الحديث و العلوم اللغوية كالنحو و الصرف و البلاغة³.

أما عن الزوايا بتوات فقد أرساها رجال أكفاء صدقوا الله ما عاهدوه عليه، عرفوا بالصلاح و التقوى، فالكثير إن لم أقل كل الكتابات التي تناولت موضوع الزوايا في توات تؤكد على علاقتها بل هي ترتبط بتأسيس الإقليم نفسه، فتوات هي الزاوية و الزاوية هي توات⁴.

1- محمد، نسيب، المرجع السابق، ص 31، محمد، بلعالم، المرجع السابق، ص 2. بنظر: حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج2، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، 2013، ص 341

2- الرباط: جمع أربطة و رباطات و زبط، لها أكثر من معنى، هو بناء عسكري يقام غالبا في نقطة الضعف عند الحدود و المرابطون فيه يجمعون بين الدفاع عن الأرض - الجهاد - و بين العبادة و الزهد. ينظر: محمد الأمين، بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصر المرابطين و الموحدين، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1406 هـ 1986 م، ص 2.

3- محمد باي، بلعالم، مرجع نفسه، ص 3.

4- محمد باي، الرحلة العلمية، مرجع سابق، ج1، ص 319 - 320.

و تنقسم الزوايا في توات إلى زوايا العلم و القرآن و زوايا الإطعام و الإصلاح ثم تطورت في القرن التاسع هجري القرن الخامس عشر ميلادي لتصبح مدارس دعوية¹، تدعوا للجهاد و الإصلاح لذلك سنأتي لذكر أشهر الزوايا التي تأسست في الفترة ما بين السابع و العاشر هجري.

زاوية مولاي سليمان بن علي الإدريسي:

تعد الزاوية من أقدم الزوايا و أنشطها، بحيث لا يكاد يخلوا قصر من إقليم توات من هذه المؤسسات التعليمية، و قد حرّك فعل تلك الزوايا العلماء النشطاء الذين عملوا على بث الروح العلمية في نفوس المنطقة كما اعتبر مراكز الإيواء و أمان للمسافرين قصدوا العلم أو لم يقصدوا². هي زاوية أسسها العالم الجليل الشريف مولاي سليمان بن علي القادم من فاس إلى توات سنة 580هـ / 1208م في قصر أولاد أنقال إحدى قصور تيمي، اهتم ببناء هذه الزاوية ليعلم القرآن و اللغة العربية و ينشر الفكر الصوفي من خلال بث هذا التوجه في تلاميذ أصبحوا أتباعا له³.

اشتملت هذه الزاوية على مكتبة ثمينة جمعت فيها الكتب في مختلف العلوم من حديث و فقه و جغرافيا و فلك، حساب، طب و غيرها، فذاع صيت الزاوية و شيخها و أصبحت قبلة للزائرين و السائلين حتى بعد وفاته 670 هـ⁴، حيث أقيم له ضريح في الزاوية من قبل موريديه فأصبحت الزاوية بذلك مزارا للتجار الذين غمروها بالنفقات و الهدايا و معبرا للحجاج المارين بتوات قاصدين البقاع المقدسة.

- 1- أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص ص 68 - 69. ينظر أيضا: عبد الحميد، البكري، مرجع سابق، ص 55.
- 2- محمد صالح حوتية، مرجع سابق، ص 234.
- 3- أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 68.
- 4- عبد الحميد، البكري، النبذة في تاريخ توات، مرجع سابق، ص 65، ينظر أيضا، محمد بلعالم، باي، المرجع السابق ج1، ص 254، ينظر أيضا: بوسيلم، المرجع السابق، ص 165.

زاوية عبد الكريم المغيلي:

اعتبر محمد عبد الكريم المغيلي من كبار علماء القرن التاسع هجري، لما اشتهر به من سعة علوم و الرأي الثاقب و حجته في الدين، أخذ العلم على يد كبار العلماء و الصالحاء أمثال عبد الرحمن الثعالبي³ و الشيخ أبي العباس و الوغليسي ببجاية، تشرب لواء الصوفية باسم القادرية من الثعالبي فأقسم على نشرها، و لم يجد في تلمسان الوسط المناسب حين تنفذ اليهود إلى قمة الحكم¹ وسيطروا على التجارة في تلمسان فانتقل منها قائلًا:

تلمسان أرض لا تليق بحالنا و لكن لطف الله نسأل في القضاء

كيف يجب المرء أرضاً يسوسها يهود و فجار و من ليس يرتضي

فتزل بأرض توات تحديداً بتمنطيط سنة 882 هـ / 1465 م فأخذ العلم² بزاوية يحيى المنيارى هناك، لكنه اختلف مع الشيخ في شأن اليهود، فسافر إلى قصر بو علي أين أسس زاويته سنة 885 هـ / 1480 م، و بدأ نشاطه الذي سرعان ما جمع فيه بين الدعوة التعليمية و الدعوة إلى الجهاد منادياً بتطهير توات من جنس اليهود قائلًا:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود³

فأعد العدة لضرب اليهود في توات من تازولت، تاخيفت و تمنطيط و جمع الناس من حوله و ألّبهم على من ساندوا اليهود و جعلوهم أهل ذمة⁴.

لهذه الزاوية الكثير من الأوقاف تتمثل في البساتين و الأراضي و البيوت التي أوقفها أصحابها لهذه الزاوية، كما امتلكت نصيب كبير من مياه الفقاقير مما أضاف لها تلك الحركية

1- نصر الدين، سعيدوني، من التراث، مرجع سابق، ص 266.

2- أحمد الحمدي، مرجع سابق، ص 109.

3- فرج، محمود فرج، مرجع سابق، ص 93، ينظر أيضا: صالح بوسليم، المرجع السابق، ص 165، أحمد الحمدي نفسه ص 70.

4- عبد المنعم، القاسمي، المرجع السابق، ص 325، أحمد، الحمدي، المرجع نفسه، ص 70، صالح بوسليم، مرجع نفسه ص 165.

النابضة في نشر تعاليم الدعوة و بث أفكارها إلى جهات عدة كبلاد السودان الغربي و هذا الشكل حرص الشيخ على إقامة نظام إسلامي يبنى به مجتمع موحدًا تحكمه مبادئ الشريعة¹.

زاوية بدرينان:

تم تأسيس الزاوية من قبل الشيخ أبي محمد الجزولي²، أحد أبناء محمد بن سلمان الجزولي من مشايخ القرن العاشر الهجري انتقل إلى قصر "تيزرك" حيث أنشأ الزاوية الجزولية، ثم أسس عدة زوايا في قصور مختلفة كهذه الزاوية زاوية بن عيسى و زاوية فاتيس و تمطوحت³.

تولى تسيير الزاوية بعد وفاته (ت 863 هـ) ابنه محمد عبد الله الصوفي فقسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول أوقفه لطلبة العلم و عابري السبيل، القسم الثاني أوقفه للفقراء حيث يتكون من أربعين سكنًا و خمسة و ثلاثين بيت، أما القسم الأخير فقد تركه لأبنائه و أحفاده اعتبرت تلك الزاوية حلقة وصل ربطت و مصدر إجماع للقبائل الموجودة حولها كقبائل الخنافس و أولاد جرير، أولاد الحسين و أولاد سليمان مما أكسبه مكانة و هبة كبيرتين في الإقليم⁴.

"... و كانت لهذه الزاوية عدة اتصالات عملية مع شيوخ المنطقة و خارجها نذكر منها فتوى للشيخ محمد الشاذلي المالكي و أخرى للشيخ عمر بن علي البخاري أما فقهاء المنطقة فلهم عدة فتاوى تختص بشؤون الزاوية للقاضي سليمان بن الجوزي بأولاد سعيد تتعلق بأوقاف الزاوية

1- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص70.

2- هو محمد بن سليمان بن داوود أبو عبد الله، ولد أوائل القرن التاسع الهجري، بأولاد سعيد، سنة 806 هـ بجزولة بالمغرب الأقصى، تلقى تعليمه الأول من أبيه الشيخ محمد بن سليمان ثم تتلمذ على يد مشايخه كثر منهم الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين و الشيخ موسى بن مسعود الذي أخذ عنه التصوف، تصدر التدريس بمكة، برع في الفقه، توفي سنة 869 هـ، ينظر: أحمد بابا، التبتكي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص538، وينظر أيضا: عبد المنعم القاسمي الحسني أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)، دار الخليل القاسمي للنشر و التوزيع الجزائر، ص270.

3- صالح، حوتية، مرجع سابق، ج1، ص235.

4- نفسه، ص236.

¹، كما تضم هذه الزاوية خزانة للمخطوطات يصل عددها على المائة مخطوط سنة 1195 هـ/1780م.

الزاوية الكنتية²:

تعد من أهم زوايا توات، يحدها شرقا قصر عربي و غربا القصبة و سبخة وادي مسعود شمالا وادي عربي، أسسها بن محمد الرقادي³ سنة 99 هـ/1590 م على أرض اشتراها من أولاد جرير و من أهل عزي و من المقاطعة، اشتهر صيته وصيا الزاوية معا حتى توافد عليهما عدد لا بأس به من الطلبة من منطقة توات و الأزواد من أقدمس، تمبكتو، غاو...

تعاقب على الزاوية علماء، كثر نذكر منهم محمد بن علي (ت 1125 هـ - 1708م) محمد الصوفي بن محمد (1222 هـ/1807م)⁴.

المساجد:

لكل مبنى أساس و لكل عماد و عماد الإسلام العقيدة و أساس العقيدة الإيمان و لا يتم الإيمان إلا بتمام الأركان و كانت حكمة الله العزيز المتين أن أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد و الدين و التوجيه و التعليم و توضيح الاعتقادات و الإرادات و العبادات التي تتبع بالعملات و التي تضم الاختلاف و المنازعات و حفظ الأمانات⁵، فنصل بذلك إلى حدود الله التي نقف عندها و نمثل إليها و لن يتأتى ذلك إلا بإقامة بيوت الله، و هذا بالفعل ما جسده رسول الله

1- صالح، حوتية، مرجع سابق، ج 1، ص 236.

2- سميت هذه الزاوية بهذا الاسم نسبة للشيخ عمر بن أحمد البكاي الكنتي (908 - 960 هـ/1504 - 1553م) نشر الطريقة القادرية التي أخذها عن والده و عن الشيخ عبد الكريم المغيلي، فكان للطريقة البكائية القادرية زوايا كثيرة في توات كان والده أحمد البكاي أول من نشر الطريقة بعد الشيخ عبد الكريم. نظر: ، عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق ص 252.

3- كان للشيخ الرقادي ثمانية أولاد: عمر، عبد الوهاب، عبد المومن، أحمد، علي، عبد القادر، محمد، مصطفى عبد الله، و ثلاثة بنات، عائشة، فاطمة، خديجة، تصاهر مع الشريف مولاي أحمد، فساهم بالإشراف في الزاوية ينظر: عبد الله الرقادي، نافذة عن تيديكلت، أولف، 1998، ص 09.

4- صالح، حوتية، المرجع السابق، ص 243.

5- محمد باي، بلعالم، مرجع سابق، ج 1، ص 212.

خاتم الأنبياء و المرسلين، فأول ما استقر أمره في المدينة المنورة فأسس أول جامع¹ في الإسلام حتى ينشر الدين و تعاليمه ففيه الصلوات و تعرف العبادات و تحدد فيه المعاملات. لذلك فيعد المسجد أحد أهم مقومات الإسلام و رموزه فهو مكانا للعبادة و مركزا لاتخاذ القرارات ثم إنه مكانا للتأطير الروح و الإشعاع الفكري و أنموذج تربوي أخلاقي ترقى به النفوس و يتضاعف به الإيمان².

فيرتبط المسجد بالإسلام ارتباط الروح بالجسد، كما يرتبط القرآن الكريم باللغة العربية كل مرتبط بالآخر مشكلين حلقات تفسير هذا الدين الحنيف، و قد تعدت مهام المسجد منذ عهد النبي الكريم مهمة العبادة لتكون مجالس للقضاء و فك النزاعات مجالس تحدد فيها الغزوات و تجسد فيها كل الطاعات³.

إذن هذا الشكل يكون المسجد رمز من رموز الدين للمسلمين في كل مكان، و في توات أيضا لن يسير الأمر إلا على ذلك النحو، بحث صارت حلقات للدروس اليومية للعلوم التي كانت سائدة، و إن مسألة وجود المساجد في توات منذ زمن مبكر يوضح قضية اعتناق الإسلام لأهل توات في أول و أحدث عهده في إفريقيا و يعتبر مسجد تمنطيط شاهد على ما سبق بحيث يحمل محرابه التاريخ التالي⁴ 106 هـ/725 م.

كثرت المساجد في توات و سادها المذهب المالكي، فاعتمدت تدريس العلوم البينية من حديث، تفسير و فقه على شكل حلقات و التي لعبت دورا كبيرا في حركة التعليم في الإقليم⁵

1- يوضح أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الثقافي" مفهوم الجامع و المسجد فيقول: "... كثير ما يختلط على الباحث اسم الجامع و المسجد و الزاوية، فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة و العيدين، و كثر ما يسمى أيضا جامع الخطية، و بعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير..." ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص245.

2- صالح بوسليم، مرجع سابق، ص153.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص245.

4- أحمد حمدي، مرجع سابق، ص15-21.

5- صالح، بوسليم، المرجع نفسه، ص156.

حيث نخرج من بيوت الله علماء أفاضل تنافسوا في العلم و المعرفة عملا بقول الله تعالى: "خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"¹.

فعدوا المحاورات و المناظرات الفقهية بينهم مما زاد من سمعة المنطقة فأصبحت قبلة لمحيي العلم و المعرفة².

الخزائن³:

تميزت توات بكثرة خزائنها التي تعد وعاء لحفظ المخطوطات الكثيرة التي لا حصر لها في جميع الاختصاصات لتصبح تلك الخزائن غاية كل طالب علم و مبتغى كل عالم لأجل إثراء الرصيد المعرفي و إرضاء غايته التي لا تنضب.

تعد الخزائن عمارة من عمائر العلم و الدين، تمثل مؤسسة ثقافية تحوي الكتب و تحافظ عليها و غالبا ما تكون تابعة لزاوية معينة، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله "الغالب أن الزوايا هي التي كانت ترعى المكتبات؛ لاتصالها بالدين و العلم، و قد عرفت منذ القدم أنها سوق رائجة للكتب و أن بعض عائلاتها الدينية قد كونت مكتبات معتبرة، و كانت صلة أهل توات بجامع القرويين و علماء المغرب و علماء إفريقيا و تلمسان قد جعلتهم في مكانة يغبطون عليها، إضافة إلى علماء توات الذين كانوا يؤلفون الكتب و يستنسخونها من بعضهم أو من علماء آخرين"⁴.

ويمكن تقسيم الخزائن إلى ثلاث مناطق: خزائن منطقة قورارة، خزائن توات الوسطى خزائن تيديكلت.

1- سورة المطففين، الآية 26.

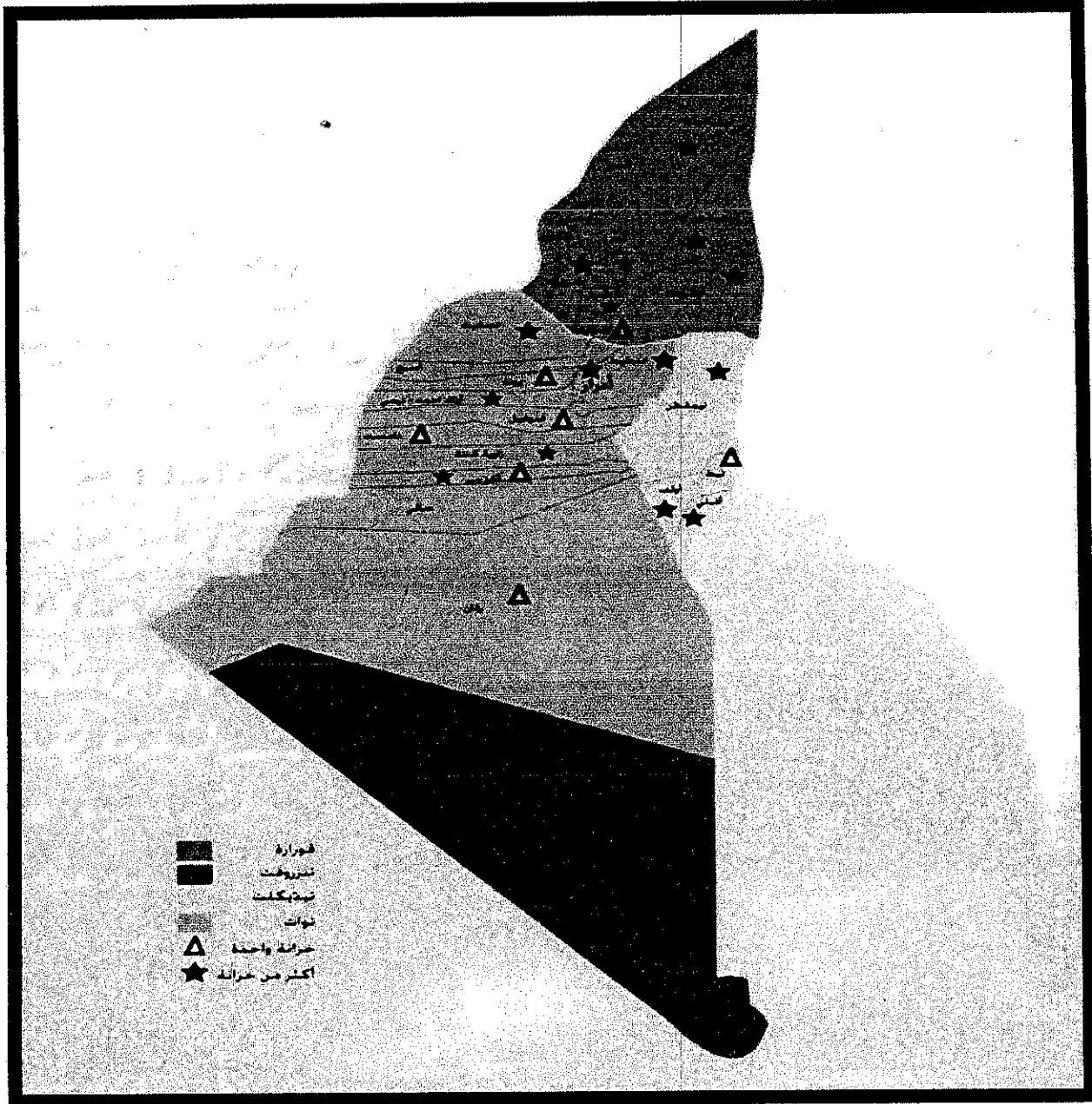
2- محمد بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج2، ص 80.

3- لمعاينة اماكن توزع الخزائن في الإقليم ينظر: الشكل رقم 04 ص 146.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ج5، ص 371.

الشكل رقم: 04

خريطة لمواقع خزائن مخطوطات الإقليم التواتي¹.



1- نشرة إحصائية لخزائن و مخطوطات ولاية أدرار التابعة للمركز الوطني للمخطوطات بالولاية ، العدد الأول سنة 2014-

2015 ، ص ص 30-31.

- 1- خزائن قورارة: منها خزانة المطارفة التي تحتوي على 800 مخطوط فيها مجمل العلوم خزانة الحاج بلقاسم الموجودة بزوايته بتيميمون، تضم أكثر من 100 مخطوط مواضيعها مختلفة في القرآن و اللغة، المنطق و الفلك...، أما الخزائن الأخرى فهي: خزانة زاوية الدباغ، خزانة بدريان، خزانة أولاد سعيد...¹.
- 2- خزائن توات الوسطى: منها خزانة الزاوية البكرية و التي تعد من أقدم المكتبات أسسها الشيخ ميمون بن عمرو الباز (ت 890 هـ-1485م)، بلغ عدد مخطوطاتها ما يربح على الألف مخطوط في شتى مناهل المعرفة، ثم عززها أحد أحفاده البكري بن عبد الكريم (ت 1833 هـ)، و من خزائنها أيضا خزانة ملوكة، تضم أكثر من 300 مخطوط أكثرها في حالة من التلف و التلاشي، فيها مخطوطات نفيسة مثل الذرة الفائقة في سيدي الخالقة للسيد مسعود بن محمد، تبصرة الحكام في أصول الفقه و مناهج الأحكام لابن أب، عيون المذاهب مجهول² وغيرها من العناوين، خزانة كوسام و هي أيضا مركز نشاط علمي للأسرة البلبلية منذ القرن الثالث عشر، حيث كانت مركزا للقضاء و القائم عليها اليوم هو السيد الشاري طيب الذي نسخ أكثر من مخطوط منذ سنة 1994³.

1- صالح بوسليم، أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة التراث، ع: 15، جامعة مستغانم 2015 ص ص 19-20.

2- قد عاينتها بنفسني بتاريخ : 2016/03/09، وكان صاحبها ينتمي للأسرة البلبلية العلمية المعروفة في ملوكة و هو السيد محمد الحاج البلبالي، مع أنه لم يسمح لنا بكثير من الوقت لمعاينتها بحجة أنه يخاف عليها من الضياع، بينما المخطوطات معظمها في حالة تلف لكن هناك بعض المحاولات لمركز المخطوطات لولاية أدرار من صيانتها و إعادة رقميتها.

3- هي أيضا من الخزائن التي عاينها شخصا موجودة ببلدية تيمي على بعد 05 كلم عن الولاية في حالة جيدة لان القائم عليها السيد الشاري حريص على صيانتها و إعادة نسخ بعض المخطوطات، إضافة أنه له صدر الرجب في استقبال زائري و طالبي العلم.

و السلام¹. و أما القياس فهو حجة أعتمدها العلماء لاستنباط حكم مذكور لما لم يذكر²، فقد قال تعالى: "فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ"³، ثم أن النظر في طرق استدلال الصحابة و السلف بالكتاب و السنة فهم يقيسون الشيء بالشيء و يناظرون الأمثال بالأمثال بالإجماع، لأن الكثير من الواقعات بعد النبي صلى الله عليه و سلم لم يجدوا لها حكما في نصوص ثابتة، فأشركوا العلة و نظروا بقياس عليها لاستنباط حكم مماثل⁴.

لذلك فعلم الفقه علم جديد يعصم المكلف من الخطأ في فعله لغاية الفوز بالدارين، فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ⁵. مصداق لقوله صلى الله عليه و سلم.

وقال النبي صلى الله عليه و سلم: "مَا عُجِبَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِ فِي دِينٍ وَلَفَقِيَةٍ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ"⁶، ثم إن للفقه أصول و أصول الفقه من أعظم علوم الشريعة و أجلها قدرا و أكثرها فائدة لأنه النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام و التأليف⁷.

1- عبد السلام، ياسين، نظرات في الفقه و التاريخ، ط1، دار الخطابي للطباعة و النشر، مطبعة فضالة، الخمدية، 1989 ص 19.

2- مصطفى بن خوجة، المرجع نفسه، ص 143.

3- سورة الحشر، الآية 2.

4- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 454.

5- حديث الدار قطني عن أبي هريرة رضي الله عنه نقلا عن كتاب مصطفى بن خوجة، ص 147.

6- حديث مفروع، حدثنا أبو عمرو محمد بن عبد الله المزوري، علي عن بن خشرم، حجاج بن محمد، عن ابن جعدبة، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله، "مَا عُجِبَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِ فِي دِينٍ رَقْمُ الْحَدِيثِ 157، صحيح البخاري. وفي رواية أخرى: عن صفوان بن سليم، عن سفيان بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعا به، في حديث لفظه، "مَا عُجِبَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِ فِي دِينٍ وَلَفَقِيَةٍ وَاجِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ" رواه البيهقي.

7- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 461-462.

و يعرف هذا العلم إقبالا و اعتمادا عند أهل توات فقد دانوا على مذهب الإمام مالك¹، لذلك حرص علمائها على الفقه درسا و تدريسا ثم تأليفا في إطار المذهب المتبع، كذلك كانت حاجاتهم اليومية من عبادات و معاملات و قضاء كلها تسترعي الإقبال على الفقه و مدوناته منها: المرشد المعين لابن العاشر² (ت1040هـ) و الرسالة لابن أبي زيد القيرواني³ (ت 386 هـ) و مختصر خليل الذي أدخله الشيخ ميمون بن عمرو الباز (ت 890هـ) اقتناه من فاس فصار إقبال العلماء و الطلبة في توات منقطع النظير و أصبح حفظه مبتغى الطلبة فحفظه بالنسبة لهم يعدل الإجازة، و بعد فهمه طلبوا شروحه و حواشيه فأقبل عليه معظم علماء توات على الشرح و الحواشي على المختصر فقد ألف المغيلي كتاب سماه "مغني النبيل في شرح مختصر خليل" مثلا.

1- الإمام مالك: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر بن الحارث ابن عثمان بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري المدني، ولد عام 93 هـ على أشهر الأقوال قيل 94 هـ و قيل 96 هـ، نشأ في بيت علم وصلاح، أبوه عالما هو أنس و عمه ربيع و نافع كانا عالمين محدثين وجد مالك من كبار التابعين. يقول عنه الشافعي "إنما ذكر العلماء فمالك النجم مالك حجة الله على خلقه بعد التابعين" وقال فيه النووي اجمع طوائف العلماء على إمامة مالك. ينظر: بن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، درا و تح: مأمون بن محي الدين الجنان، ج01، ط01، دار الكتب العلمية لبنان 1417/1996م، ص 82. العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، د ت، ص328. ينظر: عمر الحبيدي محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في المغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، 1987، ص 10.

2- ابن العاشر (ت 1040هـ): صاحب "المنظومة المسماة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" و هو عبد الواحد بن احمد بن علي عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل جامع علوم شتى له تأليف غزيرة غير المنظومة، فاق أقرانه في مسائل العلم. ينظر: محمد الدباغ، المرشد المعين لابن عاشر، أقره في تكوين الفقهي لمدرسة توات المالكية الفقه المالكي اجتهاد و تدريسا، بحوث ملتقى الوطني.

3- أبي زيد القيرواني، صاحب الرسالة، من علماء القرن 4 هجري كان من أهل السنة بالقيرواني أيام العبيدي، تتلمذ على يد شيوخ كثر منهم: أبو الفضل العباسي بن عيسى (333 هـ) و سمع عن المعمر بن أبي عثمان الخولاني، نال إجازات عالية السند. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك، ج 3، دار المكتبة الحياة، لبنان، د ت، ص 318. ينظر: المبروك زيد الخير، رسالة أبي زيد القيرواني و منهجا في التاصيل و التوصيل الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا و تدريسا، بحوث الملتقى الوطني، أدرار، 23-24 جوان 2010، ص ص 69-71.

✓ علم التفسير:

يعتبر علم التفسير عماد علوم القرآن لأنه يعتمد على الإتقان و البيان و البرهان في فهم كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، فالتفسير هو الإبانة و كشف المراد من اللفظ، إذ يقول العالم بدر الدين الزركشي في مصنفه البرهان ما يلي: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و بيان و معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه و استمد ذلك من علم اللغة و النحو و التصريف و علم البيان و أصول الفقه و القراءات..."¹، و العمل في مثل هذا الباب من علوم القرآن أمر عسير لا يتأتى للجميع إلا للعالم الذي وهبه الله واسع النظر و فكر و تدبر و جمع و استحكام على آلات اللغة العربية². لذلك فلم يعتمد علماء كثير خوفا من عظم مسؤوليته على الرغم من استحكامهم بتصانيف العلوم؛ و إسهام العلماء فيه يكشف المعاني الربانية في الألفاظ أو الجمل القرآنية لتأخذ التفاسير ألوانا متعددة حسب منهج المفسرين العقائدي، اللغوي أو الفقهي³.

وبما أن هذا العلم يتعلق بالتأويل في سياق البيان أو الكشف عن ماهية المعاني اللازمة في القرآن طبقا لقوله تعالى: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"⁴، فقد كان لثلة من العلماء الراسخين في العلم سهام التأويل و تبصره التفسير منذ عهد الصحابة الكرام⁵ إلى أزمنة و فترات مختلفة.

1- بدر الدين، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تص: محمد أو الفضل إبراهيم، ج1، مكتبة التراث، 1957، ص13.

2- الزركشي، نفسه، ص05.

3- عبد الخالق، قصابوي، تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية، من ق 10 إلى 12 هجري، إقليم توات نموذجاً ص248. مقال على موقع: www.osjp.cerist.dj.

4- سورة "آل عمران"، الآية 07.

5- كالصحابي الجليل عبد الله بن العباس (ت 68هـ)، المعروف بالخير علماء المسلمين، و قد سبقه في هذا المجال الصحابي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ينظر: عبد الخالق، قصابوي، المرجع نفسه، ص ص 283-284.

و في هذا المعنى يقول أبو الحسن الحرّالي ما يلي: " و أكمل العلماء من وهب الله تعالى فهما في كلامه ووعيا كتابه و تبصير في الفرقان و إحاطة بما شاء من علوم القرآن...¹ .
 لقد اعتمد علماء توات أخذ التفسير بأسانيده أي أخذ العلوم من مشايخهم مسندة و هذا ما نلمسه في تأليفهم الخاصة بالتفسير و ذلك مع نهاية القرن العاشر هجري² .
 ولقد اعتبر العالم الشيخ مولاي سليمان بن العلي الإدريسي (ت 670هـ) من أول الوافدين على توات و أول من أسس زاوية راسخة بأرقى العلوم خاصة ثم التعليم و التحفيظ للقرآن الكريم مع تفسيره، لكن هذا العالم لم يؤلف الكثير لأنه اهتم بتأليف قلوب الطلبة ورجال العلم على حب العلوم النفيسة، فقد ورد أنه كان يفسر القرآن مشافهة³ .

أما اهتمام علماء توات بهذا التخصص فقد كان قليلا، لأن الإقليم قبل القرن السابع لم يكن قد شهد نهضة علمية بعد، و أن دخول بعض العلماء هو من ساعد في رقيه العلمي، خاصة مع دخول العالمين الجليلين عبد الله العصنوني(ت 927هـ) و العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ) و هذا الأخير قد عمل على التأليف في التفسير كمؤلفه "البدر المنير في علوم التفسير" "الفتح المبين في شرح القرآن الكريم" ثم "تفسير سورة الفاتحة"⁴، و قد أجمع المؤرخون المهتمون بالإقليم أن مؤلفات المغيلي في التفسير هي باكورة التأليف في هذا الباب⁵، لكن بعد انتقال الشيخ المغيلي إلى السودان الغربي شهد توات فراغا علميا وسياسيا كما هو الحال في معظم

1- الحرّالي: هو أبو الحسن علي بن أحمد الحسن التحجبي سمي كذلك نسبة إلى قرية من أعمال مرسية، صاحب التفسير العظيم، وله تأليف أخرى كشرح الموطأ، و فتح الباب المقفل و غيرها، توفي سنة 637 هـ. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص ص 05-06.

2- عبد الخالق، قصابوي، المرجع السابق، ص 280.

3- سليمان، علي، زاوية مولاي سليمان بن علي، بحث غير منشور، مقدم ضمن أعمال اليوم الدراسي الثالث بأدرار 2008، ص 32.

4- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 59. يذكر ابن مريم العديد من تأليف في كل من أنواع العلوم فوقف و لم يذكر إلا كتاب "البدر المنير في علوم التفسير" ثم قال و تفسير الفاتحة في ورقة. ينظر: ابن مريم، مصدر سابق، ص 255.

5- حاج، أحمد الصديق، التاريخ الثقافي، مرجع سابق، ص 192.

الأقاليم الإسلامية خاصة و هي تحت الحكم العثماني و الجزائري أيضا ما بين الفترتين 1514 م- 1830م هذا الركود المؤقت تمثل في توقف الرحلات العلمية المشرقية هذا الذي دفع بطلاب العلم و خاصته الاهتمام بالمختصرات الفقهية شرحا و تعليقا¹.

لكن سرعان ما انتعش الإقليم علميا مع بداية القرن الحادي عشر هجري ليعرف أوج نشاطه في العصر الثاني عشر هجري. طابعا مع كوكبة من رواد الحركة العلمية التوتية كالبيت التتالي و البلبالي و الجنتوري و غيرهم. فقد مثل القرن الحادي عشر قرن انبعث فكري و حضاري راده بعض الأسر العلمية آنذاك خاصة البيت البكري و البيت الكنتي- الرقادي².

أما عن علماء الفترة المتأخرة عن مجال دراستي، فقد ظهر من اهتم بتأليف بالخوض في مجال التأليف في هذا العلم - التفسير- مثل عبد الرحمن التتالي الذي يقول: "بما من الله تعالى علي حفظ كتابه العزيز و تحصيل ما تيسر من علومه كإعرابه و بديعه و بيناته، وكان من أجل ما ألف في هذا الفنون الكتاب المسمى الدر المصون في علم الكتاب المكنون، الذي ألفه الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم النحوي الشافعي الحلبي المشهور بالسمين ... وجمع فيه من الإعراب و اللغة و التصريف و البيان... فلما وقفت عليه شغفت به و لم يمكني تحصيله لكبر حجمه فاستعنت بالله على اختصاره..."³.

✓ علم الحديث:

كإشارة لعلم الحديث فإن أول من دون الحديث هو ابن شهاب الزهري في خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز⁴، أمره بنسخ الحديث بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم بمائة عام فلولاه

1- مبارك، جعفري، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص 122. ينظر أيضا: عبد الخالق قصابوي، مرجع سابق ص 281.

2- عبد الخالق قصابوي، نفسه، ص 281.

3- محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة و حياة الشيخ عبد الرحمن بن باعمر التتالي، مطبعة هومة، الجزائر، 2004، ص ص 53-54.

4- عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ): هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، ثامن الخلفاء الأمويين ولد بمدينة المنورة، ينشأ عن أحواله من آل عمر بن الخطاب، كان شديد التأثير بالخليفة عمر بن الخطاب حتى سمي بعمر الثاني، ولاه الخليفة الوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة ثم دمشق، فلما مات سليمان بن عبد الملك =

لضعاف الحديث و تفلت من بين يدينا، لذلك نجد الصحيح فيه و الضعيف¹.
ثم جاء بعده المصنف مالك بن أنس رضي الله عنه (مولود 93 هـ ت- 179 هـ)
و ألف الموطأ بإيعاز من جعفر المنصور العباسي²، ثم واصل الإمام محمد بن إسماعيل البخاري³
(و 194 هـ - 256 هـ) فجمع كتابه للأحاديث الصحيحة مشتمل على 7270 حديث
بالمكرر ثم البخاري و مسلم بن الحجاج النسابوري⁴، و صنف جامعا أخذ فيه 4000 حديث
بإسقاط المكرر و يأتي بعدهم كتب الحديث لأبي عيسى الترمذي (ت 179 هـ)، سنن أبي داود
السجستاني (ت 275 هـ)، ثم سنن النسائي (ت 303 هـ) و ابن ماجة الفزويني (273 هـ)
و هي أصل الحديث النبوي⁵.

ويقول ابن خلدون في مقدمته أن علوم الحديث كثيرة، نظرا للنظر في ناسخه و منسوخه لما
ورد في الشريعة من جواز النسخ. فمعرفة الناسخ و المنسوخ من أهم علومه و أصعبها كذلك. فيقول
الزهري في هذه الجزئية ما يلي: أعياء الفقهاء و أعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله
عليه و سلم من منسوخه⁶.

= سنة 99 تولى عمر الخلافة. ينظر: ماجد، فيصل، عمر بن عبد العزيز و سياسة رد المظالم، ط1، مكتبة الطالب
الجامعي مكة 1987، ص 102.

1- مصطفى بن خوجة، المرجع السابق، ص 158.

2- أبو جعفر المنصور، (و 95 هـ - 158 هـ): هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي تولى وسط مجتمع هاشمي طلب
العلم و هو شاب، نشأ أدبيا فصيحاً ساعد أخاه أبو العباس السفاح في أمور الخلافة تولى الخلافة بعد أخيه من (136 هـ-
158 هـ) وقد اعتبر عصر حكمه من أزهى عصور الدولة العباسية، لأنه يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة. ينظر محمد سهيل
طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2009، ص 47.

3- محمد بن إسماعيل البخاري، ولد الإمام ببخارى ليلة الجمعة من شوال 194 هجري، تولى في بيت علم، كان أبوه من
العلماء، اشتهر عند الناس بتسمية رجل في طلب العلم و الحديث و روي عن مالك بن أنس، نشأ البخاري يتيماً في حجر
أمه، توفي في شوال 256 هـ. ينظر: عبد الستار، الشيخ الإمام البخاري، ج1، دار القلم، القاهرة، ص 623.

4- مسلم بن الحجاج، النيسابوري: هو أبو الحسين بن ورد بن كوشاد القشيري النيسابوري كان مسكنه بنيسابور، ولد سنة
201 هـ و توفي رجب 261 هـ أخذ الحديث عن أحمد بن حنبل، و تتلمذ على الإمام البخاري. ينظر: شمس الدين الذهبي
سير أعلام النبلاء، ج 12، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، ص 558.

5- مصطفى بن خوجة، مرجع سابق، ص 157-164.

6- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 447.

فالحديث الشريف رتبته سامية بعد رتبة القرآن الكريم لذلك أولى له العلماء في أقصى الأرض ودانيتها عناية كبيرة وقسموه إلى أقسام ثلاثة صحيح وضعيف وحسن، لذلك كثر السند في الرواية.

و القسم الثالث هو الحديث الحسن وتقسيمه يرجع إلى هذه الفروع الثلاثة، فالصحيح ما صح و اتصل سنده بالعدول الثقة و الحسن ما عرف ولم تشتهر رحاله و أما القسم الثالث و هو الضعيف فيخالف الصحيح في عدل من أخرجه أو إذا نقل عن من ساءت عقيدته و ضعف حفظه¹.

أولى علماء و طلاب توات عناية خاصة بتعليم علم الحديث تختلف عن تعليم الفقه و سائر العلوم الأخرى، بحيث لهم مراحل و طرق و متون يتم بها تعليم الحديث، و عادة ما تكون قراءة الحديث النبوي من شهر شعبان إلى شهر ذي الحجة².

و أما متون الحديث فهي الجامع الصحيح للإمام البخاري، موطأ الإمام مالك بن أنس صحيح مسلم، الشفا للقاضي عياض أما عنايتهم الأولى كانت لصحيح البخاري. و لا يتصدر لشرح هذه المتون إلا من له كفاءة و تمكن و أما الطلاب القارئ للحديث فتتوج قراءاتهم بالإجازات، قد كان علماء الحديث لا يأذنون بقراءة الحديث إلا بشروطه و إلا لمن يتمتع بالكفاءة و يوم قراءة صحيح البخاري يقام حفل كبير يحضر فيه أكبر رجال دروس الحديث فيبدأ الشيخ بالحمد و الصلاة و السلام على النبي الكريم³.

أولى علماء و طلاب توات عناية خاصة بتعليم علم الحديث تختلف عن تعليم الفقه و سائر العلوم الأخرى، بحيث لهم مراحل و طرق و متون يتم بها تعليم الحديث، و عادة ما تكون قراءة الحديث النبوي من شهر شعبان إلى شهر ذي الحجة⁴.

1- مصطفى بن خوجة، المرجع السابق، ص 159.

2- محمد بلعالم باي، الرحلة، المرجع السابق، ج1، ص 270.

3- نفسه، 271 - 272.

4- محمد بلعالم باي، الرحلة، المرجع السابق، ج1، ص 270.

و أما متون الحديث فهي الجامع الصحيح للإمام البخاري، موطأ الإمام مالك بن أنس صحيح مسلم، الشفاء للقاضي عياض أما عنايتهم الأولى كانت لصحيح البخاري. و لا يتصدر لشرح هذه المتون إلا من له كفاءة و تمكن و أما الطلاب القارئون للحديث فتتوج قراءتهم بالإجازات.

قد كان علماء الحديث لا يأذنون بقراءة الحديث إلا بشروطه و إلا لمن يتمتع بالكفاءة و يوم قراءة الصحيح للبخاري يقام حفل كبير يحضر فيها أكبر رجال دروس الحديث فيبدأ الشيخ بالحمد و الصلاة و السلام على النبي الكريم¹.

✓ علم التصوف:

يقول أبو نصر السراج ما يلي "هو العلم الذي يختص بتزكية النفوس من الكدرات و العثرات و الصفات المذمومة"²، و يقول ابن خلدون في هذا العلم أنه من العلوم الشرعية الحادثة في الأمة، استحدثتها سلف الأمة و كبارها و الصحابة و التابعين و أصل العلم الكوفي على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها³، و هذه كانت سمة الصحابة و السلف، لكن في القرن الثاني للهجرة كما يقول ابن خلدون فشا الإقبال على الدنيا و جنح الناس لمخالطتها. اختص أهل العبادة بهذا الاسم الصوفية و المتصوفة. ثم يستشهد بالقشيري قائلاً: "و لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية و لا قياس، و الظاهر أنه لقب، و من قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة، فبعيد من جهة القياس اللغوي، قال و ذلك الصوف.."

1- نفسه، ص ص 271 - 272.

2- أبو نصر سراج الطوسي، اللمع، تح: عبد الحليم محمود، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1423 هـ/2002 م ص 45.

3- و يقصد ابن خلدون بهذا المعنى الزهد عن الدنيا فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه، و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، و ما قوله إلا إتباعاً لقوله تعالى في سورة الكهف « الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا ». سورة الكهف، الآية 46. ينظر: ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 490.

و هم في الغالب مختصون في لبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في الثياب إلى لبس الصوف...¹.

ويقول أحد الباحثين عن انتشار التصوف في بلاد المغرب الإسلامي قاطبة أنه وصل من المشرق في صورته الأولى الزهدية منذ الفتوحات الإسلامية أي القرن الأول هجري أمّا بمفهومه الدقيق الذي اصطلح عليه فقد وصل بلاد المغرب عبر المعايير الأربعة: الحج، طلب العلم (الرحلة العلمية)، الكتب و المؤلفات، التجارة².

و يعتبر التلاحق الفكري الصوفي أدق عوامل انتشار الصوفية النظرية إذ يعتبر أبا عمران الفاسي أول من أدخل تعاليم مذهب الجنيدى إلى بلاد المغرب الإسلامي ثم وصول المؤلفات الصوفية³ في القرن الخامس قبل وصول كتاب "الإحياء".

وقد واصل المدّ الصوفي في بلاد المغرب الأوسط و انتشر على مدى بعيد لتظهر أو تنتشر الزوايا و الشيوخ الطريقة. ولما كان ابتداء القرن التاسع الهجري تجسدت أكثر الطرق الصوفية و بدأ يطفو إلى سطح في مجتمع العلماء و بين مجالسهم ليظهر الجدل و الخلاف خاصة في القرن التاسع بتلمسان ما يسمى بالصراع بين الفقهاء و المتصوفة أو أزمة السلفية و المتصوفة⁴.

لذلك اهتم أهل توات بهذا الضرب من العلوم تعليماً و سلوكاً؛ حيث ألف المغيلي كتاباً في التصوف سماه "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى العارفين"، ثم قصيدة بعنوان "وسيلة النجاة بأهل المناجاة"، وعلى إثره ألف عبد الكريم التمنيطي قصيدة سماها "سفينة النجاة بأهل المناجاة"⁵.

1 ابن خلدون، مقدمة، مصدر سابق، ص 490.

2- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف مرجع سابق، ص 24.

3- نفسه، ص 24-25.

4- نفسه، ص ص 25-26.

5- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 93.

و من أعلام التصوف بالمغرب الأوسط أبو مدين الغوث¹، عبد الرحمن الثعالبي، أحمد بن عبد الله الزواوي، الإمام السنوسي، ابن زكري، أحمد بن محمد المغراوي² "بن زاغو" 845هـ، و من بين هذه الأسماء يطفو إلى سطح الساحة العلمية علماء تلمسان كعبد الرحمن الثعالبي و الإمام السنوسي اللذان يعتبران من أهم شيوخ الإمام الشيخ محمد بن عبد الكرم المغيلي، و الذي كان له دور أساسي في امتداد الطريقة القادرية³ الصوفية في بلاد توات ثم بلاد السودان الغربي بعد ذلك.

و أما علاقة الإقليم بالتصوف فهو علاقة عقدية تعليمية يتبن في منهج التعليم إذ تدرج المؤلفات المالكية للمتصوفة و عقدية في علم السلوك، و يأتي في سلم المصنفات الصوفية التي تدرج في مناهج المتعلمين منظومة ابن العاشر الذي يعني بتزكية النفس من عيوبها ليخلص للعلاج وفق طريقة التحلية و التحلية، فترسخه تلك المقررات في المدارس. منها قول عبيد الله المساري⁴.

ثم التصوف به اختتم العدد هداك ربنا إلى سبيل الرشاد و قد وصف ابن العاشر في المرشد المعين، فإنه عند طلاب العلم و المعلمين يتبدأ به أصحاب المستوى الابتدائي لترسيخ

1- أبو مدين شعيب الغوث (ت 594هـ/1198م)، وصف صاحب الدراية الفقيه المحقق الواصل القطب، شيخنا شيخ الإسلام، هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي، ولد ناحية إشبيلية، جلس كثيرا بيحاية حتى شاع أمره واتف الناس حوله فوصل الخبر إلى الخليفة عبد المؤمن المراكشي فأمره بالخيء وحين عودته إلى مراكش وافته المنية بمدينة العباد بتلمسان عام خمسائة و تسعين للهجرة حسب صاحب الدراية. ينظر: أبو العباس الغربي، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيحاية، تصحيح: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص ص 22-29.

2- أحمد محمد المغراوي: الشهير بابن زاغو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني الإمام الفاضل الصالح الزاهد، الورع الصوفي العلامة الفرضي المحقق ولد في 782هـ كان مدرسا في المدرسة اليعقوبية، تخرج على يده خلق كثير أصبحوا علماء عصرهم كالمغلي و القلصادي، الحافظ التنسي، صنفه القلصادي بأعلم الناس في وقته. ألف تفسير الفاتحة شرح التلمسانية في الفرائض له فتاوي منقولة في المعيار و المازونية، توفي 14 ربيع الأول 845هـ/ 1441م، بالبواب (الطاعون) ينظر: أحمد بابا التيكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ج 1 ص 2، ص 118، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج 1، ص 60 أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، مصدر سابق، ص 102.

3- الطريقة القادرية نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني هو عبد القادر بن موسى الجيلاني، من كبار الزهاد و المتصوفين، ولد في جيلان سنة 471هـ انتقل إلى بغداد سنة 488، تلقى الطريقة من شيخه حماد الدباس، و اشتغل في دراسة القرآن و فقه الإمام أحمد، تصدر الإفتاء في بغداد سنة 561 هـ، ينظر: الموسوعة الصوفية، ص 113 ص 116.

4- عبد الله المساري، سراج طلاب العلوم، ص 198 نقلا عن قسباوي عبد الخالق ص 551.

منهج الوسطية و الاعتدال في فهم العبادة و التي تقوم على عبادة الله كأنك تراه بقلبك و عبادتك لله يقينا بأنه يراك. و عند علماء التوات أيضا يؤكدون على قضية التناسب بين الفقه و التصوف فقد تفسق، و من جمع بينهما فقد تحقق¹.

من المؤلفات الصوفية التي انبرى علماء توات في تعليمها:

- تلقين الحقيقة لأهل الحقيقة للعالم عبد القادر الجيلاني.
- دليل الخيرات للجزولي.
- الفتح الرباني في بعض مناقب الشيخ التينيلاني لأبي محمد الحاج إبراهيم التسليمي، عدّه الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لشمس الدين بن محمد الدمشقي.
- الورد القادري للسيد المختار الكنتي الكبير²

2- العلوم النقلية:

✓ علوم اللغة و الآداب:

نقصد بعلوم اللسانيات لسان العرب "، فاعلم أن لسان العرب و كلامهم على فنين في الشعر المنظوم و هو الكلام الموزون... تكون أوزانه على روي واحد، و النثر و هو كلام غير موزون، و كل فن له يشمل على فنون و مذاهب، و أما الشعر فمنه المدح و الهجاء و الرثاء و أما النثر فمنه السجع الذي يؤتي له قطعاً، و منه المرسل يطلق فيه الكلام إطلاقاً في غير تقييد يقاضيه، يستعمل في الخطب و الدعاء و الترغيب و الترهيب... و اعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر و لا تستعمل فيه، مثل النسب المختص بالشعر و الحمد و الدعاء المختص بالخطب..."³.

1- عبد الخالق قصابوي، المنهج التعليمي للمدارس و الزوايا الدينية محاضرة توات، الملتقى الدولي، الوسطية في الغرب الإسلامي و أثرها في نشر الإسلام في إفريقيا و أوربا، ديسمبر 2017 ربيع الأول 1439هـ - ص 551 ص 552.

2- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع السابق. ص 222.

3- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 619.

و يطلب ابن خلدون في تعليل آلة اللغة العربية بأن لها أركان أربعة: اللغة و النحو و البيان و الأدب و هي ضرورية لإدراك علوم الشريعة التي نتفقه بها القرآن الكريم.

فالنحو اختصاص باللغة العربية و هو أهم منها، إذ يجمله الإخلال في التفاهم، و عموده الفقري الإعراب، و اللغة بيان الموضوعات و هي على ضربين شعر و نثر، أما البيان فهو علم يتعلق بالألفاظ الدالة على المعاني¹.

و علم الأدب، فكما يصفه ابن خلدون أنه لا موضوع له، بحيث يعتمد على مدى جودة في النظم و النثر، على أساليب العرب و عموما أن اللغة و آدابها هي ملكات اللسان و صناعة الكلام². وطبعاً يظهر هذا الفن جلياً في كتابته، و الكتابة و الصناعة فتكسب صاحبها عقلاً و مزيداً من الفطنة إذ ينتقل صاحبها من الأدلة إلى المدلولات و هي أيضاً وسيلة تنقل الأفكار و المعارف بين البشر³.

أما الشعر فإن كان ابن خلدون و صفه بالكلام الموزون فيتفق معه ابن البنا و هو يعرف الأدب قائلاً: "و ينقسم المقول إلى موزون مقفى و هو المنظوم، و إلى القول غير الموزون و هو المنثور، يستعمل كل منها في المخاطبات"⁴.

و الشعر هو كلام غريب النزعة غريب المنحى مفصل قطع، له وزن مساوي متحد في الحرف الأخير من كل قطعة على أن تسمى كل قطعة بيت تنتهي بروى قافية، فيعرف ابن رشيق الشعر قائلاً:⁵

لعن الله صنعة الشعر ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا

1- نفسه، ص 621.620.

2- ابن خلدون، نفسه، ص 605.

3- ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تص: علي سامي النجار، بغداد، 1977، ص 333، حسن عبد صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير، ط1، مكتبة القاهرة، 1999، ص 43، ينظر أيضاً: ابن خلدون، نفسه ص 603.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 628، ينظر أيضاً: ابن البنا العددي، الروض المربع في صناعة البديع تصح: رضوان بن شقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 81.

5- ابن خلدون، مقدمة، مصدر سابق، ص ص 628، 629.

لعن الله صنعة الشعر ما إذا من صنُوف الجُهَّال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلا للسامعين مينا
إنما الشعر ما يناسب في النظم و إن كان في الصفات فنونا
و قول بعضهم

الشعر ما قومت زيغ صدره و شدَّدت بالتهذيب أسر متونه .
و رأيت بالإطناب شِعْبُ صدره و فَتَّحت بالإيجاز عُوْرَ عُيونِه
و جمعت بين قريه و بعيده و وَصَلت بين مُحَمَّه و معينه

و أما علاقة توات بهذا الفن من الأدب فقد خصصت نظم الأراجيز - مفرد أرجوزة -
موضوعا نموذجيا عرفنا من خلاله المأخذ الذي ألف علماء توات هذا النمط من الشعر.

الأرجوزة: لغة اسم مشتق من الفعل الثلاثي رجز، بمعنى اضطرب، قال ابن منظور: "الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها، و الرجز: أن تضطرب رجل البعير ارتعاد يصيب العجز و الناقة في أفخاذها و مؤخرهما عند القيام..." و قيل ناقة رجزاء ضعيفة العجز إذا نهضت من مبركها لا تستقل إلا بعد نهضتين أو ثلاث..."¹.

فقد ربط اللغويون معنى الاضطراب في قيام النوق - البعير - مع اضطراب حركة الصوت حين الكلام فحروف الراء و الجيم و الزاي هن من الحروف المجهورة و الجهر اضطراب الوترين الصوتيين و تحركهما و اهتزازهما، فقد أراد ابن منظور أن يربط بين مفهوم الأرجوزة في اللغة من خلال ربطه بمفهوم الرجز.²

قد أعطى ابن منظور معنى الرجز هو الوزن و الأرجوزة هي القصيدة التي تنسج على وزنه.³
و قد أصبح الرجز بحرا من بحور الشعر على وزن مستفعلن ست مرات على هذا المنوال:

1- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص349.

2- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص350 - 352.

3- فتيحة عبد العالي، فن الأرجوزة في التراث الجزائري القديم - إقليم توات نموذجا - مجلة رفوف، ع:12، خنبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، ديسمبر 2017، ص119.

في أبحر الأرجاز بحر يسهلُ مستفعلن مستفعلن مستفعلن

يرى ابن رشيق: "فعلى كل حال تسمى الأرحوزة قصيدة طالت أبيتها و تسمى القصيدة أرحوزة، إلا أن تكون أحد أنواع الرجز"¹،

إن المهتمين اللغويين خلصوا إلى أن الأرحوزة فن من فنون الشعر تتشابه مع القصيدة في الطول و الغرض و تختلف معها في الشكل و المضمون.

و عن هذا الفن و اعتماده في الإقليم، فقد ظهر بشكل واضح حينما أصبح يناسب الأغراض التي يراد عرضها ثم أن الأراجيز اعتمدت لنظم المنشور من علوم الشريعة² لتسهيل عملية حفظها و فهمها خاصة لطلبة العلم، فقد تمثل الرجز في منظومات و اختصارات³ و من بين الأعلام الذين تفردوا في الفن الترجيز، العالم الشيخ محمد بن أب المزمرى (ت 1160 هـ)⁴ من علماء القرن الثاني عشر هجري حيث نظم باب السهو في 159 بيت يقول في مطلعته:

الحَمْدُ لِلَّهِ الْجَزِيلِ النَّعَمِ مُرْشِدٍ مَنْ عَن سُبُلِ الْحَقِّ عَمِ

ثم صلاة يتلوها السَّلامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ

ثم نظم الأجرومية سنة 1144 هـ سماه نزهة الحلوم في نظم منشور ألف الأجروم في 140

بيت منه:

نحمد اللهم يا من أنعمنا و علم الإنسان ما لم يعلم⁵

1- ابن رشيق القيرواني، العمدة في الشعر و نقده، تصحيح: محمد عبد القادر أحمد عطا، ج1، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، 2001، ص192.

2- فتحة عبد العالي، المرجع نفسه، ص120.

3- نفسه، ص ص 130-132.

4- هو أبو عبد الله أب بن بكر المزمرى نسبة التواقي دارا و مولدا، ولد في العقد الأخير من القرن الحادي عشر 1904 هـ ضواحي مدينة أولف، توفي عام 1160 هـ- دفن بتيميمون تتلمذ على يد شيوخ كبار منهم الشيخ أبي الأنوار. يعد سيبويه زمانه لما ترك من مؤلفات تشمل جميع الفنون منها رجز على الأجرومية و في علم الكلام و في أنواع البحور، من أشياخه أيضا محمد صالح بن مقداد، عمر الرقادي و الشيخ علي بوسماحة... ينظر: النبذة، مرجع سابق، ص ص 108-113.

5- أحمد جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص ص 50-52.

له أراجيز كثيرة حتى أنه تربيع على عرش هذا اللون من الشعر ذلك أن ابن أب ترابع على كرسي التدريس و الإفتاء، فكان يحتاج إلى هذا الغرض لتسهيل معاني المتون قبل عرضها على الطلبة مثلا نظم لمفاتيح البحور:

بدا للطويل الطيب الذوق تمثيل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلسن
و المديد العزب فيه يقول القائل فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلسن
وزن البسيط الذي تمواه يا فاضل مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

إلى أن يقول:

اسمع لرجز وزنه لا يشكل مستفعلن مستفعلن مستفعلن¹

إن هذا اللون من الشعر اعتمده أعلام توات و سموه النظم التعليمي استجابة لرغبة علمية ملحة للطلبة الذين كانوا يطلبون ذلك مباشرة من شيوخهم فيسهل الحفظ عنهم أولا ثم الشرح و الفهم ثانيا، فكان الرجز في النحو و الصرف و كمتون الأجرومية و نظم مختصر الأخصري في الفقه و غيرها من الأنواع².

أما النثر فقد اتفق كل من ابن خلدون و ابن البنا في أن النثر غير موزون فمنه السجع الذي يؤتي به قطعاً و يلتزم في كل كلمتين منه تشابه في آخر حرف أو حرفين و منه المرسل و هو الذي يطلق فيه العنان في الكلام، يستعمل في الخطب و الرسائل³ و لا يخلو المنتثر من أن يكون خطابة أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديث، ولكل واحد وضع يستعمل فيه⁴.

1- أحمد جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص 52.

2- أحمد، جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق، ص ص 50-52.

3- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص ينظر أيضا: ابن البنا العددي. الروض، مصدر سابق، ص 81.

4- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني دراسة عمرانية، سياسية و ثقافية، ج 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2002، ص 456.

و يقول أحد المؤرخين: " أن النثر الكلام الذي لم ينظم فيه أوزان و قواف... و هو على ضربين: أما الضرب الأول فهو الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن و مهارة و بلاغة¹. و هذا ما تجسد في مآثور علماء توات حيث اعتمدوا النثر المرسل و المسجوع في غالب كتاباتهم في الرسائل الإخوانية، في كتاب النوازل في الوصايا و الخطب، تدوين الرحالات في كل أحوالهم و ما ميز النثر و الأدب المنثور طويل النفس.

و كثرة الاستطراد بإظهار الترادف و التضاد و المحسنات البديعية أحياناً².

✓ علم التاريخ.

أجمع المؤرخون و العارفون و كل الحكماء أن علم التاريخ من فنون العلوم العريقة القديمة قدم الوجود؛ فعرفه و وصفه الفلاسفة و الأدباء و الشعراء و الفقهاء و كلهم علماء، لكن لم أجد تعريفاً يوازي قيمة هذا العلم في أدق تفاصيله كما عرفه أو وصفه ابن خلدون لذلك ارتأيت أن أعتمده في أول تعريفه إذ يصفه بأسمى المعاني و يختار أن يكون أول العلوم التي اعتمدها في مقدمته، إذ أن الناظر للمقدمة يجدها كأنها كتاب موسوعي دقيق يشرح جل العلوم و يبدأ خاصة بشرح نظريته في علم التاريخ و علاقته بسائر العلوم.

فيقول ابن خلدون: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، و الأنبياء في سيرهم، و الملوك في دولهم و سياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لم يرومه في أحوال الدين و الدنيا. فهو محتاج إلى مأخذ متعددة و معارف متنوعة، و حسن نظر و تثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق و ينكبان عن المزلّات و المغالط. لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، و لم تحكم أصول العادة و قواعد السياسة و طبيعة العمران و الأحوال في الإجماع الإنساني، و لا قيس الغائب منها

1- شوقي ضيف، الفن و مذاهبه في النثر العربي، ط6، دار المعارف، مصر دت، ص15.

2- فاطمة قاسمي، فن الرسالة و أدب الرحلة: قديماً في توات، مجلة الحقيقة، ع:18 جامعة أدرار، أوت 2011 ص15.

بالشاهد و الحاضر بالذاهب، فرما لم يؤمن فيها من العثور و مزلة القدم و الحيد من حادة الصدق و كثيرا ما وقع للمؤرخين و المفسرين و أئمة النقل المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سمينا، لم يعرضوها على أصولها و لا قاسوها بأشباهاها...¹.

لقد اعتمدنا كلام ابن خلدون كتعريف لعلم التاريخ لأنه جعل منه فنا يسيرا على الذين أوتوا آلات الفهم و الترتيب و الحكمة، فتعلوا مداركه في نقل أحوال الأمم السائرة بكل ثقة و عدل، و هي أيضا تعريفا للموضوعية التي تعدّ ميثاق غليظ في اعتماد هذا العلم.

و ها هو القاضي المراكشي يزاوج بين علم التاريخ بعلوم الدين و يدرج له فصلا كاملا في كتابه الإعلام يذكر فيه بيان ما يندرج من علم التاريخ في العلم الشرعية² يذكر هذه الآيات:

تفقه بتفسير الحديث مؤرخا بوقت بيان الإرث أصل المحجة

و لا تغفلنّ نحوا بضمن لغايته تصوف فسر من العلوم الشرعية

تل به مرقى من مراقى أفاضل و تحط بنيل المجد أبلغ منية

ثمّ يلخص القول بـ: "و أما علم التاريخ فهو معرفة أحوال الطوائف و بلدانهم و رسومهم و عاداتهم و صنائع أشخاصهم و أنسابهم و وفياتهم إلى غير ذلك، و موضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء و الحكماء و الملوك و الشعراء... الغرض منه الوقوف على الأحوال و فائدته العبرة بتلك الأحوال..."³ و أما صاحب صبح الأعشى فيشتترط في المؤرخ العدل في نقل اللفظ و المعنى عارفا بالأحوال³.

و إذا عدنا إلى عرض ابن خلدون عن التاريخ حيث يربط بين الإنسان و البيئة و الجهود التنظيمية الاجتماعية فردية و جماعية و يجعلها مادة أولية لعلم التاريخ و جعله قوة حية

1- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 23.

2- يبدأ صاحب الإعلام في الفصل الرابع الذي خصه لعلم التاريخ و علاقته بالعلوم الشرعية قائلا: أما العلوم الشرعية فقد جعلها بعضهم اثني عشر و هي التفسير و الحديث و الفقه، و التوقيت، الفرائض، و أصول الفقه. و أصول الدين و التصوف و اللغة و النحو و البيان و التاريخ. ينظر: العباس بن إبراهيم السملالي المراكشي، الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، مصدر سابق، ج 1، ص 134.

3- الزركشي، الإعلام، مصدر سابق، ص 134.

تربط بين الماضي و الحاضر¹، أما صاحب أجد العلوم فيقول: "أن التاريخ هو معرفة أحوال الطوائف و بلدانهم... و منابع أشخاصهم، و أنسابهم و وفياتهم... وفائدته العبرة لتلك الأحوال و التنصح بها..."².

فما هو حظ علماء توات في دراسة و تدارس هذا الفن؟

إن المتتبع لمحاضن الدرس في مدارس و زوايا الإقليم ثم النظر في المؤلفات و اهتمام أهل العلم بهذا الفن الذي اعتبر عزيز المذهب يكاد لا يجده منفردا مختصا بذاته حيث هو علم يندرج ضمن فنون³ العلوم الأخرى خاصة العلوم الشرعية. فخلال دراسة علم الحديث مثلا عليهم الرجوع إلى الأسانيد و الروايات الصحيحة المعتمدة في مذهب مالك و بالتالي إقحام علم التاريخ، ثم دراسة سيرة النبي و صحابته و أحواله و صفاته و معاملته مع أهل بيته فهذا أيضا علم يهتم بتراجم النبي و الصحابة النبلاء و بتالي فرع من علم التاريخ. في الدراسات الفقهية و الاطلاع على المدونات و الأسانيد⁴ أيضا التأليف في تراجم العلماء و الأدباء و غيرهم هو اعتماد على علم التاريخ. و لو أن الاهتمام بالتأليف في سير علماء توات و البيوتات العلمية بالتحديد جاء متأخرا في القرن الثاني عشر و الثالث عشر هجريين.

بينما يذكر المؤرخ التواتي مبارك جعفري أن الدرس في المدارس و الزوايا كانت تهتم بدراسة تراجم العلماء و المشايخ خلال مناسبات معلومة، و أهم كتب التاريخ التي انكب عليها الطلاب هي مصنفات ابن خلدون و ابن فرحون و ابن بابا التيكتي ثم بدأ اعتمادهم على كتب التاريخ

1- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص ص 48-49.

2- صديق بن احمد القونجي، أجد العلوم، ط1، دار ابن الخزم، لبنان، 1423 هـ / 2002 م، ص 315. ويعرفه الدكتور حماد الله ولد السلام بما يلي: "التاريخ علم يدرس تطور التجربة الإنسانية و يرمي إلى وضع حوادثها في سياقها المنطقي و الزمني". ينظر: حماد الله ولد سالم، تاريخ بلاد شنقيطي (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شربة الكبرى بين أولاد ناصر و دولة ابدوكل اللمتونية، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010 ص 03.

3- ينظر في المبحث الذي تناولنا فيه مفهوم علم الحديث.

4- ينظر في المبحث الخاص بمفهوم علم الفقه.

ذات التأليف المحلي: كالطرائق و الثلاثد من كرامات الشيخين الوالدة و الوالد، و كتب الرحلات كرحلة الشيخ عبد الكريم البكري و فهرست التلاني و غيرهم الكثير¹.

4- العلوم العقلية.

هي علوم تحتاج إلى فهم و فكر و غير خاصة بملة فهي طبيعة الإنسان كما قال ابن خلدون و يضيف أنها علوم تستوي مباحثها و مداركها عند جميع أهل الملل و يقسمها إلى ثلاث أقسام كبرى الأول علم المنطق و الفلسفة كونهما يعتمدان على الفكر و التساؤل و التشكيك و القسم الثاني يسميه العلم في ما وراء الطبيعة و الروحانيات ثم القسم الثالث فهو الذي يختص بالعدد و المقادير و هو الآخر ينقسم إلى فروع أربعة: العلوم العديدة و الطب و الموسيقى و علم الهيئة² هذا تقسم ابن خلدون للعلوم العقلية، عموماً سنركز على العلوم التي كان لها نصيب في التعليم في الإقليم التواتي، و الظاهر أن اهتمام التواتين بهذه العلوم كان أقل حظ من العلوم النقلية و علوم اللسان³.

✓ الحساب:

كان من اللازم على سكان توات تعلم هذا الضرب من العلوم ذلك أن له ارتباط وثيق بالدين الإسلامي خاصة في تحديد مواقيت الصلاة أو ما يسمى بعلم المواقيت. هذا من جهة و من جهة أخرى كانت حاجة التواتيون بعلم الحساب في حساب و توزيع المياه و تقسيمها عبر الفقاقير، ثم أن التجارة المتعلقة بها من مكاييل و موازين، أموال كان يستلزم من التاجر تعلمها⁴.

1- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 225-226.

2- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 504 - 505.

3- نفسه، ص 505.

4- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 228.

كل هذه الاحتياجات ألزمت حلقات الدرس بمفرد حصة خاصة يدرس فيها الطالب هذا الصنف من العلوم، و من بين أهم الكتب التي اهتموا بها: كتاب الدرّة البيضاء للشيخ عبد الرحمن الأبخري¹.

✓ علم الفلك:

هو علم يرتبط بمعرفة النجوم و هو الذي اهتدى إليه الإنسان منذ عهود ساحقة في القدم بحيث يجعلها الإنسان له دليلاً في فيافي الصحراء لذلك كان هذا العلم حكراً على الأداء المختصين في ركوب خطر السفر.

لكن علماء و طلاب توات اعتادوا على دراسة أهم الكتب المتعلقة بدراسة أصول الفلك منها: كتاب "الديباج المرقوم في أصول علم النجوم، منظومة في علم الفلك لابن سعيد السوسي و بعد القرن الثاني عشر بدأ علماء توات يؤلفون في هذا المجال كما هو الحال بالنسبة للشيخ عبد الرحمن عمر (ت 1189هـ / 1775 م) أرجوزة في مواقيت الصلاة لمحمد بن عبد الله بن عومر ... إلخ².

و عن أهمية هذا العلم جاء في الحديث ما يلي: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في الظلمات، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تظلّ الهداة".

✓ علم المنطق

هو قوانين تفرق بين الصحيح من الفساد في سياق علمي يضم الماهيات و الحجج فيقول العلامة ابن خلدون في هذا المجال أن الأصل في الإدراك يخضع للمحسوسات و هي آلية تشترك فيها جميع الكائنات، لكن الإنسان ميزه الله بالعقل فيمكنه من إدراك الكليات و هي مجردة من المحسوسات: ثم أن الإنسان ميزه الله بالفكر الذي يدرك به العلوم الصنائع و هو يقسم العلم إما تصورا للماهيات التي لا تحتاج إلى حكم و إما تصديقا أي حكم بثبوت أمر لأمر و هذا الحال في

1- نفسه، الصفحة نفسها.

2- أحمد جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق ص 192.

التفكير يحتاج و يقتضي الاحتكام السليم للمسعى الذي يتم فيه تحصيل المطالب العلمية، ل يتميز فيها الصحيح من الفاسد و ذلك كله قانون المنطق¹.

هكذا يجتهد ابن خلدون في تبيان المنطق ضاربا أمثلة عن العلماء الذين هذبوا ذلك القانون من الغرب مثل "أرسطو" الذي هذب مباحثه و رتب مسأله.

و في علم المنطق يستطرد ابن خلدون شارحا و محللا أن المنطق الكلام فيه مستبصر و العلماء المسلمون المتقدمون نظروا فيه من حيث أنه فن برأسه لا من حيث أنه آلة للعلوم و أول من اعتمد ذلك الإمام فخر الدين ابن الخطيب، ثم من بعده "أفضل الدين الخونجي" له في هذا كتاب "كشف الأسرار"².

ثم واصل المتأخرون مثل الغزالي و كتابه الإحياء، فأقبل الناس على انتحاله، فظهر علم الكلام الذي بني على نصر العقائد الإيمانية بالحجج العقديّة، لذلك صح عندهم أن المنطق غير مناف للعقائد، و إن كان منافيا لبعض أدلتها. فيستعملون النظر و القياس العقلي و هذا ما وصلت إليه قرائح العلماء من خلال مداركهم³.

✓ علم الطب:

إن علاقة التواتين بالطب وطيدة و تليدة؛ و يثبت ذلك مخطوط مجهول بحجم كبير يتناول علم الطب و التطبيب فقد عثرنا على مخطوط في أحد خزائن إقليم توات - خزانة ملوكة- يضم أربعة أجزاء كل جزء فيه أبواب و مجموعها إثنان وستون بابا، يشرح صاحبه طرق التداوي و التطبيب بالجراحة و الحجامة و الفصد و طرق التوليد، ففي الجزء الرابع مثلا ورد في الباب المسمى خمسون: "في القول في الفك، الفك هو خروج مفصل عن المفاصل عن موضعه فيعوق الحركة

1- ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص ص 515- 516.

2- نفسه، ص 516 و ما بعدها.

3- و هو رأي الإمام الغزالي حيث يقول ابن خلدون: بل يستبدلون على إبطال كثير من تلك المقدمات الكلامية، كنفى الجوهر الفردي و الخلاء و بقاء الأعراض و غيرها، و يستبدلون من أدلة المتكلمين على العقائد بأدلة أخرى يصححونها بالنظر و القياس العقلي...» ابن خلدون، المصدر السابق، ص 519.

و يقبح شكل العضو و يحدث على العليل أوجاعا و آلاما شديدة، فمتى عرض لأحد فلا ينبغي أن تبادر من حينه إلى رده و لا يؤخر البتة فإنه إن أخره تورم الموضع وربما يعسر معه رد الفك فلذلك لا ينبغي أن يحرك ولا يمد في حين تورمه لأنه كثيرا ما يجد على العليل تشنج و أوجاع مؤذية ولكن إذا عرض ذلك فينبغي أن يبادر إلى فصد العليل ثم يترك حتى يسكن الورم قليلا حتى تنضل العضو بالماء الحار و الدهن ثم يرد برفق و يعالج كل عضو بما يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. وقد رتبت فصول الفك على حسب ما تقدم في الكسر من أعلى البدن إلى أسفله إن شاء الله تعالى¹.

و هو مخطوط مجهول العنوان و مجهول مؤلف لكنه مكتوب بخط مغربي واضح بالخبر الأسود و الأحمر، بحيث يكتب العناوين باللون الأحمر و المحتوى بالأسود و يقول في ختامه أنه انهي هذا المخطوط بإذن الله تعالى يوم الأحد 27 من شعبان عام 894 هجري.

عاجنا في هذا الفصل الأركان الأساسية في مسار الحركة العلمية في الإقليم خلال القرن السابع هجري أين شهد تحول في مجريات التفاعل الحضاري.

و نقصد بالأركان الأساسية تلك المؤسسات التعليمية و العماير الدينية المتمثلة في الكتابات التي تعتبر أول لبنة في البناء العلمي إلى غاية الزاوية التي اعتبرت مدرسة التعليم العالي آنذاك ولا غنى عن مؤسسة المسجد التي تعتبر المحور الأساسي في الحراك الفكري و الثقافي للإقليم. و الثابت و الأكيد أنها مثلت قاعدة وركيزة أساسية عوضت الفراغ العلمي الذي كان سائدا قبل هذه الفترة، بحيث تتميز تواتر بخصوصية أنها ذات مجال صحراوي مفتوح على عالم واسع كل منطقة فيها تعد وطن لوحده لذلك اختلفت الظروف فيها عن حواضر شمال المغرب الإسلامي فلم يكن حظها في مدارس العليا و مجالس العلم الكبرى كمثيلاثا في تلمسان، فاس القيروان...

1- مخطوط في الطب مبدور أوله مجهول صاحبه. مركز البلبالين للمخطوطات بقصر ملوكة ولاية أدرار، الورقة 264.

وفي المحور الثاني من الفصل انتقلنا للتعريف بالعلوم السائدة في المنطقة و التي اعتمدها كمقررات و مناهج في تلك المؤسسات خاصة منها العلوم الشرعية و علوم اللغة وآدابها و بعض العلوم العقلية في الحساب و المنطق و علم الفلك، و قد خلصنا إلى أن علوم الدين كانت أوفر حظ من العلوم الأخرى عند علماء توات.

الفصل الثالث: إسهام البيوتات العلمية في النشاط الفكري و أثرها على الإقليم

- 6- حركة التأليف و تطورها.
- 6- في علوم اللغة.
- 7- التأليف في الفقه.
- 8- المراسلات و المناظرات.
- 9- أدب الرحلة و أثرها على الإقليم

1- مساهمة أعلام البيوتات في التأليف

وصل الإقليم التواتي إلى وضع ثقافي معتبر بعدما قيص له الله من خيرة علماء الأمة آنذاك رغم ما عرف عنه من قحط و ضعف و إذعان لأهله، إلا أنها رغم هذه الأسباب كلها جعلت توات دار مقام لكل من قصدها رغبة لتبليغ رسالته و إتمام دعوته، أو قصدها مغلوبا على أمره فإرا إليها لكنه احتسب الله، لأن العالم الذي يعرف ربه دعاه ليدبر أمره و يهدية لحسن المعرفة و خير السبيل.

هكذا كان حال توات إذ استقطب جموعا من العلماء الذين قدموا له خير عناية و جعلوا من العلم خير غاية ليصلوا به إلى نهضة علمية نوعية تفرّد من خلالها طلابها و علماءها إلى الإنتاج و التأليف، و قد أشرنا في هذه الرسالة أكثر من مرة لدور الوفاة العلمية و أثرها في النهوض و التغيير.

انتقل العالم و الطالب من مرحلة الجمع و النقل من المتون إلى مرحلة الأخذ و المحاكاة وصولا إلى قمة الإنتاج و العطاء المتمثل في التأليف في المراسلات و بعدها مناظرات لعلماء داخل وخارج الإقليم باعثن نهضة الفكرية والحضارية من إقليم صحراوي بعيدا جغرافيا عن عالم الشمال لم تعجزه قسوة الطبيعة في طلب العلم¹، لذلك سنحصر هذه الدراسة ما بين القرن التاسع و الحادي عشر هجريين، هذه المرحلة التي كانت بداية تحولا انتقلت توات بعدها إلى انتعاش و ازدهار منقط النظير مع بداية القرن الثاني عشر هجري.

لقد اشتغل رجال التعليم المشهود لهم بالثقة و العدل بتنشيط محاضن الدرس و تنويع المشيخة بتعليم فنون اللغة و آلياتها من نحو و صرف و آداب و بيان لذلك انبرى طلاب العلم على التحكم في آليات اللغة التي تمكنه من فهم علوم الدين و سائر العلوم².

1- بقادر عبد القادر، جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط و الأشكال)، مجلة الأثر، ع: 19، جانفي 2014، ص 91.

2- محمد جرادي، الدرس الفقهي، مرجع سابق، ص 384.

و لتقريب صورة الواقع العلمي في توات من منتصف القرن التاسع و نهاية القرن الحادي عشر هجريين ينبغي عرضاً إحصائياً لجموع العلماء و واقع المؤسسات و المراكز العلمية في توات أثناء تلك الفترة لأنهما يعتبران معياراً يقاس به معد التطور الممثل في التأليف¹.

لقد اهتم علماء و طلاب توات بالتأليف في اختصاصين اثنين هما فنون اللغة العربية و أصول العلوم الشرعية سواء نثراً أو شعراً نظماً أو رجزاً.

إن عملية الإحصاء تلك قد وقفنا عندها في ذكر المؤسسات العلمية و العمائر الدينية ثم أحصينا تراجم علماء البيوت العلمية و بعض الأسر مما يجعلنا نقول أن توات انتقلت من نوعية في هذا المجال. ذو إن عملية التأليف سواء كانت غزيرة أو هزيلة لا يمكن فهمها إلا بمعرفة العوامل الدافعة إلى ذلك، فمنها مثلاً صعوبة المتون المالكية الفقهية على أغلب الطلبة فكان داعي التأليف هو الشرح و الحواشي²، فمثلاً اعتبر القرن التاسع هجري تاريخاً مميزاً في الدرس الفقهي التواتي ذلك بإدخال العالم ميمون بن عمرو الأمريي مختصر تحليل لأول مرة فأصبح كل تأليف يخص خليلاً سواء اختصاراً أو مطولاً محط اهتمام الطلاب هذا من جهة، و من جهة أخرى علماء توات لم يكونوا نازعين للكتابة و التأليف بقدر الدرس و التدريس³، فالناظر لكتب التراجم التي اعتنت بعلماء توات لا نكاد نجد لمعظمهم مؤلفات على الرغم من حلقات العامة الدرس و الطلاب الذين تتلمذوا على أيديهم، و لا يفسد حب ممارسة التعليم من الود قضية فهناك نماذج من الأعلام المعلمين الذين اهتموا بالتأليف كالمغليي و عبد الكريم التمنطيبي و ابن أب المزمرى و الجنتوري و غيرهم الكثير.

1- عبد الكريم طموز، مرجع سابق، ص 30، ص 32.

2- زهير بن عبد الرحمن قران، مختصرات الفقه المالكي و جهود علماء توات في خدمتها، ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات، اجتهادا و تدريساً، ملتقى وطني بأدرار - 23-24 جوان، 2010، ص ص 192-193.

3- محمد بن حسن الشرحبيلي، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، طبعة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1421هـ/2000م، ص 317. ينظر أيضاً: مولاي عبد الله الطاهري، دور علماء توات في نشر المذهب المالكي و ترسيخه بالجزائر، ملتقى الفقه المالكي إجهادا و تدريساً أدرار، 23-24 جوان 2010 ص ص 163-164.

إن الحديث عن قضية التأليف أو التدوين في توات هو الحديث عن مرحلة الإنتاج و النضج، بحيث تكاد تكون مرحلة انتقالية إلى أخرى أعلى منها درجة و هي فترة الازدهار و العطاء في الإقليم و التي واكبت القرنين الثاني عشر و الثالث عشر هجريين¹، و بما أنها ليست الفترة المتاحة لنا منهجيا في الدراسة، حاولنا أن نلّم و وقائع القرن الحادي عشر هجري في عملية النسخ و التدوين لأنها مثلت اللبنة الأساسية التي انبعث فيها الإقليم ثقافيا و حضاريا² فقد استطاعت الطبقة المفكرة في البلاد منذ القرن التاسع و عشر هجريين أن تصنع بصمتها و تسمع صوتها في مجال التأليف الذي شمل النظم و النثر متمكنين من آلات اللغة، بحيث و جد في الإقليم بعض النماذج من الأعلام الذين تناولوا التأليف في معظم فنون العلوم من فقه و حديث، و تفسير و قراءات، منطق و فلسفة، مراسلات و محاورات هي الأخرى تعددت أنواعها و تغيرت ألوان فنونها، إضافة إلى كل هذا الزخم من البذل و العطاء فقد تعدى جهد هؤلاء الأعلام إلى الأدب الرحلات.

و بما أن أهل الفضل من العلماء العاملين على تطوير محاضن الدرس و كيفية التواصل بين العالم و طالب العلم، عملوا على التدوين التعليمي إن صحّ تسميته من اختصار³ و تعليق⁴ و شرح⁵ و رجز - نظم المنشور - لأجل تيسير الفهم و غاية التعلم.

1- بقادر عبد القادر، مرجع سابق، ص 91.

2- محمد جرادي، الدرس الفقهي في توات، مرجع سابق، ص 378

3- الاختصار: و نقصد به الاختصارات و تعني إيجاز المطولات من كتب اللغة، قد تكون ثرية أو نظم شعري، و قد اتخذت المختصرات في غالبها نظما - ترجيز - ينظر: بقادر، عبد القادر، نفسه، ص 92.

4- التعليق: أو التعاليق و نقصد به التعقيب على النص حيث توضع ملاحظات على النقص أو الخطأ في نفس الصفحة أو في ظهرها، أو حتى سطور الكتاب. و قد يضيف صاحب التعليق نظما ممثلا في آخر الكتاب مشيدا بكتابه، نفسه، ص 92.

5- الشروح: هي طريقة سائدة في كامل العالم الإسلامي آنذاك، فتخذا علماء توات منها لشرح ما هو مانع على تيسير الفهم خاصة في مجال العلوم الدينية أما العلماء فقد ألفوا شرحا كثير على تصانيف و متون فقهية كشرح مختصر خليل مثلا: عبد القادر، بقادر، نفسه ص 92، ص 93.

من أولئك العلماء الذين برزوا في النسخ و التأليف يأتي العالم الجليل محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أصلاً التواتي دارا و مدفنا، حيث ألف هذا العلم في اللغة إذ يعتبر مبادرا في التأليف عموماً، فكان له كتاب شرح البيان في العلم البيان "و تسمى المقدمة في العربية".

و هو كتاب بلاغي بامتياز وضعه للمبتدئين في دراسة علوم اللغة لذلك سماه المقدمة و يمكن اعتباره مقدمة في علم البيان¹ كما يمكن اعتبار ذلك التأليف إضافة إلى كتب البلاغة في العالم الإسلامي و في خزائن توات - الجزائر عموماً - يفيدنا في معرفة مدى بلاغة الرجل و أخذه بناصية علم البيان²، ثم أن الناظر في الكتاب يجد أنه يخضع للمقاييس المنهجية في التأليف بحيث يحتوي على مقدمة يتعرض فيها صاحبها إلى تقديم الكتاب و محتوي تأليفه، ثم تعرض إلى ربط العلاقة بين الفصاحة و البلاغة من حيث المعنى و البيان و البديع³.

و من أعلام توات أيضاً و الذي كان له باع كبير في التأليف في القرن الحادي عشر العالم المتفرد عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد الأمري التمنظيبي لقد كان "لعبد الكريم" سليل البيت البكري تأليف تناول علم اللغة تمثل في "غاية الأمل في إعراب الجمل" شرح على لامية بن مجراد⁴ هذا العالم الذي وصفه كل من عرفه أو ترجم له بالنحوي البارع.

و قد سعى للتحكم في هذا العلم ذلك ما دفعه للرحلة و البحث عن أجل الشيوخ و قد وجد ذلك عند العالم سعيد بن إبراهيم بن قدورة⁵.

1- إدريس بن خويا، فاطمة برماتي، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي - من المهد إلى اللحد - مجلة الذاكرة ع: 07، ماي 2016. ص 20، ص 21.

2- نفسه، ص 20.

3- محمد بن عبد الكريم المغيلي، شرح البيان في علم البيان، درا و تح: أبو أزهر للخبير هادم، دار الكتب العلمية بيروت، 2010، ص 01-07.

4- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 148.

5- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 148.

كان له أيضا "شرح العيون الغامزة على خفايا الرامزة". بحيث قدم شرحا على رامزة المنظومة الخزرجية في علم العروض و القافية و أما العيون الغامزة فهي شرح للعلامة الدماميني محمد بن أبي بكر¹.

1- في علوم اللغة.

اهتم أهل توات بالقرآن الكريم حفظا و دراسة و تدريسا ، لذلك* انصب اجتهادهم في تعليم اللغة العربية لأنها مفتاح الكتاب المبارك ، فاعتبر تدريس فنون اللغة العربية من صرف و نحو و بلاغة و بيان من أولى مراحل التعليم و بالتالي التأليف في هذا العلم، فظهرت المؤلفات اللغوية منظومة و منشورة ستأتي على تفصيلها.

✓ نموذج من الرسائل الإخوانية:

تعددت محاور المراسلات الأدبية التي تبادلها أعلام توات بين ما هو نثر و شعر من رسائل الأشواق أو المدح و الرثاء و غيرها من سمات الأدب العربي منها النموذج الآتي:

رسالة السيد عبد الرحمان بن علي التزلاغي بعثها للشيخ العالم البكري بن عبد الكريم (ت 1133 هـ) تحمل أشواق حب و أخوة يناشده فيها بالرجوع إلى البلد قائلًا²:

"بسم الله الرحمن الرحيم و صلي و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه وسلم
تسليما كثيرا، هذا الكتاب وجزى مختصر عزيز مبدؤه بحمد الله الكامل الستار، و ختمه يشكر الله
العزیز الغفار، ممزوج بسلام متصل... يفوح لدى انتشاره بالمسك و الكافور على الأخ الصديق
الوثيق المحب الأنيق الذي تغرب عنا و عن أوطانه غربة انقطاع و استأنس بغيرنا و لم يلتفت نحونا
من يوم الوداع كأنه لم يعرفنا قط على مائدة الاجتماع ذي المآثر السنية و الخصال المرضية

1- عبد الحفيظ بوكراع، الفرقد النائر، ص 69، ص 70.

2- هو نموذج لرسالة أدبية شعرية فيها معان لغوية وصور فيها صاحبها أهم مقاطع عايشها مع الشيخ البكري، ليخبر فيها أن توات تحتاج لمثله بعد أن مات أخوه الشيخ محمد القاضي فأصبح منصب القاضي شاغرا معتمدا على عنصر التأثير بحيث ذكر مدى حزن والدته على فراقه و هي في أشد الحاجة لرجوعه، نقلا عن المؤرخ عبد الحميد البكري، النبذة مرجع سابق ص 163-164.

الشهيرة ذكره في المحافل، و سمته في القبائل، العالم الأفضل، بركتنا و محل وادانا سيدي محمد البكري بن سيدي عبد الكرم التمنطيبي، من محبكم طبعاً أخوكم في ذات الله شرعاً عبد الرحمان بن علي التزلاغتي و بعد:

فإن تفضلت عنا بالسؤال عنا فنحن بحمد الله على خير و عافية جملة و تفصيلاً و السلام على من تعلق من أهل و ولد، و طالب لازم، و محب دائم و حاصل قد هاتف الشوق و اللقاء و مؤانسة الأصدقاء الإخاء و حرك مني الساكن، و نطق مني الكامن، و طفقت أقول منشد اللساني:

توطية لقول في النظم أبداها	بسم الإله أبتدي أولاً و به
حتى جوى الدمع بالأشواق مجراها	تهدي السلام لمن كان اشتياق له
محمد البكري بدر الوقت قاضيها	أعني الحبيب الذي داما اشتياق له
و ظل منقطعاً عنا و قد ساهها	أخا العلوم ظفرنا بمؤاخاتاه
طول السنين فلا أدري لم داهها	فكيف يسهو حميم عن معارفه
و أمه طال ما ذرفت عيناهها	ثنا عن الأهل و الأوطان مغتربها
زاد عليه كبير الوجد أفناها	يبعده و يموت صنوه أسفها
عن الزيارة لا لازلت أنواها	طال انتظار له و القيد أوثقني
و صنته عن مسامعي و أذناها	خطبته بكلام النفس في خطري
أهلاً و سهلاً بحول الله ترتهاها	فرام مني قصيدة فعلت له
و نعمة القاري بالترخيم حلاها	من السيط له وزن و قافية
بيكي و يستبكي سامع و قاريها	تحكي أمورا و تذكيرا و موعظة
يتقي و تقوى على إرغام قاليها	منظومة في زمان الهول بارعة
و بالرسول على تبليغ مداها	الله ربي و نعم المستعان به
بخط كفك فاح عندي شداها	إني لا أرجوا كتاباً من مقامكم
حين اجتماعنا ما أحلى لياليها	لأتذكر أيام الوداد بتاه
على سبيل الهدى خافوا من بريها	في بحجة الدين و الدنيا و قد سلكوا

بجودهم قاموا إحلالاً لضيفهم
من أعهد أسلافهم و الضيف يأتيها
و ما عليك إذا ما جئتنا زائراً
تنل من الأجر لا خاب من ناويها¹

و قصيدة تحمل كل معان الود و الأخوة و الشرف لصاحب كان له في أيام خوالي فحاول صادقاً أن ينقلها و يذكره كم كان بينهم من وصال المحبة و العلاقة العلمية الحميمة بأبيات صادقة تحمل عبارات قوية و معاني معبرة مذكراً إياه بوفاة أخيه أو كما قال صنوه إلحاج محمد التمنيطي القاضي، في لباس أدبي يحمل صوراً بيانية بالغة الأثر. و فعلاً رجع العالم الشيخ البكري بن الشيخ عبد الكريم إلى الديار في توات بعد وصوله هذه الرسالة ليتولى القضاء سنة 1092هـ، و سلك بالناس مسلك العدل².

✓ نموذج لشعر التوسل: القصيدة الميمية للعالم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي³:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الْأَمَمِ	وَ هَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ
وَ هَذِهِ الرَّوْضَةُ الْعَرَاءُ ظَاهِرَةٌ	وَ هَذِهِ الثَّقِيَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْحَرَمِ
وَ مَنْبَرُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَ حُجْرَتُهُ	وَ صَحْبُهُ وَ بَقِيْعُ دَائِرِ بَيْتِهِ
قَطِبَ وَ غَبَّ عَنْ هُمُومِ كُنْتُ تَحْمِلُهَا	وَ سَلَّ تَنَلَّ كُلُّ مَا تَرْجُوهُ مِنْ كَرَمِ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خذ بيدي	فالعبد ضيفٌ و ضيفُ الله لم يُضَمِّ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خذ بيدي	يا من لقاصده أمرٌ من النَّقَمِ
يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ خذ بيدي	فَبَحْرُ جودك موردٌ لِكُلِّ ظَنَمِ
يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ يَا مِنْ ضَيْفُ سَاحَتِهِ	بييت في الأمن في خير و في نَعَمِ
يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَ مُتَّعِلٍ	يا أَفْضَلَ النَّاسِ فِي دَاتٍ وَ فِي شَيْمِ
يَا مِنْ صِفْوَةِ اللَّهِ يَا مَوْلَى مَكَارِمِهِ	عَمَّتْ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْوَجْدَانِ وَ الْكَرَمِ

1- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 164.

2- نفسه، ص - ص 163-165.

3- محمد بن عبد الكريم المغيلي، رسالة في اليهود، تح و تقدم: عبد الرحيم بن حادة و عمر بن نيرة، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط، 2005، ص 55.

إلى أن يقول في الصفحة ما قبل الأخيرة:

"... أسألك اللهم أن تسلكني سبيلا يوصلني بك إليك، أسألك اللهم أن تسلكني في بساط حضرتك فتعيني فيها عن كل ما سواك، أسألك اللهم أن تمنحني حبك، و تغنيني بك عن كل ما سواك، أسألك اللهم أن تمن عليّ بإقبالي عليك حتى لم أر في الوجود سواك و آخر دعوانا الحمد لله رب العالمين..."¹.

✓ التأليف في الفقه.

لقد كان لأعلام توات باع كبير في كتابة النوازل أو ما يسمى بفقه النوازل، ذلك لأسباب كثيرة منها تخصصهم في العلوم الشرعية واهتمامهم بالفقه الذي يعتبر عماد الدين فانكبوا على الاستعلام بالأحكام الشرعية، و ذلك من خلال الوقائع المعاشة كنوازل المياه و مسائل الخرافة وقضايا الخماسة كان لزاما على سكان توات أن يسجلوها كغنية المقتصد السائل نوازل الجنتوري وغيرها. هذا ما يفسر كثرة ما ألف في النوازل.

✓ فقه نوازل.

إن تعريف النوازل² لغة عند ابن منظور في لسان العرب أنها جمع نازلة و هي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس و النزول أي الحلول، و هي الواقعة أو الحادثة تحمل بالمرء في دينه و دنياه، فيقال: نزلت بفلان نازلة فرفعها أو رفعت إلى فلان فأجاب عنها، أما النوازل الفقهية فهي الفتاوى، و المسائل الفقهية التي ترفع لأهل العلم فتعرض للإجابة عنها، و أما الحكم هنا يسمى فقه النوازل³، عموما فالنوازل مجموعة مدونات من الفتاوى التي لها علاقة بالقضايا اليومية

1- أحمد الجعفري، الشيخ الحاج بلقاسم، مرجع سابق، ص ص 07-08.

2- النازلة: مفرد نوازل و هي اسم فاعل من نزل ينزل فهو نازل و تجمع نازلة إلى نازلات. و نزل معناه الحلول أي نزل حل و يقال نازلة بشدة، و نائية، و حادثة ثم أبدت و داهية و فاقرة، قارعة، حاقة... ينظر: ابن منظور، لسان العرب (مادة نزل)، مصدر سابق، ج 11، ص 656، ينظر أيضا: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، ضبط و تحر: مصطفى ديب البغا، ط 4، دار الهدى، الجزائر، 1990، ص 414، ينظر أيضا: أبو المنصور الثعالبي، فقه اللغة و سر العربية، تح: فائز محمد، دار الكتاب العربي، ط 1، م، 1413، ص 278.

3- عمار جيدل، النوازل مصدر للتاريخ الاجتماعي و الثقافي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، النوازل في الغرب الإسلامي، دار الثقافة، عين الدفلى، 13-14 جمادى الأولى 1431، 28-29-2010 ص ص 284-285.

المعاشة، هي مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي و الاقتصادي لكل منطقة على حدا فتمس مختلف المعاملات و مشاغل الناس التي لا يوجد لها حكما شرعيا واضحا¹.
لذلك التجأ العامة للخاصة من العلماء للحكم فيها بعد الجمع و الإسناد و الاستنباط و الاستشارة و التخريج.

فعمل علماء توات على التصنيف في هذا الضرب من التأليف -الفتاوى و النوازل- مما يدل على أهميته الفرد كونها تتعلق بواقع حياته، فكان لازما على رواد هذا العلم حكما و تأليفا ليس فقط حفظ الأحكام و المسائل و لكن التحكم في صناعة الفتوى التي يصل إليها بالممارسة و المخالطة و سرعة البداهة، خاصة وأن مادته مليئة بالخلاف في الأقوال المذهبية.
و في هذا الباب يقول تقي الدين بن صلاح: " إذا كان للمفتي مختار، يأخذ به في خاصة نفسه بيّنه للمفتي، فإنه يقول له: مذهبك كذا، و أنا يظهر لي كذا... " ².

و قد أطلق على هذه المسائل الفقهية في المغرب الإسلامي عموما بالنوازل على خلاف أهل المشرق الذين يعتمدون لفظ الفتاوى و إن وضعنا مقارنة بين النوازل و الفتاوى فبعضهم يقول أن الفتوى قد تجد لها حكما واضحا من الكتاب و السنة بينما لا نجد للنازلة حكما واضحا ذلك أنها ربما تكون أسئلة لحادثة لم يسبق لها الوقوع من قبل³، لذلك فالعمل على تصدير أحكام في نازلة ما يستوجب ردها إلى مصدرها أو الرجوع إلى أمهات المدونات المالكية -في المغرب

1- محمد الصالح حوتية، توات و الأزواد، ج1 مرجع سابق ص 319، ينظر: زهير بن عبد الرحمن قران، الفكر الصوفي في النوازل التواتية، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، دار الثقافة، عين الدفلى 14-13 جمادى الأولى 1431هـ / 28-29-2010، ص- ص 332، 335.

2- عبد الرحمن الهياوي، تعدد أجوبة في النازلة الواحدة من خلال: رسالة أبي الحسن البناهي في الرد على من أنكروا على الإمام الدعاء الصلاة جهرا، المجلة الفقهية الفتوى والنوازل، ع:01، مركز البحوث و الدراسات في الفقه المالكي، القنيطرة جمادى الأولى 1438هـ، فبراير 2017، ص ص 43-44.

3- محمد الصالح حوتية، نفسه، ج1، ص 320، ينظر أيضا عمّار جيدل، النوازل مصدر للتاريخ، المرجع نفسه ص 284.

الإسلامي - ثم الاستنباط و القياس و الترجيح، و المدونات نوعان: مصادر تطبيقية فقهية و مصادر نظرية¹.

أما التطبيقية فتقصد بها النوازل التي حصلت بالفعل و دونها أصحابها فتعرف بكتب النوازل أو الوثائق أو الشروط، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:²

- كتاب الإعلام بنوازل الحكام لابن سهل عيسى بن سهل بن عبد الأزدي (ت 486 هـ. 1093م).

- كتاب التبصرة لأبي الحسن علي بن محمد المعروف باللخمي (478 هـ - 1104م).

- نوازل ابن رشد لأبي³ الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 520 هـ. 1126م).

- نوازل البرزلي⁴ لأبي القاسم أحمد بن محمد الشهير بالبرزلي (844 هـ. 1440م).

- تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام لأبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي (826 هـ. 1425م).

- شرح العباب على مسائل الالتزام لأبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المكناسي.

أما مصادر الفقه النظري فهي كثيرة لا حصر لها، أهمها ما كانت معتمدة في منطقة توات كالمدونة المعتمد للتدريس. لأبي سعيد عبد السلام التنوخي الشهير بابن سحنون (ت 269 هـ/ 882م).

1- محمد حوتية، نفسه، ج1، ص-ص 319-321.

ينظر أيضا: محمد جرادي، النوازل التواتية منهجا و خصائصها، مرجع سابق، ص 221.

2- نقلا عن محمد حوتية، نفسه، ج1، ص-ص 321-324.

3- ابن عيسى ابن سهل المشهور بالأزدي (ت 486 هـ) يعد من أقدم من كتب في النوازل الأندلسية كتاب أحكام بن سهل المعروف بكتاب الإعلام بنوازل الحكام، ينظر، عمار جليل، مرجع سابق، ص 286.

4- أبو القاسم أحمد بن محمد البرزلي نزيل تونس مفتيها و فقيها أحد أئمة المذهب صاحب الديوان المشهور في الفقه و النوازل. كان بحثا نظارا درس عن كبار العلماء منهم: صالح أبو سالم البطرودي، أبو عبد الله بن عرفة و غيرهم، و أخذ عنه خلف كثير، حج البيت سنة 806 هـ توفي سنة 844 هـ بتونس و قيل أنه ولد سنة 740 هـ، ينظر: أحمد بابا التنبكي، مصدر سابق، ص 370، ينظر: بن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 180. ينظر: أبو العباس المكناسي، مصدر سابق، ج 3 ص 282.

الواضحة: لابن مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي (238 هـ. 852 م) الموازية لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندرية (ت 269 هـ. 882 م)، النوادر و الزيادات + الرسالة لابن عبد الله بن أبي زيد القيرواني، (ت 386 هـ. 996 م).

المقدمات + البيان و التحصيل لأبي الوليد ابن رشد (520 هـ. 1126 م).

مختصرات ابن الحاجب الفرعي جامع الأمهات لأبي عمر عثمان بن عمرو بن أبي بكر (ت 646 هـ/ 1248 م).

إن العلاقة بين النوازل و الفتيا هي علاقة الجزء بالكل، لذلك دأب علماء توات علي التركيز في فقه النوازل و غالبا ما كان فقيه النوازل قاضيا.

فقه النوازل يشكل و يجسد نشاط و حيوية الفقيه من حيث التأصيل و التععيد و الاستنباط و تفاعل الفقيه مع الواقع مما يعلل كينونة الدين الإسلامي و مرونته و تكيفه مع كل الأجناس في مختلف الأزمنة و الأمكنة، و هذا مدلول أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة - رحمة للعالمين - فيتقرر بذلك الشمولية و الاستقرار مع مراعاة القرائن و الأحوال¹.

فلم ينحصر دور علماء توات في الاجتهاد في الأحكام الشرعية التي تناسب الواقعة أو النازلة بل تعداه إلى تدوين و تسجيل تلك القضايا أسئلة و أجوبة لتكون مرجعية علمية (فقهيية - اجتماعية - تاريخية) و لا تزال خزائن توات تحتفظ بكثير منها².

ولكن إن رصدنا ما ألف و دون من النوازل التواتية في الفترة ما بين القرنين السابع و الحادي عشر هجريين، فلا نكاد نجد الكثير منها، سوى بعضها التي ذكرت ربما في عجالة مثلا النازلة التي حصلت فيها مناقشات بين الإمام العصنوني عبد الله مع طلابه و الإمام ميمون الباز

1- عمار جيدل، المرجع السابق، ص 288. ينظر: زهير قران، الفكر الصوفي في النوازل التواتية، مرجع سابق، ص 333.

2- زهير قران، نفسه، ص 342.

(890 هـ)¹ في أن رجل اشترى أمة ثيبا و لما اشتراها وجدها بكرا فاستفتى عن مسألة الرد فأجمع الإمام و طلبته بعدم ثبوت الرد لأنها بكر و لو كان الأمر معكوسا لثبت الرد، لكن الشيخ ميمون بن عمرو الباز حكم بثبوت الرد لأنه لم يجدها كما طلب؛ فنارت نائرة الطلبة عليه بحجة أنه لم يسند رأيه إلى مدونة فقهية أو حديث نبوي، فسافر إلى فاس و سأل شيخه ابن غازي فدلّه على مختصر خليل فلما بحث فيه وجدها مبسوطة في خليل فاشترى الكتاب بأربع مثاقيل ثم عاد ووثق رأيه.

و هناك نازلة أخرى أخذت حجمها وزيادة في المخطوطات التواتية و حتى في مصادر النوازل الخارجية و هي نازلة اليهود في توات. و هي نازلة نوعا ما تختلف عن الأولى من حيث الواقعة و من حيث مكوناتها بحيث السائل و المجيب من علماء عصرهم فستكون النازلة و جوابها مدونة بطريقة رفيعة من حيث الأسلوب و دقة الطرح و الجواب في قالب فقهي دقيق².

أيضا عرضت على الساحة الفقهية التواتية مسألة "شرب الدخان" التي أخذت هي الأخرى حيزا كبيرا من المراجعات و ألفت في سبيلها المدونات، حيث شغلت علماء المغرب الإسلامي لأنها طارئ جديد على توات، بحيث أن الأطراف الحقيقية للنازلة كانت بين أهل السودان و المغرب الأقصى³.

لقد أثارت هذه المسألة ضجة في الأوساط العلمية وقع فيها تبادل في الوسائل و التأليف حتى بين علماء المشرق و المغرب و قد ألف الشيخ عبد الكريم بن الفكون القسنطيني كتابا سماه "محمد السنان في نحو إخوان الدخان"⁴ و كذلك ذكر ذلك العياشي و اللقاني

1- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 113. ينظر: زهير قزان، مختصرات الفقه المالكي في خدمتها، مرجع سابق، ص 199.

2 الحافظ التنسي، نظم الدر و العقيان، مصدر سابق، ص- ص 29-31.

3 محمد باي بلعالم، الرحلة، ج2، ص 38.

1 تناول المؤلف عبد الكريم الفكون قضية التدخين مع بداية القرن الحادي عشر، حيث اختلفوا في حكمها بين الحلال و المحرم فكان لعبد القادر المحب الطبري (ت 1033) كتاب اسمه دفع الإشتباك عن تناول التباك، موسى ابن يوسف القدسي-

و غيرها أن هذه النازلة وقعت في أرض تنبكتو حيث كان سكانها يتعاطون الدخان منذ ما قبل الإسلام و لما جاء وفد من تنبكتو سفيرا من سلطان "سنغاي" إلى السلطان المغربي "منصور الذهبي" و جاء هذا الوفد محملا بالهدايا و هي أحمال من الدخان، و هذا صاحب الليل دليل الليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران يقول¹ "... و في أيامه ظهر الدخان بالمغرب و انتشر، و سببه أن أهل السودان أتوا له بهدية و كان أهل السودان يشربون الدخان من قبل الإسلام و يستعملونه استنشاقا و شربا، حتى من لم يشربه منهم يقولون أن به مرض في جوفه و كان وقت إتيانهم بالهدية سنة 999 هـ فاستنبط له بعض الخذاق التاريخ من قوله تعالى: السَّمَاءُ بِدُخَانٍ (الدخان 10) بترك أداة التعريف، فصار أهل الهدية مهما شرب أو شمّ إلا وناول ذلك للأهل مراكش المجالسين لهم، فعمت بلوته حينئذ و أمر السلطان المذكور بحرقه، فحرق منه في يوم مائة حمل و في يوم آخر مائة ألف حمل، و يوم أكثر، و يوم أقل ليقطع شربه و شمه فلم يزد إلا انتشارا، فقد كان أهل المغرب لا يعرفونه قبل ذلك"².

إن التأليف في فقه النوازل أخذ نحو آخر في بداية القرن الثاني عشر و القرن الثالث عشر هجريين في إقليم توات³، و هي فترة بخارجة عن نطاق الدراسة و لكن لا بأس في ذكر بعض المؤلفات النوازلية من قبل علماء القرن الثاني عشر لأنها كانت غنية ذكرت حتى ما قد وقع قبل هذه الفترة نذكر مثلا:

=الحنبلي (ت 1033) و كتابه تحقيق البرهان في شأن الدخان، إبراهيم اللقاني المالكي (1041 هـ) "نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان"، الأجهوري (ت 1066) "غاية البيان لحل ما يغيب العقل من دخان... الخ من المؤلفات فكتب ابن الفكون: محدد السنان وصف فيه الدخان و حشيشة النفة و دخان الورق و جوزة الطيب و هي كريهة الرائحة و حرّمها لأنها تذهب العقل و من المسكرات، ينظر: حسين بوخلوة، عبد الكريم الفكون القسنطيني، حياته... رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، 2008-2009 ص 106 - 109.

1- محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 2، ص 39.

2- محمد بن يوسف الزباني، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح و تق: المهدي البوعبدلي، اعت: عبد الرحمان دويب، ط 01، دار المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 159.

3- محمد صالح، حوتية، توات و الأزواد، مرجع سابق، ج 1، ص 319.

- 1- الأجوبة للشيخ عمر بن عبد القادر التتلاي (ت 1152 هـ) جمع فيه فتاويه و فتاوى بعض تلاميذه.
 - 2- رسالة المغارم¹ للشيخ عبد الرحمن ابن إبراهيم الجنتوري (1160 هـ) أجاب فيها عن إبطال المغارم رأس، و قد دون فيها مقدمة في شروط المفتي و القاضي و أحكام الفتوى و القضاء معتمدا على مصنفات و نصوص الأصوليين و القواعد المقاصدية و الفقهية.
 - 3- نوازل الزجلالوي: للشيخ محمد بن محمد العالم الزجلالوي (1112 هـ) جمع فيها أجوبة والده محمد و ضم عليها نوازل الشيخ عمر بن عبد القادر التتلاي و أجوبة شيخه عبد الرحمن بن عمر التتلاي مرتبا:
 - 4- وسائل التوحيد - طهارة ثم الصلاة - الزكاة ثم أبواب في النكاح و الطلاق.
 - 5- غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا و المسائل: جمع أولها محمد بن عبد الرحمن البلبالي (1244 هـ) و أمم جمعه ابنه القاضي عبد العزيز البلبالي (1261 هـ) و هو من أكلق عليها هذا الاسم ثم قام تلميذاه بالترتيب و الجمع، الأول الشيخ أحمد الحبيب البلبالي و الثاني محمد بن أحمد البداوي البكري².
- و ستكون نازلة اليهود المعنونة "بنازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط" كما عنوانها أحمد بن يحيى الونشريسي في معياره، كنموذج لأهم نازلة في توات في الفترة نهاية القرن التاسع هجري.

1- كان يستهل النازلة بهذه العبارة "أن البلوى عمت في بلاد توات و قرارة بيع قضائهما لأصول الهاريين في المغارم و ذكر له أحد القضاة تمالوهم حيث أنهم لم يرو وجها شرعيا يساعدهم في ذلك... فقال الجنتوري بلسان قلمه (فأردت الآن أن أكشف له عن الغطاء و أبين له وجه بطلان أحكام أولئك القضاة و أنما مخالفة لكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم) ينظر: مخطوط نوازل الجنتوري نقلا عن محمد عبد الكريم، جوهر المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، مرجع سابق الورقة 32.

2- هذين التلميذين تميا لنسخ المخطوط فأخرجوا محتواها ورتبها على أسلوب مختصر خليل، ينظر: محمد بن عبد الكريم جوهر المعاني في تعريف الألف الثاني، مرجع سابق، الورق 32.

✓ نماذج من النوازل:

✓ نازلة يهود توات:

هي نازلة تعرض لها فقهاء الإقليم التواتي و كان سكان توات طرفا فيها، أما الطرف الذي حرك النازلة فهو وضع اليهود في الإقليم و الحال الذي آلوا إليه من تفلت و عدم انضباط شمل ميادين كثيرة سواء في التجارة و ضبط أمور السوق، أو في اللباس و الترتب اللذان تفوقا به عن المسلمين، أو في تفرهم من أولي الحلّ و الربط و تدخلهم في أمور البلاد¹، و الذي أفاض كأس هو محاولة بناء كنيسة جديدة بدعوى أن الأولى لا تكفيهم و قد أخذم جزء منها، هذه الأوضاع و أمام تقاعس أئمة و فقهاء الإقليم التواتي عن أمور دينهم²، حرّ في قلب الشيخ الإمام محمد عبد الكريم المغيلي ذلك الأمر لذلك لما طرحت مسألة بناء الكنيس اليهودي ثار المغيلي على الوضع الذي سماه " تعديا و طغيانا و تمردا على الأحكام الشرعية"³، و انقسم أهل البلاد إلى فريقين، فريق يناشد المغيلي و يطالب بهدم الكنيسة و فريق مع قاضي توات عبد الله بن أبي بكر العصبوني و شيعته القاضية بعدم هدم كنيستهم بدعوى أنهم أهل ذمة⁴ و معاهدين للمسلمين

1- ابن عسكر، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 130، ينظر: ابن مريم، البستان، مصدر سابق ص ص 253، 257 أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، مصدر سابق، ص 576، تقيّد حول تاريخ الشيخ عبد الكريم المغيلي و شجرته، مخطوط منسوخ بيد السيد طيب الشاري، القائم على خزانة كوسام، أدرار، الورقة 07-08. ينظر: محمد أولادير مشنان، فتوى الإمام ابن زكريا التلمساني، في مسألة يهود توات (دراسة و تحقيق)، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي. دار الثقافة عين الدفلى: 13-14 جمادى الأولى 1431 هـ 28-29، ص 385. ينظر أيضا: محمد عبد الحليم، بشي، يهود توات في كتب النوازل الجزائرية، مرجع سابق، ص ص 360-361.

2- الحافظ التنسي، نظم الدر و العقبان، مصدر سابق، ص 30.

3- محمد عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح المغيلي، تح: رايح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968 ص 24. ينظر أيضا: عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح و دراس: عبد المجيد الخيالي ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001، ص ص 43-44.

4- يقول ابن القيم الجزوية في أهل الذمة ما يلي: "الكفار إما أهل حرب و إما أهل عهد، و أهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة و أهل هدنة و أهل أمانة، و قد عقد الفقهاء بكل صنف باب: باب الهدنة، باب الأمان، باب عقد الذمة و لفظ الذمة و العهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل... لكن صار في اصطلاح الكثير من الفقهاء أن أهل الذمة عبارة عن يودي الجزية. ينظر: ابن القيم الجزوية، أحكام أهل الذمة، ج 2، ط 2، دار العلم للملايين د.م.ن، 1982، ص 475. قال رسول الله=

و قد احتج كل فريق بشواهد فقهية و أحاديث نبوية و بأقوال السلف من الصحابة و التابعين إلا أن الأمر تأجج بين الطرفين فلم يقوى طرف على إقناع الآخر¹.

لذلك عدت نازلة توات من أقوى الشدائد التي نزلت بأهل تمنطيط، فترجم في الخلاف بن أحكام فقهية بين الفقيهين العصنوني و المغيلي الأمر الذي دعا الطرفين إلى الاستعانة بأراء أكبر الفقهاء في العالم الإسلامي آنذاك من تلمسان و تونس و فاس، فاتخذت النازلة بعدا عالميا لما اندرس موضوعها خارج أصوار الإقليم التواتي.

و من هؤلاء العلماء الذين يشهد لهم بالفضل و العلم مفتي تونس "الرصاص" و الفقيه أبو مهدي عيسى الماواسي قاضي فاس و ابن زكري يحيى بن أبي البركات العماري فقيه تلمسان الإمام محمد بن يوسف السنوسي، الإمام الحافظ التنسي، الإمام أحمد الونشريسي و غيرهم².

و انقسم العلماء في أجوبتهم بين مؤيد لرأي العصنوني و معارض لرأي المغيلي و بين المؤيدين للمغالي و المعارضين للعصنوني، جمع آراءهم العالم الشيخ الونشريسي في معياره واصفا رأي كل منهم³ و الظاهر أن أسلوب إقناع كل من العصنوني و المغيلي أخذ به الفقهاء أطراف الفتوى بحيث اعتمد العصنوني على آراء فقهية تؤكد ما قرره بعدم هدم كنائس توات لأنهم أهل ذمة ملزمين بدفع الجزية و أن الأرض أرض احتطاط و المغيلي و ابنه عبد الجبار و العالم الشيخ إبراهيم الفيحجي هم من يشغبون على المنطقة و يحاولون زرع الفتنة⁴:

فكانت من الإجابات المؤيدة لرأيه، قاضي فاس الماواسي أبو مهدي، و مفتي تونس الرصاص و ابن زكريا قاضي تلمسان ، بينما عرض المغيلي رأيه المؤيد لهدم الكنائس اليهودية لأنهم ليسوا

=صلى الله عليه و سلم: "ألا من ظلم مغاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة". هذا أخرجه أبو داوود في سننه من كتاب الخراج و الإمارة و الفئ، باب في تعشير أهل الذمة، حديث رقم 3025.

1- عبد الحليم بشي، المرجع السابق، ص 370، الحافظ التنسي، نفسه، ص ص 29-30.

2- أحمد بن يحيى، الونشريسي، المعيار، مصدر سابق. ج2، ص ص 214 - 232.

3- أحمد الونشريسي، مرجع سابق، ج2، ص ص 214 - 258.

4- نفسه، ص ص 214-217

أهل ذمة بحيث لا يسيرون بالشرع - دفع جزية - و التناول على المسلمين بحيث أصبحوا يسيرون الأموال و يتأمرون على العباد، و قد عرض من الشواهد القرآنية و الأحاديث النبوية و الأحكام الفقهية ما جعل من الفقهاء: التنسي و السنوسي و الونشريسي يحكمون بعدم بناء كنائس في بلاد توات و قضوا بهدمها¹.

و ما إن وصل رد هؤلاء الأئمة بدعوى هدم الكنائس حتى قام الشيخ المغيلي بقيامته و مع شيعته على هدم كنيسة تمنطيط و طرد و إجلاء اليهود من إقليم توات.

✓ أبعاد نازلة اليهود على الصعيد الداخلي و الخارجي:

إن دراسة هذه النازلة التي أخذت أبعادا الداخلية و الخارجية تأخذ مجرى تحليلي استقرائي

نخلص من خلاله إلى نتائج التالية:

تتمثل أهمية النوازل الفقهية في كونها مصادر إخبارية تملأ ثغرات المادة التاريخية²:

فقد عرضنا سابقا قضية يهود توات و ما أثارته من سجال و جدل بين أهم علماء العالم الإسلامي في شقه الغربي و ما وقع من خلاف في الحكم الشرعي فيها حول ذمية اليهود ضمن بلاد توات المحتطة من قبل المسلمين³، و قد عرضناها في محور المراسلات و المناظرات الفقهية التي عرفها إقليم توات في القرن التاسع هجري.

1- محمد باي، بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج1، ص ص 81-83 ينظر: محمد بوشان، الصحراء في أبحاث الشيخ المهدي البوعبدلي، إقليم توات نموذجا، مقال على شبكة الانترنت، دون أي بيانات، ص ص 207 - 209 و يقول أبو القاسم في هذا الباب أن المغيلي وردت عليه ردود كثيرة من هؤلاء العلماء، فاعتمد على ما وافق رأيه منها و أمن بأنه الحق و ترك ما خالفه و عدّه مجانباً للصواب و مشوباً بالهوى، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 هـ إلى القرن 14 هجري، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985. ص 113.

2- عمر بنميرة، النوازل و المجتمع - مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسط، ط1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط، 2012، ص 29. ينظر أيضا: بن زيطة حميدة، دور علماء توات في إرساء العلاقات العلمية في حواضر الإسلامية الشيخ المغيلي نموذجا - ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات إجهادا و تدرسا، 10-11 رجب 1431 هـ 23-29 جوان 2010، ص 154.

3- عمر بن دحمان، وجود كنائس في بلاد الإسلام مراجعة فقهية لفتوى المغيلي، مجلة الحقيقة، ع: 37، دون سنة نشر ص 133.

أما دراستنا لها في هذا المحور فسنحاول استنطاق ما بين سطورها طبعا بمساعدة المصادر و المراجع التي خاضت هذا الباب.

إن أول ما استوقفنا من خلال الإطلاع عليها في معيار الونشريسي في الجزء الثاني الصفحة 214 أنها مدونة تحت عنوان "نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط" ضمن نوازل الأيمان و النذور.

فقد اعتبرت عنوان النازلة إجابة على الإشكال الذي طُرح في الفصل التمهيدي و المتعلق بالتبعية و جدلية الانتماء السياسي، فهذا الونشريسي يؤكد منذ القرن الثامن الهجري انتماء و انتساب إقليم توات إلى المغرب الأوسط.

1- في أول ما كتبت أيضا في النازلة "كتب صاحبنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني من توات لفقهاء تلمسان و فاس ما نصه...¹" هو أيضا يعرض فقط موقف علماء الحاضرتين تلمسان و فاس بحيث يبتدأ أولا بتلمسان مؤكدا أولوية تلمسان في الإجابة عن هذه المسألة الفقهية.

2- يعرض الشيخ العصنوني في بداية السؤال ما يلي: "... جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، و هي كنائس اليهود الكائنتين بتوات و غيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي و ولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كان أن يوقع في الفتنة. من خلال هذا العرض يتبين أن العصنوني يحاول أن يصوغ المسألة كأنها سؤال حول حكم الشرع في معاملة أهل الذمة "يهود توات و قد حسم الشرع فيها. واصفا الشيخ المغيلي أنه يحاول الاعتداء عليهم و التشغيب هو و ابنه و زرع نار الفتنة في المجتمع الإسلامي: لكن رغم موقفه من غريمه المغيلي إلا أنه تأدب في ذكره و ذكر ولده واصفا إياه بسيدي عبد الجبار"².

1- أحمد الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج2، ص214.

2- أحمد الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج2، ص214.

3- يؤكد الشيخ العصنوني أيضا على وجود هذه الطائفة في تمطيط و باقي قصور الصحراء أي أن هذه الطائفة قد انتشرت في أرجاء الإقليم التواتي كله¹.

4- يوضح الطرح الذي أقره الشيخ العصنوني و إظهار حكمه بتقرير ذمية يهود توات و عدم هدم كنائسهم اعتمادا على رأي علماء المذهب المالكي مثل مؤلف ابن عرفة و ابن يونس و البرزلي مستشهدا بنوازل مشاهجة ذكرها البرزلي عن نصارى تونس حينما أرادوا تجديد كنيسة لهم بل يقول أنهم أرادوا إحداثها² و لم يتم هدمها محاولا إعراض الرأي و التضليل لأن صاحب الجواب عن المسألة لا يفتي إلا من منطلق عرض إحدائيات النازلة فهو لم يواقع هذه النازلة بنفسه.

5- يؤكد العصنوني مسألة خلاف المغيلي لحكمه و يضيف أن الشيخ إبراهيم بن عبد الجبار الفيحيجي له نفس الرأي مع المغيلي مدعيان مسألة الإجماع في الخلاف.

6- يؤكد الشيخ العصنوني أن يهود توات معاهدين و هم أهل ذمة بحيث يدفعون الجزية منذ عهد قديم و كل ما قاله يستشهد بتجار الذين يفيدون على توات³ بينما الفيحيجي يحاول في وصف سؤاله وصفا ناقصا لأهل الذمة.

من خلال حجج العالم الشيخ العصنوني يبدو للشيخ أهدافا و صناع في ذلك الطرح:

- 1- أنه يحاول جاهدا الدفاع عن يهود توات بعدم طردهم و عدم هدم كنائسهم.
- 2- كأنه يسعى لتبرئة موقفه أمام علماء الأمة بأن حكمه ذلك قائم على أحكام شرعية و أن يهود توات كانوا مؤدبون للجزية و هم صاغرين و أن الأمر كله إشعال نار الفتنة من قبل الشيخان محمد عبد الكريم المغيلي و الشيخ عبد الجبار الفيحيجي⁴.

1- نفسه، ص 214 و ما بعدها.

2- نفسه، ص 217.

3- الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ص ص 217-220.

4- عمر بن دحمان، كنائس اليهود، مرجع سابق، ص ص 141-145 عبد الجبار الفيحيجي، هو محمد بن عبد الجبار الشيخ العالم، أدبيا و شاعرا نزيها خيرا، كان مولعا بالصيد حتى قال: يلوموني في الصيد جامع، توفي في القرن التاسع هجري ينظر: ابن عساكر، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 132.

3- كما مكن أن نخلص إلى ترجيح رأي الشيخ المغيلي على رأي الشيخ العصنوني رغم تأييد الرصاع¹ مفتي تونس و ابن زكري² مفتي و رأي أبو المهدي الماواسي³ مفتي و عالم فاس من خلال ما ورد في رأي الإمام أحمد الوشريسي القاضي بمنع اليهود عن البناء لبيعهم قائلًا: "الحق الأبلج الذي لا شك فيه و لا محيد عنه أن البلاد التواتية و غيرها من قصور الصحراء النائية المسامحة لتلول المغرب الأوسط المختطة و راء الرمال المتهيلة التي لا تنبت زرعاً و لا ضرعاً بلاد إسلام باختطاط، لا تقرر الملاعين اليهود أبعدهم الله فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم و الغير،..."⁴ و معه رأي الشيخ السنوسي قائلًا: "... فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية و الشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلم الله تعالى و أحمد كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين..."⁵ و طبعاً هذا الموقف يقفه المترجمون للعالم المغيلي مؤيدين له و اصفين إياه بالإمام الحجة المحقق الناصح الصدر ممن له بسطة في الفهم و التقدم متمكن المحبة في السنة و بعض أعداء الدين. وقع له بسبب ذلك أمور مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات⁶.

-
- 1- الرصاع هو محمد بن قاسم الرصاع قاضي تونس، أخذ عن ابن عرفة و أبي القاسم العبدوسي له تأليف عديدة منها فهرست الرصاع، توفي 864 هـ، ينظر: أحمد بابا، مصدر سابق، ص 560.
 - 2- عبد الله أحمد بن محمد بن زكري: الحافظ الملقب بالإمام الأصولي، الناشر الناظم له عدة مؤلفات "بغية الطالب في شرح عقيدة بن الحاجب" و ألف في القضاء و له فتاوي في المعيار، توفي 899 هـ، ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، نفسه ص 136.
 - 3- أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي: الفقيه الخطيب الملقب بمن بيت علم في فاس، له فتاوي في المعيار، توفي 896 هـ ينظر: أحمد بابا، نفسه، ص 135.
 - 4- أحمد الوشريسي، المعيار، مصدر سابق، ج 2، ص 232.
 - 5- محمد، باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 1، ص ص 80-89.
 - 6- من بين المترجمين الذين اتخذوا رأي المغيلي رأياً صائباً: ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 253، أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 557، السملالي، الإعلام، ج 5، ص 280، بن عسكرة، الدوحة، مصدر نفسه ص ص 130-132.

2- المراسلات و المناظرات.

تعتبر المحاوراة أو المناظرة¹ و التي كثيرا ما كانت تتم عن طريق المراسلة قمة فكرية استقرائية دليلا عن التحكم العلمية و الغزارة المعرفية و الخبرة في آلات الحججة العلمية مع البداهة و الفطنة العلمية الواسعة، هذا ما جعل علماء توات يعتمدون هذا الضرب من الفنون العلمية فأقيمت المناظرات بالمراكز العلمية بحضور طلبة العلم و العامة لتطرح تلك المسائل التي تحتاج إلى إيضاحات و بالتالي يرفع مستوى الحوار و يزيد من قوته لفظا و معنا و إثراء.

و المناظرات العلمية قد تسمى المنافحات و في كثير الأحيان كانت تتم مراسلة لاتساع المكان و عدم توفر وسيلة النقل، لكنهم اعتمدوا هذا الصرب من الفن لتعزيز العلوم و رفع من مستوى مجالس العلم خاصة العلوم الدينية على المذهب المالكي فتخرج العلوم من دائرة التلقين و التلقي إلى محور النقاش².

بلغت المراسلات و المناظرات مبلغها في توات خاصة مع مجيء العالم المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ملأ سماء توات بالجدل و الاختلاف في مسألة إجلاء يهود تمنطيط منها فانقسم شيعا و جماعات بين مؤيد و معارض، فأتسع الخلاف ليصبح موضوعا للمحاورات أو المناظرات و التي سجلت فكانت مراسلات علمية ارتأينا أن ننقل بعضها من المراسلات.

1- المناظرة: من فعل ثلاثي نظر أصله صحيح يرجع فروعه إلى المعنى الواحد و هو تأمل الشيء و معاينته، ثم يستعار و يتسع فيه و يأتي بمعنى المقابلة و المحاوراة يقال حيّ جلال نظر: أي متحاورون ينظر بعضهم بعضا. و أما في لسان العرب فمعناها التأمل في الشيء و معاينه و هي المباحثة و المباراة في النظر و استحضار كل ما يراه ببصيرته لإظهار الصواب، ابن منظور، لسان العرب، ج 6. ينظر: أبو أسامة شفيق عبد القادر و محمد لامة، مجالس العلم و المناظرة بالمغرب و الأندلس على عهد المرابطين و الموحدين، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن الخزم، الدار البيضاء، 2014 ص 24. أما المناظرة اصطلاحا فعرفها الجرجاني هي النظر بالبصيرة. وفي كشف الظنون قال: يقال علم المناظرة علم الخلاف و الجدل... و الظاهر أن الخلاف و الجدل باب من أبواب المناظرة. ينظر: مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون في كتب أسامي الكتب و الفنون، ج1، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1941، ص 11.

2- أحمد ولد السعد، المساجلات الكلامية في بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر هجري، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط، 2015، ص ص 98-99.

نماذج مراسلات فقهية:

أول رسالة نفتح بها هذا المحور رسالة الشيخ المغيلي التي أجاب من خلالها على أسئلة أخيار من أهل توات يستفتونه عن أحوال أهل الذمة و أحكامهم الشرعية، وقد استنهج المغيلي منهج الأوائل في التأليف بحيث اعتمد على الكتاب و السنة في حجج دامغة يستنكر بها معاملة أهل العلم و أولي الأمر لليهود و غيرهم من أهل الذمة و تقريهم من السلطة، فاخترنا من رسائله: رسالة إلى كل مسلم و مسلمة (رسالة في أهل الذمة).

هي الرسالة التي لقيت رواجاً كبيراً في الساحة الفقهية في القرن التاسع حتى القرن العاشر تناقلتها الصحف و تداولتها الألسن و الأقلام، فأصبحت قضية رأي عام غن صح التعبير، تحدث عن أحكام الشرع في أهل الذمة و خاصة ذمي أهل توات (اليهود). هي رسالة التي ليضع لها المغيلي عنوان و عنوانها ناسخها بمصباح الأرواح في أصول الفلاح. قسم المغيلي رسائله إلى ثلاثة فصول:

فصل أول، فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وضع فيها مسألة البعد عن الكفار و الابتعاد عن أهل الكفر بدلالة شرعية عقلية مبينة ذلك بطرح الرأي المضاد و هو عرض التقرب لأهل الكفر لمن لا دين و لا ذمة ولا مروءة له.

فصل الثاني: خاض بالجزية معنونا إياه: "فيما يلزم أهل الذمة من الجزية و الصغار" مبرراً أحكام الجزية لأهل الذمة بالقرآن و السنة شارحاً معنى الجزية و الصغار و الإذلال.

فصل ثالث: "في ما عليه يهود هذا الزمان في أكثر من الأوطان من الجرأة و الطغيان و التمرد على الأحكام بتولية أرباب الشوكة و خدمة السلطان"، عرض فيها توزع اليهود و طغيانهم في أكثر من موضع توات، تيكورارين، تافيللت، درعة... و أنهم لا ذمة لهم مما يستوجب حل دمائهم و نساءهم و أموالهم¹.

1- محمد بن عبد الكرم المغيلي، رسالة في اليهود، تح: عبد الرحيم بن حادة و عمر بنميرة، ط1، دار قرني للطباعة و النشر، المغرب، 2015، ص ص 14-17.

هذه الرسالة أشاد بها الكثير من علماء عصره على رأسهم العالم الشيخ الإمام أبو عبد الله بن غازي و الذي وصف الكتاب: "كتاب جليل صدر عن نص نبيل وعلم بالصواب كفيلا وصاحبه غريب في هذا الجيل...". كتب ذلك على ظهر الكتاب، ثم يقول عنه أحمد بابا التنبوكتي "كتاب عجب في كراسين أرسله للسنوسي و بن غازي فقرضاه و هو يتحدث فيه عن التوحيد و يتصل موضوعه بمباحث العقيدة"¹.

مراسلة الفقيه عبد الله بن أبي بكر العصنوني:

يورد الشيخ العالم أحمد الونشريسي رسالة قاضي توات الشيخ عبد الله العصنوني في معياره بعنوان "نازلة يهود توات من قصور صحراء المغرب الأوسط".

اتخذتها نموذج لبعض الرسائل الفقهية التي تبادلها علماء توات مع علماء الإسلاميين و كثيرا ما نجد في ذكر هذه النازلة رسالة المغيلي و بعض الأجوبة المختلفة المعارضة منها و الموافقة، لكننا ارتأينا أن نفرّد مساحة لطرح رسالة الطرف الآخر و هو الطرف المعارض المتمثل في رأي الفقيه عبد الله العصنوني قائلا: "كتب صاحبنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي بكر العصنوني من توات لفقهاء تلمسان و فاس ما نصبه: "سيدي رضي الله تعالى عنكم و أدام يمينه عافيتكم، و متع المسلمين بطول حياتكم، جوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات و غيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي و ولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كان أن يوقع في الفتنة، و ذلك أني أفيتت بتقريرها إذ سألتني الفحيجي عنها و عن فصول آخر في شأنهم مما أنكره عليهم و على الغلائف، و سأشير لكم إلى بعض جوابي و هو ما يخص الكنائس و ما اعترض به علي لتتظروا فيه. و ذلك أني طالعت ابن عرفة فوجدته حصل في بلد العنوة و الذي اختطه المسلمون ثلاثة أقوال، ثم تكلم على حكم بلاد الصلح، ثم طالعت ابن يونس بلد الإسلام دليلا على الحكم الذي أسسه في البلد الذي اختطه المسلمون و ذكر خلاف الغير في بلد العنوة خاصة، ثم طالعت البرزلي فوجدته ذكر

1- أحمد بابا التنبوكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 577.

ما ذكر ابن يونس بعد ذكره نازلة ابن الحاج في ذلك، و ذكر نوازل آخر في الكنائس بعد ذلك. و سأثبت منها شيئاً بعد أن شاء الله. فتأملت ما في الكتب المذكورة إذ هي جملة ما حضرني فسيق منها إلى فهمي من كلام ابن عرفة أن المدونة محمولة على أن الغير يخالف في بلد العنوة و في البلد الذي اختطه المسلمون... و لما حصل عندي هذا الفهم الذي قررته لكم... إن معنى الاختطاط عندي البناء و التأسيس، أثبت الأقوال الثلاثة و عزوتها كعزوه و كذلك قواعده هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء، و قد شاهدوا الكنائس فيها و هم ممن يمثل قولهم في الأحيان، و لم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروه...

و خالفي المغيلي و قال إن هدمها واجب، و قال: لا يعلم فيها خلافاً و قال لا يفني بتقريرها إلا دجال. و كان هذا الجواب رؤوس الأشهاد يدعي الإجماع و يقول لمن يدعوه إلى هدمها تدم و إن أدى إلى قطع الرؤوس، و من مات ممن يريد هدمها فهو من أهل الجنة... و اعلم سيدي أن الفحيجي و صف في سؤاله أهل الذمة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد، و نحن يا سيدي لا نعرفها، لاسيما يهود مدينة توات. و غاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائق لهم ما يوجب الزجر أو الآداب بل هم تفتنهم و زجرهم في غاية الذلة و الصغار... و اعلم ياسيدي أن يهود توات لهم دهم درب اختصوا به و ليس في خارجه إلا قليل منهم و كنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم. جوابكم و لكم الجر و السلام عليكم و الرحمة و البركة¹.

1- أحمد بن يحيى الوئرشسي، المعيار، مصدر سابق، ج2، ص ص 214 - 218.

✓ أجوبة النازلة:

الأولى: مراسلة الفقيه العلم محمد بن عبد الجليل التنسي (ت 899 هـ)¹:

وقد استهل النص بالحمد و الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه و سلم قائلاً:
 "فاعلموا نور الله بصائرکم من أتباع الهدى سرائرکم، أن الشريعة المحمدية نسخت كل ملة
 و شفت القلوب السقيمة من كل علة، إذ برزت شموسها ساطعة، و" بدت براهينها قاطعة
 و قام بحفظها العلماء الأعلام، مكلفين بحراستها على مرور الأيام، و اعتنوا ببيان حكم مسألة
 السؤال عصراً فعصراً، من زمن الصحابة إلى هلم جراً، و سنورد عليكم من كلامهم ما لا يبقى
 خير المرسلين و آثار و ردت على وفقها عن الصحابة و التابعين، اعتمد عليها قديماً و حديث أن
 رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "اهدموا الصوامع و اهدموا البيع" و روى عن عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه أنه صلى الله عليه و سلم قال لا تُحَدِّث كَنِيْسَةَ فِي الْإِسْلَامِ وَ لَا يَجِدُّ مَا
 هَدَمَ مِنْهَا، و روى ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه و سلم قال: ... في الإسلام و لا
 بِنِْيَانِ كَنِيْسَةٍ. ذكر هذه الأحاديث ابن حبان في كتابه الذي ألفه في شروط أهل الذمة و أبو عبيد
 القاسم ابن سلام في كتاب الأموال، و كل من هذين الإمامين في طبقة أئمة الحديث الخمسة
 المشهورين... و روى ابن الحبيب عن ابن الماجشون قال: سمعت مالكا يقول قال رسول الله صلى
 الله عليه و سلم: لا تُرْفَعُ فِيكُمْ يَهُودِيَّةٌ وَ لَا نَصْرَانِيَّةٌ، و قال يعني الكنائس و البيع..."

1- أبو عبد الله، التنسي، ملوك بني زيان مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان بيان شرف بني زيان، تح و تم: محمود
 آغاوي عياد، ط2 بدعم من وزارة الثقافة - دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص ص 33، - 34 ينظر أيضا: أحمد
 الونشريسي، مصدر سابق، ج2، ص ص 135- 136.

الثانية: مراسلة الشيخ محمد بن يوسف السنوسي¹:

إن رسالة الشيخ السنوسي هي جواب عن المسئلة الفقهية التي وصلتته من الشيخ العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي و هذا بعضا من نصها:

"الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين و من ملته الشريعة السمحة الباقية ظاهرة على جميع الملل إلى يوم الدين، من عبيد الله تعالى محمد بن يوسف السنوسي غفر الله تعالى له و لوالديه بلا محنة، إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتساع بالذكورة العلمية و الغيرة الإسلامية و عمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله تعالى حياته و بارك في دينه و دنياه، و ختم لنا و له و لسائر المسلمين بالسعادة و المغفرة بلا محنة يوم نلقاه.

بعد السلام عليكم و الرحمة و البركة، فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية و الشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذلم الله تعالى و أخذ كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين، و أنكم حضرتهم أهل تمنطيت على هدم الكنائس التي لليهود ببلادهم، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء، فبعثهم لأجل ذلك إلى بلدنا أسئلة مكتوبات، تستنهضون بما همم أهل العلم لينظروا في المسئلة نظر أهل العدل و الإنصاف، و يبينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل تخليط و تشغيب يرد أهل الهوى و الانحراف ... "

رسالة فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب:

رسالة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في المنطق و هي أحد أهم مؤلفاته، بحيث يعتبر الشيخ رائد من رواد نشر علم المنطق و الدفاع عن أحقيته في جعله علم من العلوم، محاولا توضيح

1- نص رسالة الشيخ السنوسي، حيث يواصل في الدليل على هدم كنائس اليهود قائلا، و اعلم يا أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد و بذل وسعه في تحقيق الحق و يشفي غليل أهل الإيمان في هذه المسئلة و لم يلتفت لأجل قوة إيمانه و نصوع إيقانه إلى ما يثير به الوهم الشيطاني من مدهامة بعض من تنقي شوكته، و يخشى أن يقع على إصرار أو حط في المنزلة...» ينظر: أحمد الونشريسي، المعيار، مصدر سابق، ص 152، 153.

الاعتماد عليه في مسائل الشريعة، إذ هو يساعد على تيسير فهم دون تعقيد مقلداً بذلك ابن سينا و ابن رشد¹.

شرح الشيخ القضايا المنطقية التي تناولها الفلاسفة في كتبه كأرسطو و سقراط. وهذا الشأن جعل المغيلي يأخذ زمام سبق و علو الكعب وسط معاصريه، قد جمع المغيلي مفهومين في سياق واحد و هو أن المنطق علم و آلة في وقت واحد، به يفتق العقل و يمنع الفكر من الخطأ قائلاً " و الحقيقة أنه علم بالنظر لنفسه، آلة بالنظر إلى غيره، فعلى الأول قالوا المنطق علم يتعلم فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمو مستحصلة فيه، و على الثاني قالوا المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"²، وقد وصف أسلوب المغيلي بالسهل الممتنع لا هو مطول ممل و لا مختصر مقل.

✓ مراسلة الإسترقاق بين سعيد بن إبراهيم جوراري وأحمد بابا التنبكتي³.

في القرن الحادي عشر وقعت مساءلة فقهية بين العالمين "سعيد بن إبراهيم الجوارري⁴ من توات و أحمد بابا ابن مهر آل أقيت من تنبكتو. و تمثلت تلك المسألة في استفتاء من الشيخ "سعيد بن إبراهيم" حول الاستراق في الغرب الإسلامي عامة و في... على وجه الخصوص و قد سبق في هذا النوع من المساءلات في أواخر القرن التاسع هجري أي بداية القرن السادس عشر ميلادي تصدرها كل من الشيخين الجليلين عبد الكريم المغيلي و جلال الدين السيوطي حول أسئلة

1- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 141.

2- محمد بن عبد الكريم المغيلي، فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط موجود بجزارة أحفاد الشيخ المغيلي ورقة 01.

3- ذكر أحمد بابا التنبكتي تاريخ هذه النازلة بالضبط حين جوابه عن المسألة، و هي العاشر من محرم فاتح الرابع و العشرين بعد الألف (1024 هـ). ينظر: أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود، الوجه الأخير من المخطوط منقول من اللوحة رقم 05 معهد الدراسات الفقهية، الرباط.

4- في هذا المخطوط المحقق من قبل فاطمة الحراف هي الوحيدة التي عثرت على نسخة تحمل اسم المستفتي سعيد بن إبراهيم القراري التواتي، بينما المؤرخون جلهم يلمحون أن المستفتي هو سعيد بن قدورة الجزائري و قد بعث السؤال مع تلميذه التواتي عبد الكريم بن أحمد التمنطيطي(ت 1042). لكن لم أجد ترجمة لهذا العالم التواتي.

السلطان السداني محمد بن أسكيا¹ ثم تلت ذلك أجوبة العالم الشيخ أحمد بابا التنبكتي (ت 1627م) سماها: "معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود " أو "الكشف و البيان لأصناف مجلوب السودان"²

تمت المسألة من قبل الشيخ سعيد بن إبراهيم القوراري التواتي عن مسألة استرقاق عبيد السودان على أجه مختلفة و كان ذلك قبل سنة 1023 هـ ، بحيث أن أحمد بابا يقول في بداية جوابه أنه تأخر بثلاث سنوات على الرد و ذلك لعائق الزمن و لم يفصح أي نوع من العوائق.³

سأل إبراهيم الحراري الفقيه أحمد بابا فيما يلي:

- 1- ما حكم العبيد المجلوبين من بلاد تحقق إسلامهم و هل يسوغ تملكهم و التصرف فيهم؟
 2. هل أرضهم استفتحت عنوة أو صلحا؟ و في أي زمان دخلوا الإسلام؟
 3. نعم الشرع في العبيد المجهول أمره.
 4. ما حكم بعض الأحاديث النبوية حول نوح عليه السلام و أمره مع ولده حام؟
 5. هل الحكم فيما يجلب من الحشية كالحكم فيما يجلب من السودان؟
- و هذا نص بعض من السؤال:⁴

" الحمد لله. و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله: إلى الفقهاء الأجلة الأعيان و مصايح إقليم السودان ممن له في المسألة التبصرة و البيان و خصوصا الفقيه المجيد الحافظ أبي العباس سيدي احمد بابا، أبقاه الله عدة للدين و عمدة المستفيدين.

- 1- أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود - أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تح و تر: فاطمة الحراف و جون هانويك، ط1، منشور معهد الدراسات الإفريقية مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، 2000 ، ص13
- 2- وقع هذين الاسمين بخط يد أحمد بابا التنبكتي و هو يحتم جوابه عن استفتاء السيد سعيد بن إبراهيم القوراري التواتي ينظر: أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود، المصدر نفسه، ص70
- 3- نفسه، ص51
- 4 التنبكتي، المعراج، مصدر سابق، ص ص43-44.

بعد السلام عليكم و رحمة الله و بركاته، ما تقولون أيكم الله و نور بصائرکم في العبيد
المجلوبين من البلاد التي تقرر إسلام أهلها لبلا، برنو، عفتو، وكنو، و جوغو و أكشن و نحوها ممن
استفاض عندنا إسلامه، هل يسوغ تملكهم و التصرف فيهم بالبيع و الابتیاع أم لا؟
فإن قلتم باستباحة ذلك فاكشفوا لنا عن وجه الدليل و لكم الأجر من الملك الجليل.
فإن المعلوم شرعا أن السبب في استباحة الملك إنما هو الكفر فمن اشترى كافرا صاغ تملكه
و إلا فلا طرؤ الإسلام بعد حصول الشرط المذكور غير قادم في استمرار الملك. هل هذه البلاد
التي ذكرنا و أمثالها من مسلمي السودان حصل الاستيلاء عليهم بالرق حال الكفر و لإسلامهم
طارئ عنه فلا ضير أم لا؟ فقد أخبر بعض قضاة السودان الإمام الذي استفتحهم و هم كفار
اختار إبقاءهم أرقاء إذ هو مخير أو تلا في الأوجه الخمسة المعلومة و أنهم الآن باقون على الرق
و مهما احتاج السلطان إليهم استجلب منهم ما شاء، فهل هذا صحيح أم لا ؟
و كيف ذلك في برنو فإنها دار سلطتهم و الإتيان بهم إلينا كثير، فهل هم أرقاء أيضا أم لا؟
و الفرق بين حاضرهم و باديتهم.

فاكشفوا لنا عن حقائق هذه البلاد فإنكم أقعد بهم و أعرف منا بحالهم و لكم من الله
وافر الأجر، و هل أرضهم استفتحت عنوة أو صلحا أم ماذا، و في أي زمان دخلهم الإسلام هل
في زمن الصحابة أم بعدهم؟ اشرحوا لنا ذلك بما ثبت عندكم فيهم؟ بنقل متواتر و استفاضة أو
تاريخ يعتمد عليه لنكون على بصيرة في حكم تملكهم...¹
و الرسالة طويلة يستطرد فيها السائل و مسائل خاصة بالسودان و يذكر أحاديث
و يستدل أئمة كبار كالطبراني و جلال الدين السيوطي.²

1- أحمد بابا التنبكتي، المعراج، مصدر سابق، ص44.

2- أحمد بابا، التنبكتي، المعراج، المصدر السابق، ص47.

ثم يختم السؤال بالصلاة و السلام على نبينا المختار و يجدد السلام و يؤكد اهتمامه بانتظار بالإجابة و يناشد من وصل إليه السؤال أن يسرع في إيصالها إلى الإمام أحمد بابا ثم يسمي نفسه قائلاً: "... مستطرداً من مولاه القريب المحيب، سعيد بن إبراهيم الجوراري..."¹

و يرد عليه القاضي الإمام أحمد بابا السوداني برسالة تؤكد على اهتمام الشيخ بالاستفتاء و يشرح بالتفصيل المسائل المطروحة و يضيف عليها إضافات. و عموماً فإن الباحثة المغربية فاطمة الحراف صاحبة تحقيق المخطوط تشرح أكثر ما... نحن من فهم خط المخطوط الأصلي. فتقول إذ تؤكد أن العالم أحمد السوداني قد أجاب هذه المسئلة بجواب سماء معراج الصعود و قد كان فيه تفصيلاً تارة و اختصاراً تارة أخرى قد لخص ما جاء في إجابة في سبعة محاور:

1- موقف الفقه المالكي من الاسترقاء و جلب عبيد السودان

2. حكم الشرع من الرقيق المجهول الهوية

3. ما صحة القول القاضي بدعاء سيدنا نوح لولده حام

4. سيرة النبي صلى الله عليه وسلم و صحابته في تعاملهم مع عبيد الحبشة

5. ضوابط الاسترقاق الأخلاقية و الإنسانية

6. استرقاق العرب

7. وضعية المولودين

ثم يؤكد على عدم جواز تملك المسلم أو الرقيق و عدم الاسترقاق ذمي و لا معاهد.²

يضيف أن أحمد تنبكتي يقول أن الأصل في الإنسان الحرية و الرق حالة طارئة و امتحان

له، و قد تجلّى استحكام التنبكتي في الجواد و اقحام مجال التاريخ و الجغرافيا البشرية لرسم خريطة

سكانية و دينية لبلاد السودان.³

1- نفسه، ص 48

2- نفسه، ص 21

3- أحمد بابا، التنبكتي، المعراج، المصدر السابق، ص 23

وهذا جزء من إجابة الإمام أحمد بابا¹:

" الحمد لله رب العالمين.

و صلاته و سلامه على سيد المرسلين.

و بعد فيقول فقير ربه أحمد بابا بن الحاج أحمد ألهمه الله تعالى رشده و وفقه لما يرضيه و يقربه لديه زلفى، بعد لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، قدم إلي سؤال منذ ثلاث سنين أو أزيد من بلاد توات، صانها الله من ضروب الآفات الجلة و من نقص الثمرات، طالعة بعد الحمد له و التوصية إلى الفقهاء الجلة الأعيان و مصابيح إقليم السودان ممن له في المسألة التبصرة و البيان... أقول، كنت نويت الكتب عليه حينئذ ثم عاق عنه عائق القدرة حتى صار في جانب النسيان، ثم ورد الآن في أواخر هذه السنة و هي الثالث و العشرين و الألف، استدعاء الجواب عنه، فا علم أيها السيد أني و الله لست فقيها و لا مجيدا، و لا أستحق هذه التسمية لا حقيقة و لا مجازا، هذه حقيقتي و وصف ذاتي:

لعمري أياك ما نُسب المغلي إلى كرم و في الدنيا كريم
و لكن البلاد إذا اقشعرت و صوّخ نبتها رعي الهشيم

ثم يضيف و يقول:²

و قولكم: ما تقولون في العبيد المجلوبين من البلاد التي تقرر إسلام أهلها كبلا بونو و كئو و كاغو و كئش و نحوها ممن استفاض إسلامهم... فاعلم و فقنا الله تعالى و إياكم، أن هذه البلاد كما قلتهم أهلها مسلمون إلا عَفَنُو فلا أعرف أين هي و لا سمعت بها. لكن بقرب كل منها بلاد فيها كفره يغير أهل تلك البلاد المسلمون عليهم تحت ذمتهم يؤدون خراجا على ما بلغناكم هو مشهور و قولكم: فهل هذه البلاد المذكورة من مسلمي السودان... فجاوبه أنهم

1- نفسه، ص ص 51، 52

2- نفسه، ص 53.

أسلموا بلا استيلاء أهد عليهم، كأهل كَنُو و كَشِين و بَرْنُو و سُغْيَ، ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل إسلامهم و منهم من قدماء في الإسلام، كأهل بَرْنُو و سُغْيَ...

ثم يقول في الختام: و ليكن هذا حزما تسير من معراج الصعود إلى نيل حكم مجلب السود، و إن شئت فسمه الكشف و البيان لأصناف مجلوب السودان، ختم الله لنا و لكم بالإيمان و جعلنا و إياكم من أهل الإحسان... و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و سلم على جميع من تبعه بإحسان إلى يوم الدين... بتاريخ يوم الاثنين عاشر محرم فاتح الرابع و العشرين بعد الألف على يد جامعه أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ألهمه الله رشد¹.

مناظرة الشيخ المغيلي مع الشيخ السيوطي² في المنطق:

هي مناظرة علمية عليا المستوى بين هرمين من الأعلام عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ) من مصر، فحواها حول تحريم و جواز.

في هذه المناظرة هناك جدل بين المترجمين و المؤرخين المتقدمين و المتأخرين في كونهما التقيا في إمارة كَنُو³ إحدى أو في مملكة سنغاي في عهد ملوك الأسقيا، و في كونهما لم يلتقيا و إنما المناظرة كانت مكاتبات أو مراسلات، فها هو ابن مريم بستانه يذكر المناظرة بقوله: "... وقع بينه

1- أحمد بابا، التنبكي، ص 70 وهناك نسخ من هذا المخطوط موجود في خزائن إقليم توات كخزانة كوسام و الخزانة البكرية... الخ

2- السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الحضيري جلال الدين السيوطي ولد سنة 849 هـ و هو إمام حافظ ومؤرخ و أديب، نشأ في القاهرة و ألف الكتب منها الأشباه و النظائر، بغية الوعاة، توفي سنة 911 هـ. ينظر: الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين، ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص150، ينظر أيضا: محمد حسين بن عقيل موسى، المختار المصون من أعلام القرون، من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1995، ص222.

3- إمارة كَنُو: إمارة بشمال نيجيريا، كانت أهم المدن في المملكة كاتم بَرْنُو، ثم أصبحت إمارة يحكمها سلطان " رمفا " محمد بن يعقوب الذي حكم الإمارة (867 هـ / 1463 - 904 هـ / 1499 م)، ينظر: أحمد مرتضوي، الإمام المغيلي و إسهامه في بناء الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا، بحث مقدم في الملتقى الدولي الثالث حول الفاتح عقبة بن نافع - رضي الله عنه - الحواضر العلمية الجزائرية و إفريقيا - ما بين 08 - 10 مارس 2014م - بسكرة، ص 13.

و بين جلال الدين السيوطي نزاع في علم المنطق فمما كتب للسيوطي¹ ... و يذكر قول المغيلي في منظومته.

ثم يذكر أحمد بابا التنبكتي ذلك الاختلاف في قوله: " و وقع له مراسلة مع جلال الدين السيوطي في علم المنطق فمما كتب له...² "

و منهم من يؤيد رأي أن المناظرة تمت بينهما في مدينة كاشنة " و المهم في ذكر محتوى المناظرة هو التأكيد على قدرة علماء الإسلام في الفترة الوسيطة على التحكم في فن المناظرات و كفاءتهم في معظم العلوم، كما تتوفر عندهم سماحة الاختلاف.

و في أثناء وجوده في إمارة كاشنة أو تكده أو في تنبكتو، حسب بعض المؤرخين³. المهم أثناء وجوده في السودان الغربي و الأوسط - التقى أو كتب الشيخ المغيلي بنظيره جلال الدين السيوطي، منظوم شعري يتكلم فيه عن علم المنطق و يستغرب فيه عن حكم السيوطي فيه بالتحريم، و على هذا الضرب بدأت المناظرة بينهما⁴.

يقول المغيلي:

سمعت بأمر ما سمعت بمثلـــــــــــــــــه	و كل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة	و ينهي عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعنى إلا عبــــــــــــــــارة	عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى	دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أرني هداك الله منه قضيــــــــــــــــة	على غير هذا تنفها عن محله

1- ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 256 .

2- نفسه، ص 257.

3- خير الدين شتره، محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني، مرجع سابق، ج2، ص 460.

4- ينظر أيضا: تقييد عن تاريخ الشيخ عبد الكريم المغيلي و شجرته مخطوط بجزارة كوسام. أدرار، مصادر سابق ص 14، 15 ينظر أيضا: هارون المهدي ميغا، جهاد العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية العربية، غرب إفريقيا نموذجا - قراءات إفريقيا، مجلة الثقافة، ع: 03، المنتدى الإسلامي 2008، ص 105.

و دع عنك ما أبدى كفور و ذمه
 خذ الحق حتى من كفور و لاتقم
 عرفناه بالحق لا العكس فاستبين
 لأن صح عنهم ما ذكرت فكم هم
 رجال و إن أثبت صحة نقله
 دلایلا على شخص بمذهب مثله
 به لا بهم إذ هم هداه لأجله
 و كم عالم بالشرع باح بفضلته
 فأجابه جلال الدين السيوطي:

حمدت إله العرش شكرا لفضله
 عجبت لنظم ما سمعت لمثله
 تعجب مني حين ألفت مبدعا
 أفرز فيه النهي عن علم منطوق
 و سماه بالفرقان بالبيت لم يقل
 و قد قال محتجا بغير رواية
 و دع عنك ما أبدى كفور و بعد ذا
 و إحدی صلاة للنبي و أهله
 و أتاني عن حبر أقر بنبله
 كتابا جموعا فيه جم بنقله
 و ما قاله من قال من ذم شكله
 فذا وصف قرآن كريم لفضله
 مقالا عجيبا نابا عن محله
 خذ الحق حتى من كفور دخلته
 و قد جاءت الآثار في ذمي من حوى ذلك العلم (المنطق)

يجوز به علما لديه رأسه يعذب تعذيبا يليق بفعله¹.

و إن المتمعن في سير و مسعى القصيدة المرسله من قبل المغيلي ثم تتبع ما جاء به العالم
 جلال الدين السيوطي يمكن له استقراء ما يلي:

ها هو المغيلي يتعجب و يبدي استغرابه من تحريم السيوطي لعلم المنطق و هو حجة العلوم
 و يناشده بإبداء الحجة في وجه التحريم، مؤكدا ما لهذا العلم من نفع في كشف المحجوب من

1- نقلا عن ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص ص257،256. كما ذكر هذا الشعر أحمد بابا التنبكتي، ص 576.

الحقائق و تقصي الدلائل، مؤكداً أنه علما يرفع مستوى التفكير الذي يصرفه عن الخطأ مناقداً لنظيره أن يأخذ العلم و لو من كفور¹.

و هذا رأي السيوطي الذي يرد على غريمه متأدبا في بيانه مبتدءاً للقصيدة بمدح صاحبه قائلاً و هو متعجباً من مقاله " أتاني بحجر أقر بنبله "، مشيراً إلى خبرة المغيلي العالية مقراً بنبل العالم الجليل. فكلاهما استعمالاً ألفاظاً واضحة تخدم المعنى و أسلوب واضح فاختار البحر الطويل لكل منهما حتى يجدا في التفعيلة فسحة للتعبير "فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن"، بقافية الألف الموصلة بالهاء، التي تنشأ من النطق بها إشباعاً بائياً فيكون له روي قافيتها المطلقة، كما تعتبر من حروف الحلق، ذلك حتى يصل المعنى المراد و هو مدى الاستغراب في تحريم علم المنطق مواصلاً ما جاء به الإمام ابن تيمية في تحريمه².

أما كاستنتاج آخر يخرج عن نطاق البحث فهو فكرة عدم تعصب العالم المغيلي ضد غير المسلمين و اعتماده علم المنطق مقراً بِنفعه مما يؤكد أن قضيته مع يهود توات لم تكن نازعة للعصية بقدر ما كانت درءاً للمفسدة و دفعاً لنصرة الإسلام.

3- أدب الرحلة و أثرها على الإقليم.

إن في تعريفنا لهذا الفن الأدبي العتيق يدفعا إلى فهم العلاقة بين الرحلة ووجود الإنسان بحيث يكتمل التعريف حينما نعرف أن العلاقة بينهما تتمثل في حكم الله في خلقه.

فلا يكتمل الإنسان خلقاً حتى يقضي رحلته الجنينية في مدة معينة، و لا يصل الإنسان إلى كمال عقله حتى يرتحل من الطفولة إلى كمال الرشد، و لا يستقيم حكم الإنسان على فصول الحياة حتى يقطع شوطاً من مراحل التعليم و التعلّم، و انظر إلى أمثلة القرآن الكريم من الخالق العليم الحكيم حين أمر سيدنا نوح عليه السلام بالرحلة في الفلك هرباً من الطوفان حاملاً من كل

1- عيسى أبي أبوبكر و عبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ الإمام المغيلي و آثاره العلمية في نيجيريا - دراسة فنية - مجلة رفوف، ع: 03، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول المخطوط - جامعة أدرار 03-04 ديسمبر 2013 ص ص 265، 266.

2- نفسه، 265.

جنس زوجين لتستمر الحياة، ثم تأمل في أمر الله عز وجل لسيدنا إبراهيم عليه السلام بالارتحال إلى شعاب مكة في أرض ليس فيها زرع ليجعلها للناس كافة، و تكون قبة للعالمين و تكون معقل هبوط آخر الديانات السماوية على النبي المصطفى عليه أزكى الصلاة و التسليم في رحلته التي بلغ فيها الرسالة و يكون هدى للعالمين.

علاوة على ارتباط الرحلة مع الإنسان فهي علم قائم بذاته يفتح الأفق على علم الجغرافيا فتتكشف الأمصار و تتعرق على جموع الناس قبائل و شعوب¹، مصدقا لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"².

فإن الرحلة تصورا للمشاهدات، تكتسب منها معارف تحول لك ثقافة رصينة³ يجسدها قول الشافعي.

ما في المقام لذي عقلٍ وذو أدبٍ	من راحةٍ فدع الأوطانَ واغترِبِ
سافرَ بجدٍ عوضاً عمَّن تُفارقُهُ	وانصبَ فإنَّ لذيدَ العيشِ في النَّصبِ
إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفسدُهُ	إن سآخَ طابَ وإن لم يجرِ لم يَطِبِ

✓ فن و أدب الرحلة.

فقد اعتمد الناس عموما و العلماء و الطلبة خصوصا لاكتساب العلم و الجلوس في حلقات العلماء و الاعتراف من فيض علومهم، ثم طلب الإجازة منهم في علوم الحديث و سائر علوم الدين⁴.

1- يحي ولد سيدي أحمد، أدب الرحلات: رحلة محمد يحي الولاتي، نموذجاً، ص 01 مقال على موقع الانترنت يوم 2014/01/01. www.elwalati.net

2- سورة الحجرات، الآية 13.

3- يحي ولد سيدي أحمد، المرجع السابق، ص ص 01-02. ينظر أيضا: مقال مجهول صاحبه، الأبعاد الجغرافية والسوسو اقتصادية للمغرب الإسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الأموي التيبلي إلى الحج (1188-1774م)، على الموقع التالي: <http://virtuelcampus.univ-msile.dz> ص 06.

4- نفسه، ص 03. ينظر أيضا: الشاهدي، أدب الرحلة في العصر المريني الظروف البواعث الأنواع، ط2، مطبعة دار القلم، الرباط، 1990 ص ص 57-58.

لقد خصص العلماء للرحلة مساحة كبيرة في حياتهم ملتزمين بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"¹، بل جعلوا منها صنفا من أصناف العلوم سميت أدب الرحلة تضاف إلى مصنفات العلوم الأدبية، إذا تقدم لصاحبها قيما مضافة في تكوينهم العلمي و الأخلاقي، بحيث أننا نستشف علاوة على المعارف الجغرافية و التاريخية و العلمية نظرات تأملية، فلسفية و أنثربولوجية تنقل تصورا دقيقا لمؤلفها كل حسب مشربه العلمي².

لقد فتح أدب الرحلة سبلا كثيرة نتعرف من خلالها أقطارا مختلفة واصفة خط سير صاحبها إذا تسجل وقائع السفر وصفا و تحقيقا³.

يذكر فيها صاحبها مواقف و معانينات مختلفة من أماكن و مزارات و رجال فنجد فيها من أسماء المدن و الجبال و الشعاب ذهابا و إيابا، يكابدون الصعاب.

و مهما كان الباعث الحقيقي للرحلة سواء حجية أو علمية فكلاهما يسعيان إلى مرمى واحد و هو ثواب العمل و جزاء الأجر، تكسب منها العلم، العلم بالله و الاضطبار على أداء الفريضة التي لا تتأتى إلا لمن استطاع إليه سبيلا، و سبل العالم العلم بحيث يفتح الله له به سبل الفهم و المعرفة، "فكان الحجاج يعودون و قد أدوا فرائضهم و نهلوا من العلم إجازات و كتباً"⁴.

1- حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم.

2- محمد جرادي، درس الفقهي في توات، مرجع سابق، ص 381. ينظر: محمد العبدري، الرحلة المغربية تح: محمد بوفلاحة، ط2، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص 12. ينظر أيضا: سعيد، بن سعيد العلوي، أوروبا في مرآة الرحالة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995 ص 201. ينظر أيضا: محمد إفرحاس، نادية صلاح محمد الصديق، رحلات المغاربة إلى المشرق و دورها في تعزيز ثقافة التواصل، منشورات الإمارات العربية المتحدة، د.ت. ص ص 13-14.

3- يحي ولد سيدي أحمد، نفسه، الصفحة نفسها.

4- الحسن الشاهدي، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص 59.

وفي نفس المحور -الرحلة- يفرّد ابن خلدون لها مجالاً في مقدمته قائلاً: "أن طلب العلم و لقاء المشايخ مزيد كمال في التعلم"¹. معللاً ذلك أن البشر عموماً يأخذون معارفهم و أخلاقهم و مشاربهم من المذاهب و الفضائل، إما قبل التعلم و التعليم أو تلقيناً على يد المشايخ مؤكداً أن التعليم في المشيخة أقوى رسوخاً كلما التقيت أهل العلوم و مباشرة الرجال².

✓ نماذج بعض الرحلات.

هذا و قد باشر التواتيون طلاباً و علماء الرحلة و اعتمدواها منهجاً لنيل فيض العلوم إما في رحلات داخلية بين مجالس الدروس من منطقة لأخرى و إما رحلات خارجية كان القصد منها البحث عن مشيخات علمية في دول الجوار من بلاد الغرب الإسلامي أو رحلات حجازية حجية لا يخلوا منها سبيل للتعلم³.

و من نماذج الرحلات في توات كثيرة خاصة تلك التي تسعى طلابها البحث عن حلقات علمية بلغ صيتها مشارق الأرض و مغاربها، بحيث أن الإقليم في كثير من المراحل عرف قصوراً في تلقين العلوم كما يقول الشيخ عمر الحاج عبد القادر التتلاي (ت 1153هـ/1739م) في رحلته الفهرسية⁴: "فقد كنت في حال صغرى شغوفاً بالعلم مولعاً بطلبه، مشتغلاً بقراءة الشيخ خليل و ألفية ابن مالك مقبلاً على ذلك، متشوقاً إلى شيخ يحل لي ألفاظها و يوقفني على معانيها...

1- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 591.

2- نفسه، ص ص 591-592.

3- محمد العبدري البلشي، الرحلة المغربية، تح، سعد بوفلاقة، ط2، منشورات بونة، الجزائر، 2007، ص 12. ينظر أيضاً: محمد إفرخاس، نادية صلاح محمد الصديق، رحلات المغاربة، مرجع سابق، ص 14.

4- هناك اختلاف في اسم مخطوط التتلاي بين ما هو فهرسة أو رحلة فهذا عرض لبعض الاختلاف المصور كما سيأتي: "أما عنوان المخطوط، فقد ذكر الباحثان الشيخ المؤلف الحسن الشاذلي على حاشية ظهر الورقة 10 ما يلي: لم يذكر في الفهرسة سنة وفاة أبي العباس أحمد بن مبارك، لأن موته تأخرت عن موت صاحب الفهرسة، و أتيت عبد الرحمن بن عمر ذلك بقوله: وله رحمه الله فهرسة ذكر فيها شيوخه و ما أخذه عنهم"، أما في غلاف المخطوط مكتب رحلة عمر بن عبد القادر التتلاي إلى سجلماسة...". ينظر عبد الكريم، طموز، مرجع سابق، ص 69.

فلم يتفق لي ذلك لكون البلد شاغرة من العلماء¹. لذلك شد رحاله إلى فاس سنة 1197هـ/1705م.

ومن الرحلات التواتية للقرن الحادي عشر و هي الفترة المتاحة لنا للدراسة العالم التواتي الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي جامع فصول العلم بين الحقيقة و الشريعة العالم التحرير الذي عند على إثراء معارفه اللغوية- النحوية باعتماده الرحلة قاصداً عالمها الجليل الشيخ سعيد بن قدورة، فلازمه حتى جعل منه متبحراً في علم النحو، فألف في هذا العلم التأليف الغزيرة منها: غاية الأمل في إعراب الجمل الذي اعتبر شرحاً للامية ابن المجراد².

و المهتم في ذكر العالم التواتي عبد الكريم ابن أحمد (ت 1042 هـ) و ارتحاله إلى لقاء عالمه سعيد بن إبراهيم هو أنه تأثر بشيخه في مبادئه، إذ يذكر في مصنفه الرحلة أن شيخه كثيراً ما كان يردد أبياتا شعرية يحفزه فيها على الارتحال في طلب العلم قائلاً:³

تنقل فلذة الفتى في التنقل و رد كل صاف لا ترد كل منهل
ففي الأرض أحباب و فيها منازل فلا تبكين من ذكر حبيب و منزل
وإن صد من تهوى فصد كصده ولا تبكين يوماً على مرتحل
ولا تلتفت قول امرئ القيس لأنه ضليل فمن ذا يقتدي بمضل

فلازم العالم التنقل إلى مصر و فاس و تونس و إلى بلاد الحجاز و له تأليف في ذلك منها "رحلته في طلب العلم" الذي يعتبر شاهد على مسيرته العلمية جاعلاً منه نقلاً لتراجم شيوخه الذي تلقى منهم مرتباً أبواب الكتاب على الحروف الهجاء، جامعاً فيه الخير الكثير وضارباً به سهم علم غزير، كما له مؤلف آخر يشتمل الرحلة سماه تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز، مصنف قيم إذ صور فيه سبيل إلى الحج معتمداً فيه على مقدمة يذكر فيها فضائل الحج و زيارة النبي صلى الله

1- عمر بن الحاج عبد القادر التلاني، الرحلة في طلب العلم، مخطوط في خزنة تتلان، أدرار، ص 01.

2- ينظر: عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 155. ينظر: عبد الكريم، طموز، تحقيق فهرس الشيوخ مرجع سابق، ص 43.

3- مخطوط، ترجمة وحيزة لعلماء الإقليم التواتي، مصدر سابق، ص 16. ينظر: الكبري، عبد الكريم، نفسه، ص 149.

عليه وسلم، ثم أبواب ثلاثة، الأول في آداب المسافر لهذا المقام و الباب الثاني في أفعال الحج و العمر و الباب الثالث في ذكر ما أمكن من المزارات إضافة إلى مؤلفات أخرى¹.

يواصل العالم التواتي ابن العالم عبد الكريم مجال طلب العلم في أصقاع الأرض و هو الشيخ البكري بن عبد الكريم (ت 1133هـ) و الذي ضرب سائر العلوم بسمه صائب، إذا استفاد الخير الكثير من اعتماده فقه الرحلة و آدابها فزار أقطار كثيرة كمدينة مراكش و فاس من أرض المغرب حائزا على الإجازات و البركات². ثم تنقل إلى مدينة الجزائر قصدا علمها سعيد بن إبراهيم شيخه و شيخ أبيه، ليلازمه حتى وفاته عام 1076 هـ ومنها توجه إلى تونس ثم منها إلى مصر ليلتقي بعلمائها منهم الشيخ "أبو عبد الله محمد الخرشى مفتي ديار المالكية في ذلك الوقت"³.

قصد بيت المقدس و البيت الحرام مؤديا للحج ثم عاد إلى مسقط رأسه و تولى القضاء بها سنة 192 هـ، وقد تعلم على يده حل كثير منهم الشيخ ناجم و الشيخ محمد الإدواعلي و غيرهم كثير. توفي سنة 1133 هـ عن عمر يناهز 93 سنة كلها أداها في طاعة الله و تقواه حيث تملكه العلم حتى مات يقرأ⁴.

✓ دور الرحلة في نهضة الإقليم.

إن دور الرحلة في النهضة العلمية بالإقليم يتجلى في انتشار هذا الضرب من الفن فاصطلح عليه بأدب الرحلة في أوساط طلبة العلم و خاصته امتثالا لقوله صلى الله عليه و سلم: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"، فإضافة كون أن هذا الفن

1- عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 155-156.

2- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، مصدر سابق، ص 29.

3- الإمام الخرشى: هو احد كبار علماء المذهب في مصر من شراح المختصر (1010-1690) إمام جامع الأزهر ولد في القاهرة و دفن فيها، تلقى علومه على كبار العلماء كالشيخ الأجهوري، ياسين الشامي، توفي سنة 1101 هـ /1690م، لم تبلغ شهرته العالم آنذاك حتى كبر سنه. ينظر: الزركلي، الإعلام، مصدر سابق، ج6، ص 240-241.

4- عبد الحميد، البكري، النبذة، مصدر سابق، ص 174.

و هذا الأدب يصبان في باب العلم و التعليم لصاحب الرحلة فهو أيضا مجالا حيويا واسعا في التعريف بالإقليم التواتي عامة حيث أن هذا المصير من أمصار العالم الإسلامي القاضي بين قفار و مفازات الصحاري يولد مثل هؤلاء الرحالة الأفذاذ على شاكلة آل البكري، آل التلاني و غيرهم الكثير¹.

كيف لا والرحلة مرتبطة مع المسلم عامة ارتبط العروق بالدم، وأن المسلم سواء كان عالما أم غير ذلك يجبل على شد الرحلة إلى بيت الله الحرام مؤديا للفريضة الخامسة في الإسلام فما بال الحاج المرتحل إذ كان طالب علم أو صاحب علم، لذلك فيمكن أن نبرز دور الرحلة في النقاط التالية:

- 1- التعريف بالإقليم على مناح كثيرة علمية اجتماعية اقتصادية و سياسية.
- 2- أدب الرحلة يوطد العلاقات بين الأطراف المشكلة لمعادلة الرحلة حيث ينقل المشهد الثقافي من البلاد المقصودة إلى خارجها.
- 3- صاحب الرحلة العلمية يكتسب علما جديدا يمكنه من إكمال رحلة التعليم بعد الجلوس على يد المشايخ الكبار فيفتح الأفق العلمية الواسعة في جميع المذاهب و الفضائل².
- 4- إضافة إلى اكتساب العلوم و إدخالها إلى الإقليم و تدعيم طرق التعليم و مناهجه فيولد تلاقح ثقافي بين أطراف الرحلة و الإقليم التواتي و تحقيق المادة المصدرية للعلماء في شتى العلوم شرعية، لغة، جغرافيا، علوم الدقيقة و غيرها³.
- 5- فإن تدوين الرحلة من أهم الفنون الأدبية حيث تبرز شخصية الرحالة العلمية من معارف علمية و ثقافية و تقاليد و أعراف.

1- مجهول، الأبعاد السوسيو اقتصادية للمغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص 40-41.

2- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 591.

3- يحي ولد سيدي أحمد، أدب الرحلات، مرجع سابق، ص 03.

6- تطوير حركة التأليف في جميع أنواع العلوم في الفقه و التفسير في الشعر، في النوازل من بين المخطوطات ملأت الخزائن مثل: الطرائق و التلائد في مناقب الوالدة و الوالد تتضمن رحلة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مع تلميذه سيد اعمر الشيخ الكنتي، التحفة الجتاز إلى معالم أرض الحجاز للشيخ عبد الكريم البكري التمنطي¹.

أصبح للعلماء التواتين سمعة عالمية إن صح التعبير من خلال ما خلقوه من أدب الرحلات كمؤلفات أو في كتب الرحلات و التراجم بحيث أفراد العالم المؤرخ من احمد بابا التمبكتي في نيل الابتهاج أو كفاية المحتاج مساحة للعلماء توات كما صنف فتح الشكور في معرفة أعيان و علماء التكرور عدد كبير من علماء توات².

تظهر المساهمات العلمية و النشاطات الفكرية لأعلام البيوتات التواتية و مدى تأثرها على سائر المنطقة ودول الجوار الإسلامي، حيث هذا تمثل ذلك النشاط في ثلاث وقفات لمعالجة مثل هذا المحور.

أما الوقفة الأولى فكانت مع حركة التأليف و مسارها عند علماء و كيف انتقلت من التقليد و النقل إلى المحاكاة ليصلوا بعدها إلى الإنتاج و التأليف في شتى المجالات- الفقه والحديث التفسير و التوحيد، العقيدة و أصولها، اللغة و فنونها، نحو، صرف، وبيان- لأن علوم الدين لا يتسنى فهمها دون احتكام على آلة اللغة العربية كونها لسان حال الكتاب و السنة، ثم انتقينا بعض الأمثلة من الشعر و النثر من الترسل و التوسل، في الخطابة و الوصايا...

و في التأليف في الفقه أو ما اصطلح عليه بفقه النوازل، منها نازلة اليهود في توات التي بلغت شأوا كبيرا في ساحة المناقشات الفقهية، فحاولنا استقراء أبعادها بعرض أهم محاور الفتوى

1- عبد الله، عماري، محمد بن أب المزمرى، مرجع سابق، ص 16.

2- عبد الله، عباس، التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الحقيقة ع: 34، جامعة أدرار، 2018، ص ص 99-100. و ينظر أيضا: عبد الله مقلاتي، رحابلي حياة، دور إقليم توات في التواصل الحضاري مع منطقة السودان الغربي، ص ص 07-08.

بين الفقهاء منها رسالة المغيلي ورسالة العصنوني طرفي النزاع ، في خضم هذا التفاعل بلغ النقاش أوج بين هؤلاء العلماء في التأليف من خلال المناظرات و المراسلات بالأمثلة و البراهين.

أما المحور الثاني فهو أدب الرحلة و أثرها على العلماء و الطلاب في الإقليم و في سائر بلاد المسلمين الذين دأبوا و حرصوا على ضرورة اعتماد الرحلة كأداة للتحصيل العلمي حتى و إن اختلفت بواعثها سواء كانت رحلة حجية أو رحلة تجارية يبقى التحصيل العلمي كأهم باعث فيها.

الفصل الرابع:

الدور الحضاري لأعلام البيوتات العلمية داخل و خارج الإقليم

- 1- دور علماء توات في القضاء.
 - 2- دور أعلام البيوتات العلمية في التعليم:
 - 3- اعتماد أعلام توات على التجارة.
 - 4- جهود أعلام البيوتات العلمية في النشاط الدعوي
و الإصلاح في السودان الغرب و الأوسط.
- 1- بلاد السودان الغربي الأوسط في ق 10 هـ 16
م.
- 2- جهود الإمام المغيلي الدعوية في كانو.
 - 3- جهود الإمام المغيلي الدعوية في سنغاي.
 - 4- جهود أعلام قبيلة كنتة ونشاطهم الدعوي.

1- دور علماء توات في القضاء:

إن ما عرفه إقليم توات من تطورات و تغيرات على عدة مستويات خاصة الحراك العلمي و الازدهار الفكري الذي سايره التطور الاقتصادي و واكبه النشاط الاجتماعي أدى بالإقليم إلى الانفتاح على مجالات كثيرة منها النشاط التجاري يعيد ترتيب كل تلك المتغيرات في إطار قانوني شرعي يربط و يضبط صيرورة الحياة العامة في الإقليم و لن يكون ذلك متوفراً إلا بانتصاب خطة القضاء التي ترسم سبل التعايش و تضمن حقوق سكانها و مواطنيها.

فقد كان الأمر في البداية يؤول إلى كبار القوم و أهل الجماعة خاصة بعد تشكل الزوايا التي يحض مؤسسوها بوافر الاحترام و التقدير. و رغم ما عرفته المنطقة من تيارات سياسية و فترات من اللا أمن أو ما يسمى بالفترات "السائبة" أنها كانت دائماً تحض بلجوء العلماء و الفقهاء الثقة الذين عملوا على سد الفراغ السياسي السلطوي باعتمادهم وظيفة القضاء و الفتوى.

ماذا نعني بالقضاء؟ و كيف يولى القاضي؟

- من هم أهم العائلات التي انتصبت للقضاء؟

- و ما هي أهم مراكز القضاء؟

❖ مفهوم القضاء:

لا شيء يمكن الاعتماد عليه في التعريف بالقضاء أبلغ من القرآن الكريم، حيث يذكر الله عز وجل هذه العبارة في مواطن عديدة، كلها تقريبا لها مدلول واحد يعني انقطاع الشيء و تمامه مصداقاً لقوله تعالى: " إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"¹، و قوله تعال في موضع آخر " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...."²، و كلتا الآيتين تحمل مفهوم أمر الله القاضي بعبادة الله و البرّ بالوالدين فالقضاء يعني إبرام الشيء الفارغ منه أو إتمام الشيء و إمضاؤه، أو

1- سورة البقرة، الآية 117.

2- سورة الإسراء، الآية 23.

الحكم بين المتخاصمين أو الفصل بينهما: "كأن تقضي الدين أو لتقضي فريضة الحج أو قضاء الصلاة أو قضاء الصوم... و قد سمي قاضي من يتولى خطة القضاء فيذكر منظور أن القضاء هو الحكم و أصله قضاي لأنه من قضين، إلا أن الياء جاءت بعد الألف و الجمع أفضية و القضية مثله... و كل ما أحكم عمله أو تم أو ختم أو أدى أداء أو واجب أو أعلم أو نفذ أو مضى فقد قضى"¹.

و قد قدم الكثير من العلماء مفاهيم عدة للقضاء على الصعيدين الشرعي و اللغوي و منه ما عرفه أبو بكر بن طلحة الغرناطي (ت 598 هـ) قائلاً ما يلي: "القضاء معناه الدخول بين الخالق و الخلق ليؤدي فيهم أوامره و أحكامه بواسطة الكتاب و السنة"²، و عرفه شهاب الدين القرافي: "هو إنشاء إطلاق، أو إلزام في مسائل الاجتهاد المتقارب فيما يقع فيه النزاع من مصالح الدنيا"³. "و هو حكم حاكم أو محكم بأمر ثبت عنده كدين و حبس و قتل و جرح و ضرب و سب و ترك صلاة و نحوها... ليرتب على ما ثبت عنده مقتضاه أو حكمه بذلك المقتضى"⁴.

وفي شرعية القضاء يثبت الخالق البارئ هذه الشرعية في العديد من المواطن في القرآن الكريم مثل قوله عز و جل "وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ"⁵. أما في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد جاء

1- عبد الرحمن بعثمان، القضاء، مرجع سابق، ص ص 90-91.

2- ينظر: ابن فرحون، تبصيرة الحكام، ج 1، مطبعة محمد مصطفى و أحمد الحلبي، مصر، 1302 هجري، ص 08.

3- شهاب الدين القرافي، الإحكام في تميز الفتوى من الأحكام، تح: عبد الفتاح أبي غدة، ط 2، مطبعة دار البشائر الإسلامية و مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1416هـ-1995م، ص 33.

4- القطب الدردير، شرح الصغير مع شرحه بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ أحمد بن محمد الساوي، ج 2، دار المعرفة للطباعة و النشر، لبنان، 1398 هـ- 1978 م، ص 329.

5- سورة المائدة، الآية 49.

فيها قوله: روى عمر ابن العاص رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ"¹.

❖ تولية القضاء في الإقليم من ق 6 - ق 10 هـ:

لقد أجمع المسلمون على مشروعية تولية حِطَّة القضاء لأجل الحكم بين الناس فيما وقع بينهما، ليختص لكل ذي حق حقه، وفي ذلك قال البرزلي: "قال اللخمي و غيره: إقامة حكم للناس واجب لما فيه من رفع الهرج و المظالم، فعلى الوالي على بلد النظر في أحكامهم إن كان أهلاً لذلك، فإن لم يكن أهلاً أو اشتغل عن ذلك وجب عليه أن يقيم لهم من هو أهل لذلك و إن لم يكن بالموضع وإل كان ذلك لذوي الرأي و الثقة"².

لذلك عمل العلماء على تصدر هذه المناصب في الإقليم، فقد كانوا قائمين بكل شؤونها لأن أهل المنطقة أوكلوا لهم القيادة و الريادة في اعتماد أسمى المناصب. و أما عن تولية صاحب المنصب -القاضي- فكثيراً ما كانت ترجع لأهل الجماعة في حالة استقلال الإقليم في سلطة نفسه، و أما في حالة التبعية فتجع مسألة التولية و التعيين إلى السلطان، مثلما ما حدث في بداية القرن الحادي عشر عندما ألحقها السلطان أحمد بن أبي محلي السجلماسي إلى الشيخ عبد الكريم بن محمد بن أبي محمد الأميني (ت 1042 هـ)، انطلاقاً لما علمه من كفاءة هذا الشيخ ووراثته للعلم كابراً عن كابر³.

1- رواه البخاري في الإعتصام، باب أجر الحاكم فأصاب أو أخطأ، رقم 6919.

2- البرزلي، جامع مسائل الحكام، تح: محمد الحبيب الهبلبة، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2002، ص 15. وقال الجزبي: "و هو فرض كفاية و يجب على الإمام أن ينصب للناس قاضياً و من أبي عن الولاية أجبره عليها". ينظر: ابن جزبي، القوانين الفقهية، تح: عبد الكريم الفضيلي، ط1، المكتبة العصرية، (د.م)، 1420 هـ - 2003م، ص 315.

3- عبد السلام الأسمر بلعالم، الحياة الفقهية، مرجع سابق، ص331

و يضيف فرج محمود أن أهل توات زادوا على من يتولى هذا المنصب السمعة الحسنة و السلوك الحميدة إلى جانب أن يكون عارفا بعبادات و تقاليد المجتمع و أن يكون على مذهب مالك¹.

و بما أن الإقليم عرف فترات من الاستقلالية التي يسميها المؤرخون بفترة "السيبة" أي غير خاضعة لسلطة رسمية - كان لزاما عليها أن تحتكم إلى الجماعة لاختيار و تولية القاضي فقد احتفظت توات بطابعها القبلي، في حين إذ اتبعت سلطة رجع الأمر للحكام، و في خضم هذا التدافع من الأحداث يمكننا رسم صورة تولية القضاء في توات عبر مراكز معينة كان لها السبق في التفوق الاقتصادي و الثقافي، أو أن غالبا ما كان القضاء حكرا على بيت علمي في المنطقة² و كما سبق الذكر فقد كان أمر الحل و الربط في يد أهل الجماعة، و هم رؤساء القبائل و شيوخ المقاطعات الذين تمتعوا بكامل الحرية و الصلاحية في تسير شؤون البلاد و العباد؛ فشكل أهل الجماعة مجلس داخلي سلطوي مطلق يقضي المخاصمات مستعينا بالفقهاء، ثم انتقل الأمر إلى أهل الدراية من العلماء في منصب القضاء بعد القرن السادس هجري، وذلك أن معظم المصادر لم تتكلم عن وجود قاضي قبل هذا القرن. حتى سنة 680 هـ / 1154 م العالم مولاي سليمان بن علي الذي ابنتى زاويته "بأولاد أوشن" و اخصص بالتعليم والفتوى³.

1- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 44.

2- خير الدين شترة، مرجع سابق، ج1، ص ص 136-137، عبد الحميد البكري، نفسه، ص333، ابن بابا حيدا مرجع سابق، ص12. ينظر: *éporter, la question du Touet au Sahara Algérien, Foutane*, 1891, P 23.

3- مفهوم الفتوى: يقول ابن رشد (ت 520 هـ) "الفتوى على الإطلاق محظورة و غير محظورة و التي هي غير محظورة إظهار الأحكام الشرعية بانتزاع من الكتاب و السنة و القياس". ينظر: ابن رشد، الفتاوى، نقد و تحقيق و جمع و تعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1707 هـ / 1987م، ص 1497. "الفتوى إظهار الحكم الشرعي و إخبارا به و بيان له في الواقعة من غير إلزام". ينظر: إبراهيم اللقاني، منار أهل الفتوى و قواعد الإفتاء بالأقوى، بتح: زياد محمد محمود حميدان، ط01، دار الأحباب، لبنان، 1412 هـ - 1992م، ص203، أما العالم مولاي سليمان بن علي فقد ترجمنا له في الفصل الأول من هذا البحث.

يعد الشيخ محمد بن عيسى البطيوي نزيل بتمنيط الذي تصدر هو الآخر للتعليم و الإفتاء فجعله الناس قاضي عليهم¹.

تولى القضاء بعد وفاة علمنا الشيخ ابن عيسى البطيوي (800هـ/1397) الشيخ علي بن عمر الفودادي، فأصبح قاضيا لما وجدوا فيه الصلاح و الوفاء، و مما استحدثه هذا القاضي اتخاذ دارا للقضاء بعد أن كان المسجد مركزا للإفتاء، كما دعم دراسة القضاء ببناء مكان خاص لتنفيذ الأحكام - الحبس².

ثم وصل إلى توات العالم الجليل أبو يحيى الميناري (815هـ) توفي 840هـ/1436م و هو الذي أسس زاوية عرب تمنيط كان لها دور فعال في التعليم و الإصلاح بين جماعات الإقليم و نشر تعاليم الدين السمحاء و الداعية إلى الوحدة و التأخي، جلس للتدريس فتخرج على يده طلاب كثير³.

يُنوب القاضي الميناري الشيخ الجليل يحيى بن يدير بن عتيق التادلسي سنة 845هـ 1441م و هو العالم العلامة الذي هبت إليه جموع الطلبة من كل أنحاء توات فكان عالما مفوها في الفقه على مذهب الإمام مالك فتولى القضاء و لم يزل على خطة القضاء حتى توفي سنة 877هـ/1472م⁴.

و ممن تلمذة على يده العالم الجليل عبد الله بن أبي بكر العصنوني⁵ فاختاره جماعة توات ليخلف شيخه "بن يدير" سنة 877هـ، لكن المصادر لم تقيّد المسائل و الفتاوى التي أفتى فيها

1- محمد بن عبد الكريم، جوهر المعاني، مرجع سابق، الورقة 02.

2- عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص ص 194-201، ينظر البكرائي، الدرّة، مرجع سابق، الورقة 03.

3- نزل بقرية تجعفرت غرب قصر عمر بن يوسف و تولى القضاء سنة 815 بعدما شهد له المعرفة و العدل و قد فعلوا له مؤونة قدرها 500 مثقال في السنة و ضبط الموازين، ينظر عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 80.

4- درة الأعلام، مرجع سابق، الورقة 01، وما بعدها.

5- وردت ترجمته في الفصل الأول الصفحة.

الشيخ إلا ما ذكر في شأن إفتائه بإقرار كنيسة اليهود في تمنطيط. من خلال مراسلات لعلماء تلمسان و فاس و تونس¹.

في سنة 914هـ أوكل العصنوني مهمة القضاء إلى ابن أخيه سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني (ت 986هـ) و قد رحبت به الجماعة التواتية بوصوله سدة القضاء لعدله و ورعه بل قد بعث السلطان الوطاسي محمد بن محمد الشيخ برسالة تزكية بتاريخ ذي القعدة من سنة 914هـ².

❖ مهام القضاة في الإقليم من ق 10 - 11هـ:

يعتبر منصب القضاء من المناصب العليا و السامية في كل الأقاليم الإسلامية و لا غرو أن يكون الأمر كذلك في البلاد التواتية غير أن الأمر في البلاد الصحراوية كان يزيد من مهمة القاضي و يشترط شروطا خاصة بالبيئة الصحراوية³.

إن التقاضي في توات لم يقتصر على إصدار الأحكام و الفصل في المنازعات، بل يضاف له مهام أخرى، بالنظر إلى مستوى الفهم و العلم لدى القضاة و بالتالي الناس بحاجة للانتفاع بهم و النهل من فيض علومهم. مثلا كان القاضي التواتي يجمع بين القضاء و الحسبة، فيشرف على المكابيل و الموازين مثل ما وقع مع القاضي الشيخ الميناري الذي ضبط وضع الموازين⁴.

ثم إن القاضي يشرف على توثيق عقود البيع و الشراء و نقل الملكيات و هو مدرس و إمام المسجد و الأمثلة على ذلك كثيرة مثلا ما ذكرته المخطوطات التواتية عن بعض القضاة واصفة إياهم بالأئمة أو الفقيه كما حصل في الدرة الفاخرة مع القاضي عبد الكريم بن محمد أنه كان إماما عالما، كما قد لزم ابنه محمد البكري بن عبد الكريم التدريس أثناء رجوعه للإقليم سنة 1092هـ ثم بعدها ولي القضاء فمكث يدرس و يفتي و يحكم بين الناس⁵.

1- ينظر إلى نازلة اليهود في الفصل الثالث من هذا البحث.

2- و قد تسلم القضاء و عمه لا زال حيا و قد كان ضعف الجسد طريح الفراش، تذكر بعض المراجع أنه توفي سنة 927هـ ينظر الفرقد الثائر، مرجع سابق، ص 376.

3- عبد الرحمن بعثمان، القضاء، مرجع سابق، ص 225.

4- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 44.

5- عبد الرحمن بعثمان، القضاء، مرجع سابق، ص 228.

❖ القضاة في الإقليم من 10-11هـ:

القضاة البكريون:

لقد تصدر البيت البكري منصب القضاء منذ القرن 10 هجري إلى الحادي عشر و الثاني عشر هجريين، لما وسم فيهم من علم و عدل و صلاح فقد اعتبرت تنطيط مركزا للقضاء باعتبار أن المدينة كانت حاضرة سياسيا و ثقافيا و أيضا البكريون استقروا بها، وومن عرف من البيت بالقضاء:

1- الشيخ أمحمد بن أبي محمد الأمريني (ت 1008 هـ - 1600م).

في الحقيقة أن هذا العالم الزاهد الورع لم يعرف عنه اعتماد القضاء فقد عرض عليه السلطان "أحمد منصور" القضاء أيام استيلائه على الإقليم فاستعفى و أعرض عن هذا الطلب و قال مقولته الشهيرة: "لئن يحاسبني الله على ألف ألف قنطار، أيسر من أن يسألوني عن قضية فاصلة بين اثنين" فبعث له السلطان كتاب يلومه فيه قائلا: "أن قد عصيتني و نبذت أمري ثم أوعده"، فرد عليه العالم بقوله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا"¹. قائلا أنهم أبؤ عن طاعة خوف، فالله يقول في موضع آخر: "... قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"² فعنى عنه السلطان و تركه³.

2- القاضي: عبد الكريم بن أمحمد أبي محمد (ت 1042 هـ)⁴.

و هو ابن القاضي الزاهد أمحمد بن أبي محمد الأمريني و كان أول من تقضى من بيت البكري سنة 1020 هـ وواه الحاكم أحمد بن أبي محلي السجلماسي (ت 1613 هـ) عندما

1- سور الأحزاب، الآية 72.

2- سور فصلت، الآية 11.

3- عبد الحميد، البكري، النبذة، المرجع السابق، ص 147. ينظر: عبد الحق حميش و محفوظ بوكراع، مرجع سابق ص 299.

4- عبد الكريم البكري، جوهرة المعاني، مرجع سابق، الورقة 20.

استولى على مراكش، وقد كان شيخه يعلم ما لهذا العالم من حكمة و عدل وفهم فقبل الشيخ عبد الكريم المنصب و سار فيه سيرة العدل و الحكمة.

فيقول صاحب درة الأعلام عن توليه القضاء ما يلي: "... لما استولى الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي محلي على كرسي الإمارة بمراكش، صدر أمره أن الشيخ الفقيه سيدي عبد الكريم بن أحمد - فتحا - بن أبي محمد الأمريني قاضيا على توات من أسبع إلى تيمقادين..."¹، لكنه اعتزل القضاء بعد وفاة شيخه أبي محلي سنة 1022 هجري و تصدر للتدريس².

3- القاضي: محمد بن عبد الكريم بن أمحمد الأمريني (ت 1092 هـ)³

وهو نجل العالم عبد الكريم و هو العالم ابن العالم كما نعتته الكثير من المؤرخين و الرحالة وقد وصف بالأوجه النزيه و البحر الزاجر و الحظ الوافر علم الأعلام لكثرة إمامه بالعلوم و نزاهته في قضائه.

ولما عرف عنه هذه الصفات ولي للقضاء سنة 1055 هـ بعد وفاة أبيه سنة 1042 هـ بقي المنصب شاغرا، فتقضى في البلاد بالعدل ولم يخاف في الله لومة لائم، فحمدته الناس و رضوا بسيرته حتى توفى سنة 1092 مساء يوم الثلاثاء 13 رجب سنة 1092 هـ 1681 م.

4- القاضي البكري بن عبد الكريم ابن امحمد (ت 1133 هـ):

تولى الشيخ البكري قضاء توات من رحلة طويلة خارج الديار، إذ لم يكن أحدا من أهل توات يضاهي علمه و معرفته، فأشاع العدل في الأحكام إذ كان يفصل بين المتخاصمين بعدل الشريعة، فكثيرا ما كان يحكم بين الناس قائلا للشهود: "أنتم القضاة و نحن المنفذون"⁴.

1- البكري، درة الأعلام، مرجع سابق، ورقة 40.

2- عبد السلام الأسمر، مرجع سابق، ص 286.

3- البكراوي محمد، العالم، نسخة من الدرّة البهية، مرجع سابق، الورقة 58.

4- محمد بن عبد الكريم، الكواكب البرية، مرجع سابق، الورقة 33 ينظر: جوهر المعاني، مرجع سابق، الورقة 11.

و تذكر المصادر المحلية أن القاضي البكري قد وشي به إلى سلطان المغرب المولى إسماعيل العلوي فناظره بدار ملكه فغلبه، تعلمه و ورعه و تقواه¹، اتسع نفوذ القاضي البكري إلى خارج توات حيث عين ابنه عبد القادر نائبا له في تيكورايين، كانت ترد إليه القضايا المستعصية أو المستأنف فيها، فيحكم بالنقض أو التأييد، من ذلك ما حملته رسالة مولاي أحمد بن طاهر و التي طلب فيها رأي القاضي في حكم أصدره قاضي المنطقة، و مما قال السيد أحمد بن طاهر:

فيا درة الأخيار يا واقد الفكر
يا من بيده رمح حق مسدد
يا نحر شرود بالأمانة ذو غدر
يا أمرك و طال ما تلجج في الصدر
فلمنا أمونا بالرجوع لبابكم
تيقنا أن العسر إلى يسر²

و تشير المصادر المحلية - البكرية - أن القاضي فصل فيها و وحد مساندة من قضاة فاس، حيث راسله القاضيان عبد الملك التجمعوتي³ و أبو مدين الفاسي في أبيات جاء فيها:

إلى الوجود الذي يهدي الأنام
يا نجل عبد الكرم ذا المكارم ها
أزكى السلام و تاليه ما ذكر
نبراسك اليوم في العلوم مشتهر⁴

القضاة البيت الجوزي:

وقد كنيوا بأولاد القاضي نسبة لانتصاب معظم أبنائه في حطة القضاء بقصر أولاد سعيد بمنطقة قورارة نذكر منهم:

1- القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المسعود (ت 896 هجري).

2- القاضي أبو المكارم عبد الكرم (ت 949 هجري).

1- لقد ذكرت هذه الرواية لترجمة الشيخ البكري بن عبد الكرم في الفصل الأول.

3- البكري، عبد الحميد، مرجع سابق، ص 133.

4- عبد الملك بن محمد التجمعوتي، السجلاني، أخذ عن محمد بن سعيد المرغيني و عبد القادر الفاسي، ولي القضاء في سجلماسة توفي سنة 1118، ينظر: الكتاني بن عبد الكبير، فهرس الفهارس و الأثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، اعتناء إحسان عباس، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 184.

2- محمد بن عبد الكرم، الكواكب، مرجع السابق، الورقة 30.

- 3- القاضي أبا عبد الله محمد عبد الكريم بن عبد الكريم (ت 1035 هجري).
- 4- القاضي عبد الحكم بن عبد الكريم (ت 1021 هجري).
- 6- القاضي الشيخ عبد الكريم بن عبد الحكم (ت 1018 هجري).
- 7- القاضي الشيخ سليمان بن محمد الجوزي (ت 1112 هجري)¹.

ثم انتقل القضاء من بيت لآخر و من محطة لأخرى، فمن بيت المبكرين في تمطيط إلى بيت التنلاي في تنلان في قصر تيمي إلى أصبحت عاصمة الإقليم الثقافية و الاقتصادية، ومن القضاة التنلايين نذكر القضاة الذين تقلدوا القضاء في الفترة الممتدة في القرن الحادي عشر إلى القرن الثاني عشر هجريين².

القضاة التنلايون:

انتقل القضاء من أسرة آل البكري خلال القرن العاشر و الحادي عشر هجريين إلى أسرة آل التنلاي في الفترة ما بين القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر هجريين، لذلك لم نتناول كل أعلام البيت التنلاي كون هؤلاء القضاة خارج إطار فترة الدراسة فاعتمدنا فقط القاضي عمر الأكبر التنلاي لأن وجوده في القضاء غير واقع الإقليم تماما.

1- القاضي: عمر بن عبد القادر التنلاي (ت 1152 ه)³.

لم ينتقل القضاء نهائيا من تمطيط إلى تنلان، بل جاء هذا الانتقال بالموازات مع أقول نجم حاضرة تمطيط في جميع الميادين، فقد تولى الشيخ عمر الأكبر القضاء في نفس الفترة التي كان يقضي فيها الشيخ عبد الكريم بن البكري بن عبد الكريم، وهي سابقة جديدة للإقليم بحيث عين العالم عمر الأكبر بعد إلحاح أهل تنلان.

1- عبد السلام الأسمر، الحياة الفقهية، مرجع سابق، ص ص 298-299.

2- عبد الرحمان بعثمان، مرجع سابق، ص ص 153-154.

3- عمر بن الحاج ابن عبد القادر التنلاي، فهرس التنلاي، مصدر سابق، ص 58. و ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة مرجع

سابق، ج 2، ص 180. و ينظر: سيد اعمر عبد العزيز، قطف الزهرات، مرجع سابق، ص 87.

2- دور أعلام البيوتات العلمية في التعليم:

عن قيمة طلب العلم يقول العالم التواتي النحرير محمد الزجلاني في مقدمته في شرح التلمسانية ما يلي: "... الحمد لله الذي فرض السعي في بث العلم و نشره، و أوجب في ذلك جزيل أجره، و رفع ورثت الداعين إليه القائمين بأمره حتى اطلعوا منه على جملة من دقائق سره و نالوا منه كل المنى كما أسعدهم بيره، فله الحمد على ما أولى، و هو-نعمة المولى و الصلاة و السلام على سيدنا و مولانا محمد سيد أهل الأراضين و السماوات... هذا التعليق لطيف الإشارة، حسن العبارة، يسير المادة، مليح الإفادة من المنح الإلهية على القصيدة التلمسانية..."¹.

يعتبر محور التعليم أهم محور في مجال بناء الأمم بمثابة القلب للجسد، فهو-أي التعليم- أيضا عماد قواعد النهضة العلمية في التمكين الحضاري من وجهة أخرى و عند الحديث عن محورية التعليم في الإقليم التواتي فهو يشمل جزئيات كثيرة تتمثل في نهج التدريس و مراحلها و المقررات التعليمية، و الإجازات العلمية، و يأتي قبل كل ذلك المعلم العالم لأن الفترة التي سنتناول فيها التعليم هي نهاية الفترة الوسيطة و عتبة الفترة الحديثة و التي مثلنا القرن الحادي عشر هجري أين كان رواد الدرس علماء تضرب لها الأمثال في الإقليم و خارجه، ولكن كان العلماء ورثة الأنبياء و مثل النجوم في السماء اقتداء من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد قادوا الحركة العلمية بحسن تسيير المنظومة التعليمية التي سارت على خطى التعليم في أكبر مدارس المغرب الإسلامي².

فقد عرف هؤلاء العلماء ما يلزم لطالب العلم و شاربه، و كما قال أحدهم

ألا لن تنال العلم إلا بستة

سأتيك عن مجموعها ببيان

ذكاء و حرص و اصطبار و بلغة

و إرشاد أستاذ و طول زمن

1- محمد الزجلاني، شرح التلمسانية، نسخة من مخطوط بخرانة كوسام، أدرار، الورقة 01.

2 صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات، مرجع سابق ص 206

و بعضهم قال: العلم شيء بعيد المرام، لا يصاد بالسهام، و لا يرى في المنام، و لا يضبط باللحام، و لا يورث عن الآباء و الأعمام، بل هو شيء لا يدرك إلا بافتراض المدرو استناد الحجر و ركوب الخطر، و إدمان السهر، و كثرة النظر و اعمار الفكر.¹

فطالب العلم عليه البذل و الجهد و استفراغ الوسع و المواظبة على حضور الدرس و الحرص على الطلب من يد شيخ أو معلم مصداقا لقوله تعالى: " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا "2.

❖ التعليم و مراحلها:

اتفق كثير من المؤرخين على أن التعليم يؤخذ بالتدرج ، أولهم العالم ابن خلدون إذ قال في معرض كلامه: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا، إذا كان على التدرج شيئا فشيئا و قليلا قليلا، يلقي عليه أولا مسائلا من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب و يراعى في ذلك قوة عقله و استعداده قبول ما يرد..."³، بحيث يعلل ذلك بأن المتعلم أولا يكون عاجزا عن الفهم بالجملة فيبدأ معه المعلم طريقة التدرج فيحصل له الفهم قليلا ذلك بالانتقال من السهل فالصعب فالأكثر صعوبة. فهو يقول أن هذه الطريقة مفيدة و تكون بتكرارها ثلاث مرات⁴.

1 أعمال محمد بن مصطفى بن خوجة، مرجع سابق ص ص، 151، 152 ثم يواصل في وصف أهل العلم و الأخذ به:

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم	و عنه فكاشف كل من عنده فهم
فقيه جلاء للقلوب من العمى	و عون على الذين الذي أمره حم
و إني رأيت الجاهل يزري بأهله	و ذو العلم في الأقوام يرفعه العلم
فخالط رواة العلم و اصحب خيارهم	فصحتهم زين و خلطتهم غم
و لا تعدون عينك عنهم فأنهم	بجوم إذا ما غاب نجم بدى نجم
و الله لولا العلم ما اتضح الهدى	و لا لاح من غيب الأمور لنا رسم

ينظر: محمد بن مصطفى الخوجة، نفسه، ص 150

2- سورة العنكبوت، الآية 69.

3- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 183.

4- نفسه، الصفحة نفسها.

فالتدرج سنة الله في خلقه، فيولد الإنسان رضيعاً ثم طفلاً ثم يافعاً فكهلاً ثم يشيخ ويموت في الظاهر العام قد يموت الإنسان عندما يحصل انقضاء أجله¹.

و على هذه السنّة الكونية سار علماء العالم الإسلامي في التدرج للوصول إلى مبلغ امتلاك صنوف و عموم العلوم، فسار كذلك علماء توات فهم ينتقلون من الأدنى إلى الأعلى محترمين بذلك سنن المتعلم.

و أول مرحلة تسمى المرحلة الابتدائية، و تبدأ عند إمام القصر الذي يياشر تعليم الصبية بجانب مهامه في المسجد و ذلك في الكتاب أو المدرسة القرآنية، تعرف عند سكان توات بـ: "أقريش"، فعند بلوغ الطفل سن الرابعة على أغلب الأحيان بعد أن يقام له احتفالا و يلبس أحسن ما عنده، و يحضر معه لوحه الخشبي مع الدواة التي يوضع بداخلها حبرا من صنع محلي مع قلم مصنوع من القصب².

و يبدأ الطفل أولا بتعلم الحروف الهجائية ثم يبدأ بحفظ القرآن، فيكتب الشيخ الآيات الصغار و يبدأ بحفظها عن طريق السمع، هذا كمرحلة أولية، المرحلة التي تأتي بعدها: سماها بعضهم مرحلة المحاكاة: فيبدأ الطفل في محاكاة شيخه في طريقة قراءته³ و بعد أن يتحكم في الحروف يبدأ الطفل يكتب على اللوح ما يحفظ، فيكون قد تحكّم في قواعد الإملاء و أحسنها فيرسخ له الحفظ⁴.

و عن طريق التعليم في محاضن الدرس، فكما سبق بدأ المعلم مع المتعلم طريقة التدرج و الانتقال من الأسهل فالأصعب، فيبدأ التلميذ في المدرسة بمختصر الأخصري الذي يتسنى له من خلاله تعلم الصلاة و أحكامها ثم ينتقل إلى الكتاب العبقري. نظم سهو الأخصري و بعدها

1- عبد الخالق القصبواي، المنهج التعليمي للمدارس و الزوايا الدينية لحاضرة توات، مرجع سابق، ص 552.

2- زهير بن عبد الرحمن قران، مختصرات الفقه المالكي، مرجع سابق، ص ص 200، 201.

3- مبارك جعفري، العلاقات، مرجع سابق، ص 113.

4- نفسه، ص 144.

ينتقل الطالب لدراسة و قراءة المرشد المعين فيتم له أبواب الصلاة التي لم تأت في مختصر الأخصري فيحصل له الفهم و الإلهام لينتقل إلى مسائل الزكاة و الصيام و الحج¹.

ينتقل الطالب بعدها لدراسة أسهل المسالك ليأخذ مسائل العبادات بشيء من التفصيل ليدخل بطريقة سهلة و ميسرة في المعاملات ثم يقرأ الرسالة لابن أبي زيد القيرواني فيعرف جيدا هيئات العبادات ثم الرسالة يتطلع الطالب لدراسة مختصر خليل فيتعلم جزئيات كبيرة في جميع أبواب الفقه².

لكن كيف يتم سير الدرس؟ و فيما تتمثل الحلقة العلمية؟

سميت بحلقة الدرس لأن الشيخ³ يجلس في كرسيه أو شيء يميزه بحيث يراه الجميع و يرى هو الجميع، و الطلبة يجلسون حوله كأنها دائرة أو حلقة، بحيث لا يغير التلميذ أو الطالب مكانه إلا إذا أذن له الشيخ بذلك، و يبدأ الدرس بأن يكلف أحد الطلبة بالقراءة أي بسرد المتن الذي يراد شرحه و يوقفه المعلم عند كل لفظ ليين معناها اللغوي و محلها فيتوفر للطالب ملكة الصرف و النحو و البيان، ثم يشرح المعلم معناها الشرعي و أوضح القضية الفقهية التي يراد تبيانها ثم يتولى الطالب المتمكن من قراءة الكتاب بعد الشرح ليتدربوا على القراءة و متى تعذر عليهم الشيء من الكلام أو التركيب توقف الشيخ فعلله، ثم بعد ذلك يترك الشيخ المجال للسؤال.

❖ مناهج التعليم و متونه:

وقبل أن نتعرف على منهج علماء نوات في التعليم لا بأس أن نشرح كلمة منهج لغويا واصطلاحا، فاللغويين يعرفون المنهج على أنه نهج بمعنى طريق بيّن واضح و الجمع نهجات ونهج

1- زهير عبد الرحمن، قرآن، نفسه، ص 201.

2- محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ج 1، ص 262.

3- و عن آداب المتعلم مع شيخه أو أستاذه يقول مصطفى بن خوجة في كتابه ما يلي: "... و أن يعظم العلم و أهله و من تعظيم العلم توقير الأستاذ و إجلاله و إكرامه و احترامه دائما، خصوصا في الدرس، فلا يرفع صوته عليه و لا يجلس بين يديه بحيث تنافي الأدب، و من تعظيمه أن لا يمشي أمامه، و لا يجلس في مكانه و لا يتدنى الكلام في حضرته إلا بإذنه و لا يكثر الحديث عنده و لا يسأل شيئا عند ملأته، لأن من تأذى منه شيخه يحرم بركة العلم و لا ينفع به إلا قليلا. ينظر: مصطفى بن خوجة، المرجع نفسه، ص 150.

و نوح، و فلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه، و النهج الطريق المستقيم¹، و أما اصطلاحاً فهو السبيل إلى المقاصد الصحيحة التي يسلكها الدعاة في تبليغ رسالة الله تعالى، كما يرى الرازي أنه الطريق الذلول الموصل إلى رضي الله تعالى².

اعتمد التعليم في الإقليم على منهج السنة النبوية اعتماداً على المذهب المالكي، لذلك سيكون المنهج سائراً على سلف الصالحين و كل المناهج التعليمية في تلك الفترة..

الاعتماد على الشيخ و قد حث ابن خلدون في مقدمته على منهج³ مباشرة الرجال و للبحث عن المشيخة لأن العالم المدرّس دوره يتجلى في توضيح الغموض و إزالة الشبه و هي طريقة التعليم المباشر و تلقين المشافهة، يؤمن بها المتعلم الوصول إلى مبتغاه فحين يجلس طالب العلم في محاضن الدرس ينهل في فيض علوم شيخه من شرح ألفاظ و تركيب معاني و حسن قراءة و تدبر و آداب⁴.

لذلك خاطب الله عز و جل سائر العالمين على السؤال و سؤال أهل الذكر:

قال تعالى: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، بحيث على طالب العلم ألا يسأل في الدرس في الموضوع، أكثر من ثلاث أسئلة و لا يزيد عنها و أن يكون السؤال مسترشداً مستفيداً.

فقد قال الخطيب البغدادي: "لابد للمتفقه من أستاذ يدرس عليه و يرجع في تفسير ما أشكل عليه و يتعرف منه طرق الاجتهاد و يفرق به بين الصحة و الفساد"⁵.

و ها هي منظومة السراج تؤكد مسألة تلقي العلوم على يد الشيخ معلوم:

1- ابن منظور، مصدر سابق، ج6، ص ص 4554-4555.

2- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: محمود خاطر، ط01، مكتبة لبنان، بيروت، 1999، ص688.

3- محمد باي بلعالم، الرحلة، مرجع سابق، ص 273، ينظر أيضاً: عبد الخالق قسباوي، مرجع سابق، ص 552.

4- مصطفى بن خوجة، مرجع سابق، ص 144.

5- أبو بكر الخطيب البغدادي الفقيه و المتفقه، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، ج2 ط2، دار ابن الجوزي السعودية 1421 هـ، ص 886.

كتاب البراهين لصاحبه العالم الشيخ السنوسي يشتمل على ثلاث أنواع، العقيد الكبرى و الوسطى و الصغرى¹.

كتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح لصاحبه محمد المغيلي، كتاب في العقيدة و التوحيد يتصل موضوعه بمباحث العقيدة، تعرض فيه الشيخ لقضايا عقدية كثيرة أهمها عدم الخوض في الغيبات و التثبت بالسنة معتمدين على رأي الجمهور من أهل الحديث². إضافة إلى بعض المقدمات كعقيدة أبي زيد القيرواني و مقدمة ابن العاشر، المرشد المعين.

أما في التفسير، فقد كان اعتماد المدارس و المحاضر على المتون المحلية كتأليف المغيلي "الفتح المبين في شرح القرآن الكريم"، وكتاب التلاني عبد الرحمان "الدر المصون في إعراب القرآن الكريم" و غيرها من المصنفات، في الحديث، فقد اعتمدوا مثلا كتاب مفتاح النظر في علم الحديث³.

ومن المؤلفات الفقهية المختصرات المالكية: مختصر خليل و الرسالة و متن ابن العاشر و هو نظم ألفه ليسهل حفظه. مثلا مقدمة في الأصول معنية في فروعها على الوصول.

الحكم في الشرع خطاب ربنا	المقتضى فعل المكلف أفطنا
بطلب أو بإذن أو بوضوح	لسبب أو شرط أو ذي منع
أقسام حكم الشرع خمسة تـرام	فرض و نـدب و كراهة حـرام
ثم إبـاحة فـمأمور جـزم	فرض و دون الجزم مندوب و سم
دو النهي مكروه و مع حتم و حرام	مأذون و جهيه مباح ذات تمام
و الفرض قسمان كفاية و عين	ويشمل المندوب سنة بدين

1- أحمد بابا، ص 301.

2- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 153-154.

3- حوتية محمد الصالح، ج 1، ص 259.

ثم مختصر ابن الحاجب الذي يقول عنه احمد بابا "لقد وضع الله عز وجل له القبول على مختصره"¹. وألف المغيلي شارحا على مختصر خليل سماه معنى اللبيب في شرح مختصر خليل².
و أما متون اللغة العربية فكانت أمهات الكتب كالفية و لامية الأفعال لابن مالك و الأجرومية لعبد الله بن محمد بن داوود الصنهاجي الأجرومي، و التي تعد مقدمة في مبادئ اللغة، هذا الكتاب التي نظم عليه الشيخ محمد بن أبي القلاوي الشنقيطي*(المتوفى في القرن الثاني عشر هجري ما يلي:

قال عبد ربه محمد	الله في كل الأمور أحمد
مصليا على الرسول المنتقى	و آله، وصحبه ذوي التقى
وبعد: فالقصد بهذا المنظوم	تسهيل منشور ابن أحرور
لمن أراد حفظه و عسرا	عليه أن يحفظ ما قد نثرا
و الله استعين في كل عمل	إليه قصدي و عليه المتوكل

❖ الإجازة³ العلمية:

تعد الإجازات العلمية مبلغ كل طالب علم بعد الكد و الجهد و الاصطبار على طلب العلم، بل بمثابة الشهادات العلمية في هذا العصر، فلهذا كان يتنافس الطلبة لئيلها على أفواه الرجال أولا ثم أصبحت تؤخذ مشافهة و مكاتبة بسندها.

1- أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 427.

2- أحمد حمدي، مرجع سابق، ص 56.

3- الإجازة لغة: مأخوذة من قولهم: أجاز فلان فلانا بكذا: إذ أباحه له، و صيره جاز، بعد أن كان محظورا عليه و اصطلاحا هي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه ما لم يسمعه منه أو يقرأه عيه، و أما أنواعها فقد ذكر لها القاضي عياض ستة أنواع و زاد عليها ابن صلاح نوعا سابعاً و أعلاها متفق عليها: الإجازة لمعين في معين. و يقول ابن قنفذ: "إما مشافهة، و إما إذن بذلك إن كان غائبا، وله أن يكتب له ذلك بخطه/ بحضرتة أو مغيبته، وقيل هي كالكتابة و الصحيح أنها أعم و انفع، و تصح للموجود و المفقود، و من ولد و من سيولد و لطلبة العلم بمدينة كذا في زمان كذا...". ينظر: أبو العباس أحمد الشهير بابن قنفذ القسنطيني، شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط01، مكتبة الرشد المملكة السعودية، الرياض، ص 146.

لأنها عدت دليلا على حقيقة امتلاك العلم و أيضا كانت ذلك العصر افتخارا و تباهي أمام الطلبة و العلماء، فكانت الإجازة من أهم الحوافز التي كانت تدفع السالك في سبيل العلم إلى الرحلة فلا تهمه الصعاب و تكدر صفوه العذاب الذي ناله منه السفر. لذلك كان لا بد من شيخ يأخذ عنه العلم و يجيزه.

و كان أصحاب الإجازة يحفظون سلسلة أسيانهم بالتواتر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم؛ فمنهم الكثير من طلبة الإقليم التواتي من اتخذ حواضر العلم الإسلامي قبله لنيل العلم و المعالي و ختمها بالإجازة. منهم مثلا: شيخ الشيوخ البكري عبد الكريم بن أحمد (ت 1133 هـ) الذي أجازته مفتي مصر و هو أبو عبد الله محمد الخرشبي و أجازته شيخه سعيد بن إبراهيم قدورة في الجزائر، و غيرهم، ثم في القرن الثاني عشر أيضا عمر بن عبد القادر التينلاني الذي أجازته أسيانحه في فاس أبو علي الحسن بن رحالي.

أما عن صيغة الإجازة فتتكون في الغالب من مقدم و عرض و خاتمة ثم توقيع، تبدأ المقدمة بالحمد و الشاء على الله عز وجل ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و ينتقل الشيخ إلى ذكر السبب الذي دعاه إلى هذا الأمر و طلب تلميذه منه الإجازة فيثني عليه خيرا، ثم ينتقل إلى نفسه بالتواضع، ثم يذكر شيوخه و الفنون التي درسها عليهم حتى يتعرف عليهم تلميذه المجاز و يرتبط بالأسانيد، ثم تختتم الإجازة بالدعاء و التوفيق للمجاز ووصله بالدعاء له و لأسيانحه و تختتم باسم المجيز و تاريخ الإجازة¹.

ومن الأمثلة على ذلك إجازة الشيخ العالم علي الأجهوري الشيخ عبد الكريم في الشفاء للقاضي عياض و مختصر خليل و مما جاء به نص الإجازة: "... و بعد فقد، التمس مني الأخ في الله تعالى الشيخ الإمام العلامة التحرير للهمام سيدي محمد عبد الكريم التواتي المغربي الإجازة لكتاب الشفاء للقاضي أبي الفضل عياض و بمختصر العلامة خليل بن إسحاق

1- عبد السلام الأسمر، الحياة الفقهية، مرجع سابق، ص 110.

و بغير ذلك... و أجزته بذلك و بجميع ما يجوز لي عني روايته...¹ كان تاريخ هذه الإجازة: 1028 – 1676م.

علماء الذين اشتغلوا بالدرس:

هم علماء اتخذوا من العلم مطية و لباسا فعاشوا بالعلم في جنة الدنيا ووصلوا به إلى جنات الآخرة، هم من ساروا على سبيل العلم فوصلوا إلى شرفه، و شرفه هو بقاء ذكركم مستمرا إلى اليوم، و ها نحن نجد اللقاء معه إذا نسترجع و يسترجع التاريخ سيرهم و مسيرتهم في مجال الأخذ و العطاء.

وإن كانت وجهتنا في هذا المحور استدراك أسماء أعلام الدرس فيمكن أن نجزم أنهم كلهم كان التعليم مساهم و سعيهم و إن اشتغلوا وظائف أخرى، فقد قال أمير شعراء العرب (ت 1351 هـ / 1931م).

فأرفع لنفسك بعد موتها ذكرها فالذكر للإنسان عمرا ثاني²

و من الأعلام الذين تصدروا حلقات التعليم كثير ويمكن الجزم أن كل العلماء القضاة كانوا نازعين للتدريس أكثر منه من القضاء؛ أمثال الشيخ عبد الكريم التمنيطي و الشيخ عمر الأكبر التينلاني.

تصدر عمر ابن عبد القادر التينلاني الدرس في زاوية أجداده، بحيث نشطت حلقات دروسه و تسارعت الحركة العلمية من جديد بعد عودته من سفره الطويل في فاس، فعكف الناس على حلقاته و ألفوا علمه و طريقته، و من المتون التي درسها: الصحيحان، شمائل الترميذي الشفاء للقاضي عياض، الجامع الصغير للسيوطي في الحديث و السيرة، و جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول، الرسالة للقيرواني، المختصر، المرشد المعين بشروحها الأجرومية، شرح خالد الأزهرى عليها، ألفية ابن مالك، مختصر السنوسي و الصغرى، و الكبرى، أما عبد الرحمن التينلاني يصور لنا

1- عبد الكريم بن أحمد، الرحلة في طلب العلم، مصدر سابق، الورقة 01.

2- أحمد شوقي، شوقيات، تق و طب: صلاح الدين الهوارى، ج2، ط1، دار الهلال، بيروت، 2008، ص 119.

بدقة طريقة التدريس عند شيخه عمر، فكان من عاداته رحمه الله في تدرسه في جميع الفنون أنه يعتني بحفظ عبارة الشرح الذي يطالع في ذلك الفن، وربما نقلها بالمعنى و يبحث مع مؤلفه ولا يسلم منه غالباً¹.

كان حازماً صارماً مع طلبته حيث يقول عبد الرحمن في الفهرسة: "كان رحمه الله يضجر من مباحثته للطلبة لاسيما من لا يحسنها منهم، فتارة ينهرهم و أخرى يسكت عنه و لا يجيبه².
من تصدر للدرس علماء كثر منهم: الأعلام الوافدة على الإقليم ما بين القرنين 7 هـ 9 هـ، الإمام يحيى المنيارى، و الشيخ يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي (845 هـ-1441م) الشيخ سليمان بن علي المتوفى سنة 670 هـ و الشيخ موسى ابن مسعود (ت 920 هـ) الشيخ الحاج أبو القاسم (ت 920 هـ)³.

أما أعلام البيوتات فقد تصدر كل من عبد الله العصوني (ت 968 هـ) مجالس الدرس حتى مرض ليعقبه ابن أخته سالم بن محمد العصوني الذي أفتى نفسه في حلقات الدروس داخل الإقليم و خارجه، و يحمل الشيخ المغيلي (909 هـ) هذه المسؤولية على عاتقه طيلة استقراره بالإقليم، بحيث كان ملماً بجميع العلوم حتى الطائفة على الإقليم كعلم المنطق و الفلسفة و علم الكلام، ثم واصل مشواره في التعليم فيا لحواضر السودانية ككنو و كاشنا و أقدز و غاو و غيرها ثم واصل مشعل الدرس الأسرة البكرية.

لقد شغل هؤلاء الرجال بتأليف قلوب رجال آخرين على حب العلم و تعليمه مثل الشيخ أحمد الرقادي الذي وصل رسالته خارج أسوار توات، حيث درس في حواضر السودان خاصة تمبكتو⁴.

1- عبد الرحمن بن عمر، المصدر نفسه، ص 88.

2- نفسه، ص 89.

3- عبد الحميد البكري، مرجع سابق، ص 95-96.

4- تاهمي غيتاوي، سلسلة النواة، مرجع سابق، ج 1، ص 79.

الشيخ العالم البكري بن عبد الكريم (ت 1133 هـ) الذي كان يمزج بين مجالس العلم والإرشاد والوعظ¹.

3- اعتماد أعلام توات على التجارة:

تشكل التجارة محور أساسي في الاقتصاد على مر الزمن مهما اختلفت مقوماتها سواء كان مجالها بحري أو بري ووهي أيضا التي تحدد وجه العلاقات التي تربط بين الدول والشعوب و أما ركائزها فمختلفة خاصة إن كنا نتحدث عن التجارة في إقليم توات فنحن بذلك نركز على التجارة الصحراوية التي كانت قائمة على مادتين أساسيتين هما الذهب والملح الموجودة ما وراء الصحراء وبالتالي تصبح هذه المنطقة مقصد التجار يؤمنون أليها من كل حدب وصوب، لذلك تمثلت الخريطة الاقتصادية في المسالك والطرق التجارية التي لا غنى عنها لها قوافلها وأدائها وبضائعها وحراس حدودها. كل ذلك رسم صورة ناجحة للتجارة في الفترة ما بين القرنين السابع والثاني عشر هجريين.

قد مثلت التجارة والجغرافية كمحددان رئيسيان استغلها التاجر التواتي في توطيد العلاقات بين توات ومجالها الصحراوي و في حدود تفاعلات اجتماعية وحضارية.

فما مكانة التجارة في الإسلام؟

و ما هي دور هؤلاء العلماء فيها؟

❖ مكانة التجارة عند العلماء:

لقد حث الإسلام على السعي والكسب في طلب الرزق في الأرض امتثالا لقوله تعالى:

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"².

و الله عز وجل يبين للمؤمن الحق أن يبذل الجهد في البحث عن رزقه في الأرض و قد مهدها و ذللها له. فقد جعل الله عز وجل العمل في مرتبة العبادة، إذا قال بعضهم "ما فقه

1- عبد الحميد البكري، النيذة، مرجع سابق، ص 140.

2- سورة الملك، الآية 15.

الإسلام من ظن أن الزهد و الفقر صنوان"، لذلك فقه العلماء معنى الزهد وقيمة العمل خاصة منه نشاط تجارة التي اعتبرت مهنة الأنبياء، إذ يقول صاحب التلائد و الطرائف معرفاً للتجارة ما يلي: "فإن التجارة من أفضل الحرف و أشرفها و هي من فروض الكفاية و كفى من شرفها أنها كانت حرفة رسول الله صلى الله عليه و سلم، وقد عدّ التاجر الصدوق من جملة الشهداء وقال من بات تعباً في ما يصون به عرضه من الحلال بات مغفوراً له..." وقل جل من قائل: "فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"¹.

❖ دور و أثر التجارة في الإقليم:

إن منظومة العلاقات بين الدول و الأقاليم تحكمها المصالح التجارية التي تنتهي بمجرد انتهاء الفائدة -المصلحة- و العلاقات السياسية تخضع لتحقيق الذات في إخضاع المحكوم للحاكم، و أما الروابط الاجتماعية فتجمع و شائج أسرية و اجتماعية تنتج عنها الأخلاق و الآداب و المعاملات بينما العلاقات الثقافية العلمية تقوم على تطوير الذات و الكف عن الملذات و تحقيق قول الله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"². لأجل ذلك انصهرت كل العوارض و طويت كل الحدود بين طلبة العلم و خاصته سواء كانوا تجاراً أو غير تجار.

ارتبطت العلاقات التجارية بين البلدين - السودان الغربي و المغرب الأوسط - من فترة زمنية معتبرة سبقت حتى فترة وصول الإسلام لاعتبارات كثيرة أهمها حاجة الإنسان إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في توفير مستلزماته التي تفرض عليه معادلة الطبيعية عدم توفرها في مكان واحد³ فما توفر في المغرب الإسلامي و جزئه إقليم توات انعدام في منطقة السودان الغربي و العكس صحيح، إذن عامل اختلاف السلع و المنتج الموجود في الإقليمين فرض التبادل التجاري الذي

1- سورة الجمعة، الآية 10.

2- سورة الحجرات، الآية 13.

3- نبيلة حسن، في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص 153. وينظر: محمد صالح توات و الأزواد، مرجع سابق، ص 134. علي الشامي، النقل، مرجع سابق، ص 10.

يتمثل في التعاملات التجارية من البضائع و عملة مع ذكر جموع القوافل الوافدة و الآتية¹، أما تجار توات فتولوا رئاسة قوافلهم التي كانت تتألف من ما يزيد عن مائتي بعير² بينما يقدم ابن خلدون في تاريخه أن أواخر القرن الرابع عشر بلغت القوافل إثني عشر ألف جمل³.
 مما يؤكد أن حركة التجار التي كانت تتم عبر القوافل شهدت رواجاً، وأنها حملت بالبضائع الكثيرة التي أدت الأرباح الطائلة⁴.

وقد أصبحت توات نقطة ارتكاز لحركة التجار و أصبحت غالبية القوافل التجارية المنطلقة من و إلى جني و تمبكتو و بورنو تسلك الطرق المؤدية إلى توات بفضل الأمن الذي وفرته المنطقة للقوافل الصحراوية مع الخدمات المقدمة هناك من ماء و مؤن⁵.

❖ نماذج لعلماء تجار في الإقليم:

لقد كان لعلماء توات عموماً دوراً هاماً في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى حواضر السودان الغربي والأوسط، ويعتبر الشيخ المصلح محمد بن عبد الكريم التلمساني منشئاً و التواتي دار المقام خير دليل وسفير في العالم المجتهد الذي أصلح شؤون البلاد الإفريقية ما وراء الصحراء

1- صالح، محمد حوتية، المرجع نفسه، ص ص 105-101.

2- الجمل: شاع استعماله في الصحراء بدءاً من ق 13 ميلادي، وقد سميت الإبل عدة تسميات كتسميات العرب حسب سنه، فعندما تلد الناقة يسمون رضيعها سلاح، و عند بلوغ السنة يسمى حوار وبعد تعديده السنة يدعى المخلول أما بلوغه بثلاثة سنوات ينعت بالحخاشي و أربع سنوات يسمى الجمل، وقد اعتبر حيوان دخيل على الصحراء الإفريقية و آخرون يقولون انه موجود بالصحراء منذ العهد الروماني. ينظر: إسماعيل، العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، مرجع سابق ص ص 33-34. ينظر: صالح، حوتية، توات و الأزواد، ج1، المرجع السابق، ص- ص 123، 143. ينظر: فرج، محمود مرجع سابق، ص ص 77-79.

3- ابن خلدون، عبد الرحمان، مصدر سابق، ج7، ص 405.

4- عبد القادر، الزبادية، مملكة سنغاي، مرجع سابق، ص 212.

5- نبيلة، حسن، المرجع نفسه، ص 160. ينظر أيضاً: محمد، صالح، المرجع نفسه، ص ص 143-144.

ومؤلفاته الغزيرة تشهد على ذلك مثل أسئلة "الأسقيا وأجوبة المغيلي"، "التعريف فيما يجب على الملوك"، كتاب "المسائل" رسالة عن ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام¹.

وقد سار علماء البيت البكري على نفس النهج بل أن البيت البكري في إقليم توات له فروع وإخوان من أصل جدّهم الأول الشيخ عمر الباز الحسني وسميوا بالمحاجيب الذي سافر إلى بلاد التكرور حتى توفي سنة 890 هـ.

امتنه بعض علماء البيت البكري التجارة إقتداء بالنبي الكريم عليه أركى الصلوات والتسليم، على غرار ما يذكر في الطرائف والتلائد للشيخ المختار الكنتي ما مفادها: "فإن التجارة من أفضل الحرف وأشرفها وهي من فروض الكفاية وكفى من شرفها أنها كانت حرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عدّ التاجر الصدوق من جملة الشهداء... ثم يستطرد في ذكر فضائل التجارة متمثلاً يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ليؤتى برجال يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر فيظنهم أهل المحشر أنبياء فينادون أنهم ليسوا أنبياء ولكنهم رجال كانوا يتجرون في الحلال"².

فقد استعفي بعض علماء البيت البكري عن المناصب السامية واختاروا ارتياد طريق التجارة منهم الشيخ العلامة سيدي احمد بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون (ت: 1008هـ) وهو الذي نعت بشارح العقول والمنقول ، أعجوبة زمانه دراسة ودراية ، كبير الإطلاع وطويل الباع، يقول عنه ابنه الشيخ عبد الكريم: "...العالم النوراني له اليد البيضاء في علوم الإسلام..." ومما يروى عنه أن السلطان هذا الرد وبعث له بهذه الرسالة: "...عصيتي ونبتت أمري فأجابه الشيخ العالم يقول الله تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

1- عبد الحق حميش ومحمود بوكراع بن ساعد ، مرجع سابق، ص ص 520 - 521.

2- محمد بن المختار ، الكنتي، الطرائف و التلائد ، مصدر سابق، ج3، الورقة 202.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا"¹، عن معصية أو طاعة ؟ والله يقول: "...إِثْمًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ"²، فتركه السلطان³.

فاختار طريق السودان دربا يضربه للتجارة وبقي هناك حتى توفي في بلدة أقد-أقدس أو أكدر- سنة 1008هـ وما يروى عنه أنه بعث لأولاده من السودان بهذه الأبيات قائلاً:

وتنحّ عن الدنيا وصحبة أهلها	وبابنهم ما دمت في الدهر باقيا
فما منهم إلا حسود وشامت	تراه بأقوال النميمة عاديًا
إذا نلت خيراً أظهروا لك ودهم	وأبدوا سرورا كلما كنت واليا
وإن خانك الدهر الخؤون بصرفه	بدا منهم الشيء الذي كان خافيا
فصار الصديق المظهر الودّ والرضا	يجزّ السيف للعداوة ماضيًا
فما في الدنيا الدنية صاحب	يدوم على عهد إذا كنت نائياً ⁴

من شيوخ البيت البكري التجار أيضا العالم الشيخ سيدي عبد المهيم بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون (ت 1008هـ/1599م)؛ الذي درس على يد شيوخ كبار منهم الشيخ محمد بن أبي القاسم الحسيني ولم يعثر له على مؤلفات وبيانات إلا ما ورد في كتاب الرحلة لعبد الكريم ما نصّه: "... وما وجدت بخط عمي صنوا الوالد عبد المهيم -رحمه الله تعالى- يمنه: عرف بعضهم

1- سورة الأحزاب، الآية 72.

2- سورة فصلت، الآية 11.

3- ذكر الحادثة التي وقعت بين العالم أحمد بن أبي محمد والسلطان المنصور في مخطوط ترجمة وحيزة لبعض علماء إقليمنا التواقي، مرجع سابق، الورقة 08 و ما بعدها.

4- نقلا عن عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق، ص146. ينظر أيضا: أحمد جعفري، الحركة الأدبية، مرجع سابق،

الإقراء بأنه تصحيح المتن، وبيان المشكل، وتتميم لناقص وما عدا ذلك فضرره على المتعلم أشد...¹.

ومن علماء البيت البكري الذين ربطوا تواتر بالسودان الغربي العالم الزاهد الشيخ عبد الحميد بن محمد بن محمد بن ميمون (ت: 997هـ) الذي كان ينسخ في كل سنة مصحفا متقنا ويبعثه لسلطان السودان فيبعث له السلطان مقابل ذلك وزنه ذهبا وبقي على هذا الفعل حتى توفي في آخر محرم من سنة 997هـ².

أما رائد الحركة العلمية في إقليم توات الشيخ عبد الكريم بن محمد (ت: 1042هـ) فقد لعب دور الوسيط بين إقليم الجزائر وتوات وإقليم السودان الغربي عندما كلف من شيخه العالم العلامة "سعيد بن إبراهيم قدورة" بنقل رسالة إلى العالم السوداني أحمد بابا التنبكتي وقد كان الشيخ عبد الكريم البكري مفادها الإجابة عن مسألة حكم مجلوب السودان أي أولئك السودانيون الذين سلبوا من ديارهم وبيعوا في سوق النخاسة وهم من المسلمين فكانت هذه المسألة سبباً في تأليفه كتاب "الفصل في حكم مجلوب السودان"³:

من العلماء الذين ندبوا أنفسهم للرحلة إلى خير الدنيا والآخرة: التجارة و الدعوة الشيخ سالم بن محمد العصنوني 968 هـ الذي أسلم على يده خلق كثير في بلاد السودان⁴.

1- محمد العالم البكري، ترجمة وجيزة، مرجع سابق، الورقة 07. ينظر أيضا: عبد الحميد، البكري، النبذة، مرجع سابق ص 148، عبد الحق حميش ومحفوظ بوكراع بن ساعد، مرجع سابق، ص 301. ينظر أيضا : عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 235.

2- عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، مرجع نفسه، ص 18، العالم، البكري، ترجمة وجيزة، مرجع نفسه، الورقة 06.

3- عبد الحميد، البكري، المرجع نفسه، ص 74، خير الدين، شترة، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، ج 1، مرجع سابق، ص 125.

4- عبد الحميد البكري، النبذة، مرجع سابق، ص 70.

أيضا الأعلام الكنتيين الذين وصفهم بول ماري بالأذكياء و النشطون أصحاب الحس التجاري، "هم أذكياء و نشطون من أرباب القوافل و هم تجار مهرة، نجدهم على كل طرق السودان"¹.

أعلام بيت الشريف البلحاجي فقد كانوا كلهم تجار من رأس البيت الشريف حمو بلحاج الذي ربط بين توات و فاس و تنبكتو، حيث دخل أولا من تافيلالت إلى تمبكتو تاجرا سنة 1040 هـ و ينزل أرض توات عند أحبابه من أهلها حتى أدركته الوفاة في شهر رمضان سنة 1062 هـ، ثم أحمد الحاج و غيرهم من أعلام البيت البلحاجي و هم أصهار الرقادة في الإقليم منهم: الشريف أحمد الحاج (ت 1101 هـ)، الشريف عبد المالك (ت 1088 هـ) الشريف عبد الكريم (ت 1095 هـ)، شريف عبد القادر (ت 1094 هـ)، الشريف الشيخ (ت 1098 هـ).

4- جهود أعلام البيوتات العلمية في النشاط الدعوي بالسودان الغربي و الأوسط:

يعد السودان الإسلامي الممتد من البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي عالم من العلوم الإسلامية الممتدة وراء الصحراء الإفريقية؛ و الذي ينقسم إلى أقاليم ثلاثة: السودان الشرقي الذي يضم مناطق واد النيل وروافده جنوب النوبة و الثاني هو السودان الأوسط و يقصد به تلك المناطق المحيطة بحوض بحيرة تشاد، أما الثالث فهو إقليم السودان الغربي والذي يشغل مساحة لا بأس بها تضم كل من مملكة غانا و مالي و سنغاي، تجمع بمفهومها اليوم كل من موريتانيا، مالي و السنغال، غامبيا و غينيا، طوغو، البنين و غيرها من دول الساحل الإفريقي.

و عموما فإقليم السودان هو ذلك الحوض الصحراوي الذي احتضن الإسلام منذ عهده الأول؛ وقد أطلق هذا المصطلح العرب أول مرة نسبة إلى سوادا سكانها إذ عرف عن العرب أنهم

1- بول ماري، كتنة الشرقيون، مرجع سابق، ص 50.

كثيرا ما كانوا يضيفون ألفا و نونا على بعض المفردات منها: السود، الحمر، البيض في كلامهم فتصبح سودان- بيضان- حمران¹.

وأما عن أصل سكان السودان فيرجع بعض المؤرخين أصلهم أبناء كوش بن حام و هم الحبشة و الزغاوة و القبط و البربر وقد تفرقوا في البلاد و منهم من اتجه إلى شرق إفريقيا²، هذا ما يؤكدّه اليعقوبي بأن ولد كوش بن حام انقسم إلى قسمين قائلا: "إنهم عبروا النيل افترقوا فرقتين؛ فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق و المغرب و هم النوبة، و البجة و الحبشة و الزنج وقصدت فرقة المغرب - أي غرب إفريقيا- وهم الزغاوة و القافو و المريون و المرندة الكوكو وغانة و غيرهم..."³.

و أما جغرافيا فتشمل منطقة السودان الغربي كل المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وفي ذلك يصف القزويني الإقليم قائلا: "...هي بلاد كثيرة و أرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر و جنوبا إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة و غربها إلى البحر المحيط..."⁴.

تبدأ حدود السودان الغربي من الصحراء الكبرى شمالا و جنوبا تمتد إلى خليج غينيا و شرقا فالكمرون و خليج لتشاد؛ و أما غربا فالبحر الأطلسي؛ واقعة ما بين دائرتي عرض⁴⁰ و¹⁶ شمال خط الاستواء و¹³ و¹⁷ غرب غرينتش؛ يتكلم سكانها لهجات مختلفة مثل

1- أبو القاسم، محمد المصطفى، مصطلح السودان في المصادر العربية و الأجنبية، مجلة الدراسات العليا، المجلد، 14 ع: 14، ص- ص 1، 2.

2- ابن الجوزي، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تنوير الغيش في فصل السودان و الحبش، تر: محمد بركات، ط1 دار أم درمان الإسلامية للطباعة و النشر، السودان، 1993، ص- ص 11، 12. ينظر أيضا: المسعودي، مروج الذهب مصدر سابق، ج2، ص 04، ينظر أيضا: القزويني، المصدر السابق، ص 22.

3- أبو حامد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج7، دار صادر، لبنان، 1992، ص 119، وفي طبعة أخرى: تاريخ اليعقوبي، ج1، مطبعة المغربي، النجف، مصر، ص 155.

4- القزويني، آثار العباد، مصدر سابق، ص 22.

لهجة النوي و الإيوي و اليوروبا ثم أصبحت العربية لغتهم الرسمية ولسان حالهم بعد الفتح الإسلامي، خاصة بعد إسلام حكامها و ملوكها¹.

و عموما أطلق مصطلح السودان الغربي في القرن الخامس هجري من قبل البكري صاحب المسالك و الممالك²؛ ووصفها غيره أنها أرضها محترفة لتأثير الشمس فيها و الحرارة الشديدة³. و هي كلمة أطلقت على سواد سكانها مرجعين أصل الكلمة إلى خليفة إثنية نسبة إلى سكانها الذين وصفوا بالزنج، و ها هو ابن سينا يتعرض لذلك واصفا ارتباط سواد البشرة بالحرارة في أرجوزته قائلا:

لا تعمل الدليل بالألوان	إن يكن التأثير للبلدان
بالزنج حر غير الأحسادا	حتى كسا جلودها سوادا
و الصقلب اكتست ايضاضا	حتى غدت جلودها بضاضا
و إن تحد السبعة الأقاليم	تكن بأنواع المزاج عالما ⁴

1- فيجي، جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تح و تر: يوسف نصر، ط 1، دار المعارف، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة أسبوط، 1982، ص 15، عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قاز يونس، ليبيا، 1997، ص 09. ينظر: زهراء بوكراييلة، الرحلة التجارية، مرجع سابق، ص-ص 39، 41.

2- البكري، أبو عبيد الله، المسالك و الممالك، تح: أدريان فان و أندري فير، ج 2، الدار العربية للكتاب، تونس 1992، ص 837.

3- القزويني، آثار العباد، مصدر سابق، ص 29.

4- أبو علي الحسين ابن عبد الله بن سينا، الأرحوزة في الطب، إع و تر: جان جابي و عبد القادر نور الدين، مكتبة جامعة الجزائر، 1375 هـ / 1956م، ص 15.

❖ بلاد السودان الغربي خلال ق 10 هـ - 16 م:

1- مملكة سنغاي.

تعد سنغاي- سنغاي أو سنغي ثالث و آخر محطة في تاريخ السودان الغربي، فيمكن جعلها الوريث الأخير لعرش الحكم في غرب إفريقيا¹، أين ازدهرت في المناطق الواقعة بين حوضي نهر السينغال و نهر النيجر.

وإن كنا نقصد بسنغي المملكة فنحن بذلك نقصد القرن الخامس عشر ميلادي (823 هـ/1420م) أين ثبت الملك "محمد دوعو" دعائم حكمه على حساب مالي.

تمتد هذه المملكة على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من الداھومي عند مدينة داندي إلى جنوب فولتا العليا و شمال نيجيريا².

ويعتبر "سني علي" - علي كولن- المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي، حيث بدأ التوسع الفعلي للمملكة على حساب القبائل المجاورة، فاستعاد تمبكتو عام 873 هـ/1468م، ثم أخضع منطقة النيجر كلها واستولى على "جني"³ عام 1473 م وفي بعض الروايات يقال في سنة

1- سنغاي: فقد كان ظهورها مزامنا لبانا و مالي في القرون الأولى ميلادية تدين على الوثنية منذ حوالي القرن السابع ميلادي، استوطن المنطقة تركيبة كسكانية مختلفة من قبائل و شعوب منها قبائل السوتراي و البربر و الزنوج، قاد المملكة أسرة تدعى "دايا" إلى غاية 1325م متخذين من كوكيا عاصمتهم، عرف أول ملك لسنغاي "زا الأيمن" أو "زا اليمن" ليخلفه أربعة عشرة ملكا، منهم: علي كلن و سليمان نار، إبراهيم كباي، عثمان كفاتا ... ثم يأتي الملك الخامس عشر يدعى "زاكاس" وهو أول ملك مسلم سنة 1009م، و أول من نقل العاصمة من كوكيا إلى غاو.

ينظر: إبراهيم، ميغا، إمبراطورية سنغاي، دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا مجلة دراسات إفريقية، ع:37، مركز الدراسات الإفريقية، د.ت، ص 02. يظر أيضا: مبخوت بودواية، العلاقات، مرجع سابق، ص 48. ينظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 382. محمد فاضل إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص ص 211-212.

2- عطية مخزوم، مرجع سابق، ص 201.

3- جني: هي من مراكز العلمية و التجارية في بلاد السودان الغربي، يذكر السعيدي أنها تأسست في القرن الثاني هجري الموافق للثامن ميلادي، وهي ثالث مدينة أهمية بعد غاو و تمبكتو، دخلها الإسلام أواخر القرن الخامس هجري، زمن المرابطين، ثم انتشر الإسلام لتصبح سوقا عظيما للعلم و التجارة، يلتقي فيها أرباب الملح و الذهب، توجد على دلتا نهر النيجر الغربي على خط عرض 13⁰ شمالا و خط طول 9⁰ شرقا، عبد الرحمان السعيدي، مصدر سابق، ص 175. ينظر: =

1475م وقضى على قبائل المواشي الوثنية سنة 1483م¹. ثم ينتهي حكم الملك "سني علي" بعد ثمانية و عشرون سنة توفي سنة 1492م لينتقل الحكم إلى وريثه "أبو بكر" و الملقب "بكرير" وقد عرف بضعفه و فشله و ذبوع مفاسده، فلم يلق ترحيبا من العلماء و الرعية، لذلك عمل وزيره "محمد أبو بكر" الملقب "بمحمد الطوري" على الانقلاب عليه و الاستيلاء على الملك فلقب "بأسقيا أسيكاً" و التي تعني المعتصب، وكان ذلك سنة 1493م إلى 1528م²، فعرف عن هذا الملك الجديد و العهد الجديد الصلاح و حبه للعلم و العلماء و الاعتماد عليه في الحل و الربط، فبلغت بذلك دولته أوجها و علو سبقها في سائر شؤونها العسكرية، العلمية التعليمية و الإدارية، وبدأت سياسته التوسعية شرقا و شمالا و جنوبا فضم مناطق قبائل الفولاني و حوض السنيغال في الغرب و منطقتي أغدس و دندي و الهوسا شرقا و بلاد الموسي جنوبا³.

وقد مثل نهاية القرن العاشر هجري أي نهاية القرن السادس عشر الميلادي مرحلة هامة في تاريخ السودان الغربي و الأوسط خاصة على مستوى العلاقات الخارجية، بحيث أصبحت تعاني ضغطا من كيانين مهمين في الشمال و هي الدولة العثمانية و الدولة السعدية، كانت تسعى إلى اعتماد سياسة توسعية، و بالمقابل اعتبرت مملكة سنغاي أيضا من القوى السياسية آنذاك خاصة بعد وصول الأسكيا الحاج محمد إلى الحكم سنة 1493م.

وقد تكونت دولة سنغاي التي ورثها الأسقيا و أصبحت تسمى دولة الأساقبي من عدة أقاليم مثل دَندي و أَرَبند، هَبُوري و تَنك و دِرَم، تَارَا، باني و كَلَا و باغانَا و المدن الكبرى الأخرى

=مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 54. ينظر عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين: 1493م-

1591م، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، دون طبع، د.ت، الجزائر، ص 106.

1- زهراء بوكراييلة، الرحلة التجارية، مرجع سابق، ص 50.

2- عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 306.

3- زهراء بوكراييلة، مرجع سابق، ص 51.

مثل تنبكتو، جني، ماسينا، غاو ... وأصبحت كل من بلاد آبير وبلاد الهوسا تابعة لإمبراطورية سنغاي¹.

لم يستمر الحال على ما هو عليه في سنغاي بعد موت الأسكيا الحاج محمد، فقد واصل أبناؤه حكم المملكة لكن بدأ الصعف يدب في أركان الدولة و امتنعت آهير و الهوسا من دفع الجزية و استقلت بنفسها؛ وبدأ الصراع بين الأبناء و الأحفاد مما شتت وحدة السلطة خاصة في عهد الاسقيا داوود (1549-1580) عند ما كلف أحد أبنائه "محمد باني" بالاستقلال بحكم الجهة الشرقية عام 1578 م و هي نفسها المرحلة التي وصل فيها المد السعدي إلى البلاد بعد أن طالبه -الأسكيا- بدفع ضرائب تجارة الملح في تاغازا².

2- إمارة كانو:

هي حاضرة من أهم حواضر بلاد الهوسا التي تضم العديد من الإمارات فهي المدينة الدولة و هي عموما تمتد وسط القارة تتاخم بحيرة التشاد من الجهة الغربية تحدها من الشمال و الشرق كل من بحيرة التشاد و مملكة كام بورنو و غربا مملكة سنغاي، فهي أيضا واحدة من بلاد الساحل الإفريقي - منطقة بحيرة التشاد و حوض النيجر³.

وتضم بلاد "الهوسا" ست (06) إمارات أساسية هي: كانو- زانزا- كاتسينا- زازز- رزيا- جووير، بحيث تأسست إمارة كانو القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي بعد أن هاجرت إليها قبائل الونغايرة القادمة من مالي بزعامة فقيه يدعى "عبد الرحمن زيني سنة 750هـ -787هـ" و هي أيضا القبائل التي ساهمت في نشر الإسلام في كنو مع قبائل الفولاني في غرب إفريقيا وهي

1- أحمد بابا التنبكتي، المعراج، مصدر سابق، ص 17.

2- نفسه، ص 18

3 - Carbow (H) La région du Tchad et du Ouedei , P 11, Ierrouk, Paris, 1912, P 912.

قبائل كثيرة¹، لقد عرفت بلاد الهوسا في بداية القرن الخامس تحولاً جذرياً مع وصول الملك عمر "1431-1410"، حيث عزز الإسلام في البلاد و قام بتحطيم التماثيل الوثنية وبوصول خليفته السلطان يعقوب 1431م-1463م²، انتشرت المساجد و بدأ الإسلام يتعزز ليصبح ديناً للدولة، بدأت القبائل الفولانية خاصة في نشر و تعزيز الدين الإسلامي بإدخال كتب و متون اللغة العربية و الفقه و الحديث و التوحيد³، وفي عهد السلطان محمد رانغا-رونغا- (867 هـ- 904هـ / 1463م-1499م) جعل من الدين الإسلامي ديناً رسمياً و إذ نتحدث عن الهوسا فنحن بذلك نتحدث عن غمارة كانوا التي اعتبرت العاصمة التجارية، و هي أهم مدن الهوسا، حيث تقع على بعد خمسمائة ميل شرق النيجر، تذكر المصادر أنها تأسست كمدينة منذ القرن الرابع الهجري الموافق للعاشر ميلادي⁴، وقد اتخذ السلطان محمد رونغا الإسلام شعار الدولة و العلم مطية له لذلك عمل على التقرب من العلماء و تقريبهم منه و جعلهم في المقام الأول للاستشارة و أهمهم الشيخ العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي.

و يؤكد أحمد بابا التنبكتي أن خلال القرن السادس عشر، كانت كانوا و كاشطة تابعين لمملكة سنغاي خاصة في عهد الأسقيا محمد، لكنها لم تكن طواعية و لم تدم طويل. إضافة أن

1- عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا، مرجع سابق، ص 216.

يقول عنها أحمد بابا التنبكتي في كتابه معراج الصعود أنها: "أما كانوا فقد دخلها الإسلام قبل ذلك على يد التجار الونفريين ولكن لم تتأسس بها دولة إسلامية، إلا في نهاية القرن الخامس عشر... وكانت عاصمتها كائو مركزاً علمياً يتسابق العلماء المسلمون للتدريس به على سبيل المثال لا الحصر، المغيلي و البلبالي...". ينزر: أحمد بابا، التنبكتي، معراج الصعود مصدر سابق، ص 20.

2- يوجد اختلاف في تاريخ ولاية السلطان يعقوب بن عبد الله يورجا، بحيث يضع المؤرخ مهدي رزق الله، تاريخاً آخر (856 هـ- 867 هـ / 1463م-1452م). ينظر: أحمد رزق الله، حركة التجارة في الإسلام و التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، الرياض 1998 ص 395.

3- أحمد رزق الله، مرجع سابق، ص 395.

4- حسن الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ج2، ص 173. ينظر أيضاً: محمد بلو، اتفاق الميسور في أخبار بلاد الكورور، تح: بمية الشاذلي، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص 169.

كانو كانت تعاني الأمرين من جارحها خاصة الشرقية دولة كاتم بورنو، بحيث كانت تسعى لتوسيع دولتها غربا و سنغاي تحاول توسيع دولتها شرق فأصبحت كانو و كاشتا - كاشتيا- تحت الضغط¹.

3- إمارة كاستينا:

تكتب هذ الإمارة بعدة طرق كاستينا و يذكر صاحب المعراج - كنهف مجلوب السودان- بكاشتا²، وهو الأقرب إلى الصواب، بحيث يعد أحد سكانها؛ و هي الإمارة الثانية أهمية بعد إمارة كانو - كنو- في إمارات الهوسا، تقع في الجهة الشرقية منها، تأسست في القرن الرابع هجري و لم يدخلها الإسلام إلا مع نهاية القرن الرابع عشر مع إسلام أميرها "محمد كوارو" الذي حكم حتى عام 1430م³.

يذكرها أحمد بابا التنبكي معرفا لها: أنها تأسست كدولة مسلمة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر و أصبحت في عهد السلطان الثالث المدعو بالمرابط (1498-1524) محجة للعلماء و المصلحين من كافة الأقطار الإسلامية، أمثال محمد المغيلي و مخلوف البلبالي...⁴.

4- إمارة أغدس - أقدز:

تعتبر من أهم الحواضر في شمال شرق النيجر، ملتقى قوافل التجار في الساحل و الغرب الصحراوي، تأسست مركزا تجاريا من قبل أحمد بن عمر التارقي سنة 564هـ-1168م كما اعتبرت معبر لقوافل الحج لبلاد مالي، سنغاي و الهوسا، هاجر إليها الكثير من العلماء بحكم موقعها الجغرافي و مركزها العلمي كالعالمين محمد المغيلي و محمد الفزاني اللذان بنيا نسجدا أصبح

1- أحمد بابا، التنبكي، معراج الصعود، مصدر سابق، ص ص 19-20.

2- نفسه، ص 19.

3- عطية مخزوم، مرجع سابق، ص 217. ينظر أيضا: الهادي مروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2002، ص 121.

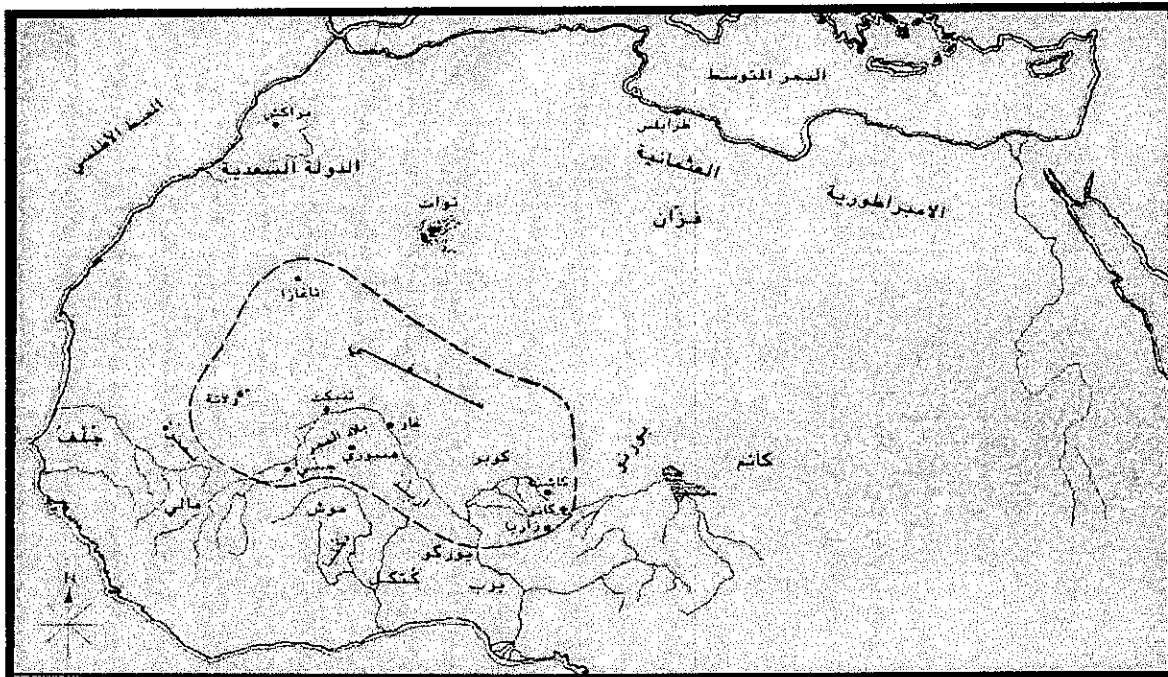
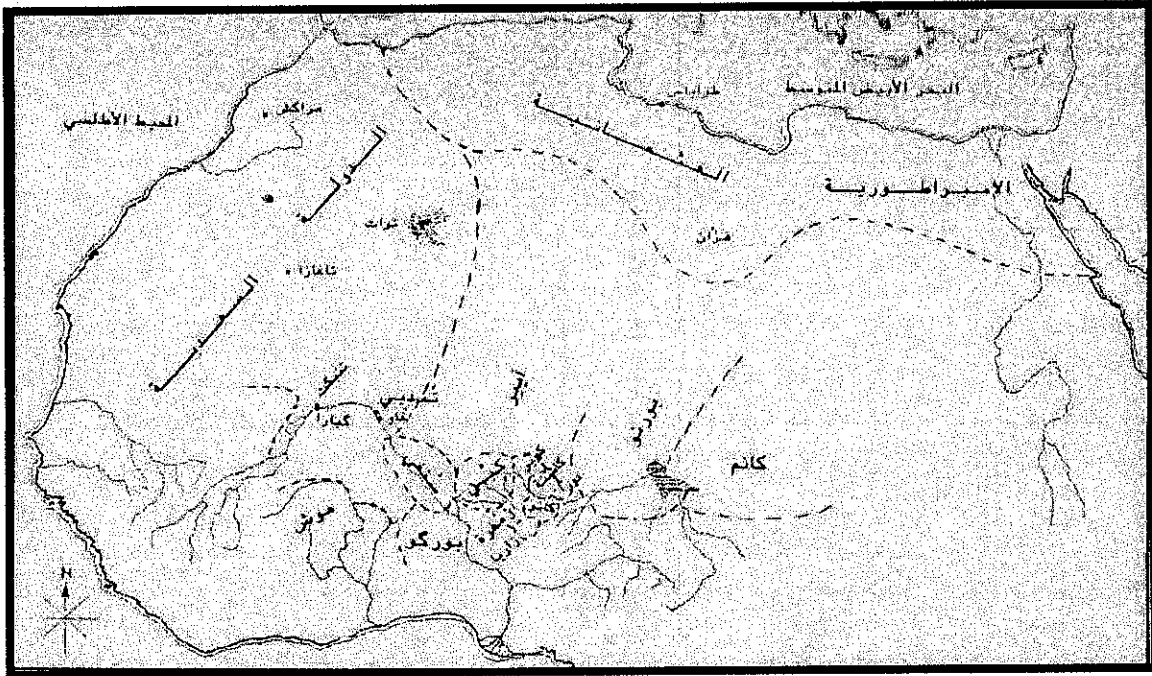
4- أحمد بابا، التنبكي، المعراج، المصدر سابق، ص 19.

منارة للعلم درس فيها خلق كثير على يد العالم الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي منهم العالم العاقب
بن عبد الله الأنصمي المسوفي¹.

1- محمد مولاي، العلاقات العلمية بين توات و بلاد الساحل الإفريقي خلال القرنين 11-12 هـ / 18/18م مذكرة
لنيل شهادة ماجستير، تخصص التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف: أحمد الحمدي، جامعة وهران، 2013-2014، ص
146.

الشكل رقم 06

بلد السودان مع بداية القرن السابع عشر ميلادي



بلد السودان في منتصف القرن السادس عشر ميلادي¹.

1- نقلا عن أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود، مصدر سابق، ص ص 38-39.

❖ الجهود الدعوية للعالم محمد عبد الكريم المغيلي في دول غرب إفريقيا:

قبل الحديث عن جهود المغيلي الدعوية في بلاد السودان الغربي و الأوسط، ارتأينا أن نتوقف عند شرح مصطلح الدعوة حتى يتبين لما مدى فهم هذا العالم المصلح للمعنى الحقيقي للدعوى الإسلامية التي تتماشى مع فهمه للقرآن علما و تدبرا ثم عملا، ولأجل هذا المسعى جاء في لسان العرب في مادة (دعا) ، إن الدعوى معناها الدعاء و الدعاء هو الرغبة إلى الله عز وجل و الدعاء واحد الأدعية¹ ، و في رسالة الرسول صلى الله عليه و سلم إلى هرقل: "أدعوك بدعاية الإسلام" أي أن كلمة الدعوى لغويا تفيد المحاولات القولية و الفعلية، من أجل تحقيق هدف. و تطلق كلمة الدعوى على الدين الإسلامي نفسه².

ويقول الله عز وجل: " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ... " ³، وأما اصطلاحا فكلمة الدعوة تعني تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس جميعا قولا وفعلا في كل زمان و مكان فقط تختلف وسائل الدعوة التي تتناسب مع المدعويين⁴.

بعد أن أنهى الشيخ المغيلي حربه على اليهود توات و تطهير أرضها من اليهود استخلف عليها ابنه عبد الجبار و أعطاه رسالة استخلافية يوصيه بها على تقوى الله في الحكم و بين له أمور سياسة البلاد؛ آثر المغيلي الهجرة إلى بلاد السودان عاملا على مواصلة الدعوة إلى الله⁵.

1- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج1، ص - ص 357،361.

2- عبد الحلیم الرحي، مفاهيم في فقه الدعوة و أساليبها، ط1، دار الحامد للنشر و التوزيع، المدينة المنورة، ص 18.

3- سورة فصلت، الآية 33.

4- حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك و الأمراء و العلماء، مذكرة ماجستير، في الشريعة الإسلامية، تخصص دعوة و إعلام، إشراف د: مولود سعادة، كلية العلوم الاجتماعية و الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، 1431 هـ -1432 هـ. ص 32.

5- اسماعيل ميغا أبو بكر، الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي، من 400 هـ -إلى 1100 هـ، ط1/ مكتبة التوبة، الرياض، 1997، ص 118.

و أول بلدة وصل إليها هي "أهير"¹، و تكتب -أصير- أوكاهر، بلدة صغيرة غرب إفريقيا ودخل تكدة و جلس ينشر العلم و يعلم الناس، و الشيخ المغيلي ممن يقرأ القرآن و يعمل به و هو أيضا من أصحاب الهم مؤمن قوي يغير المنكر بلسانه وقلبه و يده، فقد وجد في تكدة تلك القرية الصغيرة آخر مدينة تامسنا أهلها غارقون في الخرافات، فعمل على القضاء عليها و وجد أهلها يشربون المياه المالحة فحفر بئرا في طريق المارة و سأل الله أن يجعل مائه سائغا للشاربين ثم بنى مسجدا².

ثم اتجه المغيلي إلى مدينة كانو يهدف إلى نشر الدعوة جاعلا نصب أعينه أنه إذ صلح الحاكم سلمت الرعية فاتجه مباشرة إلى حاكم كانو "محمد بن يعقوب زنقا" - رونقا- (867 هـ- 904 هـ/1463م-1499م) وقد سبقت أعمال وسمعة العالم شخصه، لذلك رحب به السلطان و أحسن ضيافته وفتح له أبوابه ليحمله مستشاره الأول، لذلك استقر المغيلي بالإمارة و بنى مدرسته المعروفة باسمه و جلس يدرس فيها فقصده القاصي و الداني من طلاب العلم³. وفي ذلك يذكر أحمد بابا عن لقاء المغيلي سلطان كنو "واجتمع لصاحب كنو واستفاد عليه و كتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه على إتباع الشرع..."⁴.

وبعد أن انهي عمله الدعوي في كانو رحل إلى مملكة سنغاي على حكم الأساقي فدخل عاصمتها غاو سنة 1497 م، ليلتقي بحاكمها آنذاك محمد الحاج الكبير الملقب "محمد الأسيكيا"

1- نذكرها ابن مريم أصير، و أحمج بتبا التنبكي، آهر، و ابن بطوطة وصفها بكاهر، فقد وصف ابن بطوطة أثناء رحلته إلى السودان الطريق بين توات و تكدة بأنه طريق صعب المسالك كثير الحجارة يرفع المسافر مع زاد أربعين ليلة و قال أن المسافة بين توات و تكدا مسيرة شهر. ينظر: ابن بطوطة، مصدر سابق، ج2، ص 699.

2- مبروك مقدم، أجوبة الشيخ المغيلي للأمير الحاج محمد أبي بكر الأسيقيا الكبير، دار الغرب للتوزيع و النشر الجزائر، ص-ص 73،80.

3- خير الدين شترة، مرجع سابق، ج2، ص 460.

4- أحمد بابا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 577.

الذي سماه عبد الرحمان السعدي بامير المؤمنين؛ وكانت سمعته - المغيلي - قد سبقته إلى الديار السنغوية، لذلك رقي ترحيبا و استقبالا مميّزا لدى سلطان البلاد و قربه و جعله مستشارا¹.

1- رسائل الإمام المغيلي إلى سلطان كانو:

اعتمد الشيخ العلامة المغيلي تأليف الرسائل منهجا للإصلاح و الدعوة و النصح و الرد على القضايا التي واجهته في مختلف الميادين، وقد اقتضت الضرورة أن كان قلمه سيفا للجهاد و التغيير خاصة في الأمور السياسية التي لربما كانت ولا تزال ميدانا يخوض فيها العلماء، لكن عالمنا هذا كان ينظر في مؤلفاته و ينصح و يصحح.

و من بين ما كتب الشيخ المغيلي لسلطان كانو رسالتين هامتين في تاريخ إمارة كانو اعتبرتا دستورا سياسيا ووثيقة تاريخية سارتا على خطى تعاليم الدين الإسلامي.

الأولى عنوانها: "تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين"²، و الثانية عبارة عن وصية جاء إجابة عن السؤال الأمير محمد بن يعقوب زُمفا سماها: "فيها يجور للحكام في ردع الناس عن الحرام"³.

أما الرسالة الأولى الخاصة بشؤون الحكم فقد ضمّنها مقدمة و ثلاثة أقسام أساسية، أما المقدمة فقد ضمّنها مدخل عام للموضوع ودعاء للأمير دون ذكر إسمه لتكون الرسالة نفعاً للجميع، ثم تنبيه لعظم أمر الخلافة و بأنها تكليف لا تشريف إن لم يسر في رعيته سير العدل ثم المقدمة التي كانت للتذكير بيوم الآخرة و الحساب و العقاب.

ثم استدرك المغيلي رسالته بتقديم النصح و التوجيه و بالتالي اعتبرت هذه الرسالة عماد السياسة العامة للإمارة في أبواب ثمانية هي:

1- الباب الأول: فيما يجب على الأمير من حسن النية.

1- خير الدين شترة، الشيخ المغيلي، مرجع سابق، ج2، ص 479.

2- آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا و الشيخ عثمان بن فوديو، ط2، د.م.ن، 1971، ص 75.

3- خير الدين شترة، الشيخ المغيلي محمد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق، ج2، ص 460-461.

- 2- الباب الثاني: فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة.
 - 3- الباب الثالث: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته.
 - 4- الباب الرابع: فيما يجب على الأمير من الحذر من الحضر و السفر.
 - 5- الباب الخامس: فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور.
 - 6- الباب السادس: فيما يجب على الحكام من العدل في الاحكام.
 - 7- الباب السابع: في جني الأموال من وجوه الحلال.
 - 8- الباب الثامن: في مصاريف أموال الله¹.
- وكل تلك الأبواب كانت ردا للمغلي على رسالة الأمير محمد رنفا يطلب منه توضيحا لشؤون الإمارة و يطلعه فيها على واجبات الأمير و مهامه و يعلمه كيفية التسيير وفق الشريعة الإسلامية².
- وقد امتاز منهج التأليف عند المغلي خاصة في الرسائل أسلوب الاختصار و الدقة فجعل لكل سؤال إجابة دقيقة تستقل بمقدمتها عن السؤال الثاني وينهي كل إجابة بحملة مأثورة هي: "رأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية"³.
- وهي طريقة ذكية اعتمدها المغلي خاصة في الرسائل الموجهة إلى الملوك و الأمراء و التي تحتاج التركيز و الاقتصار. ويذكر معظم المؤرخين الذين تناولوا هذه الرسالة أنها كانت رسالة سياسية بصيغة دروس الوعظ العام⁴.

1- مبروك مقدم، مرجع سابق، ص-ص 82، 88.

2- نور الدين بوكريد، جهود العلامة محمد بن عبد الكريم المغلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد و التأثير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص ص 10-11.

3- نفسه، ص ص 11-12.

4- نصر الدين بن داود، قراءة في رسالة المغلي إلى السلطان كانو، "تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين" أعمال ملتقى دولي بتلمسان يومي 12-13 ربيع الأول 1433هـ/05 و 06 فيفري 2012، بعنوان الإمام محمد بن عبد الكريم المغلي، فقه السياسة و الحوار الديني، ص ص 132-133.

فقد وضعها أحمد بابا التنبكتي بما يلي: " واجتمع بصاحب كانو واستفاد منه و كتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها عن إتباع الشرع و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و قرر له أحكام الشرع و قواعده"¹.

لقد سلك المغيلي مسلك أسلافه الذين ألفوا كتباً في نصيح الملوك و إرشاد السلاطين مثل أبي الحسن الماوردي (ت: 450 هـ/1058م) في كتابه "نصيحة الملوك" و كتابه "الأحكام السلطانية"، و أبي نصر الحميدي (ت: 488 هـ/1095م) في كتابه "الذهب المسبوك في وعظ الملوك"، و الغزالي في كتابه (ت: 505 هـ/1111م) في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك".

وصية الشيخ المغيلي لأمير كانو:

عنوانها بالجواب التالي: فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، وقد وجهها الإمام للسلطان محمد بن يعقوب إجابة على سؤاله المتمثل في : عما يجوز للحكام شرعاً فعله لردع الناس عن الحرام؟ و نصها كما يلي:

"من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب، سلطان كانو وفقه الله لما يرضاه و أعانه على ما أولاه من أمور دينه و دنياه... سلام عليكم ورحمة الله و بركاته، أما فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله و إياك على رعاية ودائعه و حفظ ما أودعنا من شرائعه أنه لا بد من ردع المفاسد الدينية و الدنيوية بالمقامع الشرعية على حسن الطاقة البشرية، ولا يجوز أن يترك مفسد على فساده، مع إمكان ردعه عنه أو لعنه، أو حبسه أو ضربه أو صلبه أو قتله أو نفيه أو نهب ماله، أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية لكل داء دواء، ولكل مقام مقال ... و إن الناس في حكم الله و رسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالماً و لا عابداً و لا شريف و لا أميراً، وأقم حق الله على جميع عباد الله بالتقوى، ولا بالهوى... الله، الله، الله وهذه الوصية

1- أحمد بابا التنبكتي نيل الإبتهاج، ص 577.

هي أوكد جميع الوصايا أما يكفيك أن تظلموا باسم السلطة فتكونوا مذنبين ترجون رحمة الله ثم تظلمون باسم الشرع، حتى تكونوا كفارا و الكافر لا نصيب له من رحمة الله، فظهر مقام الشريعة من حيث لأنه مقام رسول الله، لعل الله أن يغفر لك ذنوبك جميعا والسلام على من اتبع الهدى و كتبه 897 هـ¹.

2- رسالة الإمام المغيلي لسلطان سنغاي:

هي أسئلة طرحها سلطان سنغاي محمد الحاج الكبير و المدعو "محمد الأسكيا" (ت 933 هـ/1538م) إلى العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي لما توسم فيه من علم وورع و نصح، وقد قربه منه و جعله مستشار²، فألف له أجوبة عن أسئلته عرفت "بأسئلة الأسكيا و أجوبة المغيلي" و التي اعتبرت وثيقة فقهية، سياسية، تاريخية استعان بها السلطان في توطيد دعائم ملكه³.

و هي أسئلة سبعة طرحها السلطان محمد يسأل الإمام الشيخ النصيحة و الحكم الشرعي فيها، وهو بذلك يعرض للشيخ المغيلي الأوضاع العامة لمملكته سواء أحوال العلماء المقربون لبطانته و أحوال الرعية في الدين و حال الحاكم و حكم أمواله إلى غيرها من الأسئلة مستغلا سعة اطلاعه و مكاتته العلمية، فوجد فيها الإمام المغيلي ضالته لبث أفكاره الإصلاحية و تصحيح أوضاع الناس وفق الشريعة⁴.

لذلك سنعرض مقتطفات من هذه الوثيقة ثم تعود لاستعراض أهم النقاط المطروحة فيها:

1- الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 85.

2- نفسه، ج2، ص ص 479-480.

3- مهند أحمد مبيضين، فتوى المغيلي مصدرا لتاريخ مملكة سنغاي، مقال على شبكة الأنترنت، ص 14. ينظر أيضا

حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مرجع سابق، ص 54.

4- مهند أحمد مبيضين، مرجع سابق، ص - ص 17، 14.

"من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي، إلى الأمير الحاج أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الملقب بأسكيا وفقه الله تعالى و نصره نصرا عزيزا وفتح له فتحا مينا بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته، أما بعد أعاننا الله و إياك على رعاية ودائعه و حفظ ما أودعنا من شرائعه فإنك سألتني عن مسائل، أولها أنك قلت مذ من الله علينا بالإسلام أصابتنا مصيبة في هذا البلد، لانعدم الأمانة فيمن ينتسب إليه العلم من قراء بلادنا...¹.

فطرح في المسألة الأولى ما تعلق بطاعة الأمير و بطاتته فبدأ المغيلي جوابه بتذكير الأمير بمخافة الله ووجوب طاعته، ثم يذكر الأمير بوجوب روح المسؤولية على الرعية مستشهدا بالكتاب و السنة، تمثلت المحاوراة بين الحاكم و العالم بما تبعته من المسائل السبعة وهي:

- المسألة الثانية عن عبادة الأشجار و أمر الشريعة في ذلك.
- المسألة الثالثة عن صور الظلم و كيف أن أخذ الحاكم رعيته ظلما و عدوانا.
- المسألة الرابعة يسأل الأمير الشيخ تفصيلا جديدا في شأن أتباع الملك.
- المسألة الخامسة يسأل الأمير عن موقفه كأمر المسلمين من بعض الأمراء و السلاطين.
- المسألة السادسة يسأله مرة الخامسة و سادسة عن الخراج و مستحقاته الشرعية.
- و السؤال الأخير جاء ملخصا لكل ما دار بين الأمير و العالم فيؤكد الملك على مسألة الشرك بالله و ما لف حولها من اعتقاد باطل².

1- محمد عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسكيا و أجوبة المغيلي، تق و تح: عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1974، ص ص 22-23. ينظر الشكل رقم 06 في الصفحة رقم 256.

2- محمد عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسكيا، مصدر سابق، ص 59.

لقد كان المغيلي على دراية تامة بأوضاع السودان لأنه عاش فيها ردحا من الزمن، و قد استقر في كانو و كاشنا و أكدز قبل أن يأتي إلى غاو بمملكة سنغاي، فجاءت أجوبته تمتاز بالشمولية و التفصيل تناول فيها الجوانب الدينية و الأحوال الاجتماعية و السياسية في البلاد ولم يبخل بإجابته و توضيحاته¹.

تكشف لنا هذه الأجوبة ما كان عليه المغيلي من تمكن و مشاركة في نشر الدين و مواصلة مساره الدعوي الإصلاحية خاصة ما تعلق بأمور السياسة لتصبح رسائله مرجعية دينية لبلاد السودان ككل².

كما تكشف الأسئلة أيضا على مدى حرص السلطان محمد أسكيا على تطبيق أحكام الشرع في كل مناحي السلطة ومدى تمسكه بالسنة النبوية على مذهب مالك، بحيث تعتبر مملكة سنغاي أول دولة إفريقية إسلامية اعتناء بالمدى المالكى دراسة و عملا، وتشير معظم الكتابات التي تناولت تاريخ سنغاي على عهد الأسكيا أنه كان ملكا على منهج سلفي³.

يتضح لنا من خلال هذه الأسئلة و الأجوبة التي جرت بين الحاكم و العالم مدى تمسك السلطان بأحكام الشريعة حتى يشرع حكمه كما يعمل على تأصيلها في المملكة وهو يعرف مدى تفشي الفساد و الظلم في البلاد، كما توضح أيضا جهود العالم المغيلي في التغيير بالتنوير عن الفهم الحقيقي لأحكام الدين فيما تعلق بالحاكم و المحكوم و هو منهجه الذي تفرد به عن سائر أقرانه من العلماء، و قد سار عليه منذ خرج من تلمسان سعيا لنشر الدعوى بتعاليمها الصحيحة بعيدا عن بلاد الحكام الظلمة متقربا من الحكام الذين يتوخى فيهم العدل.

يعتبر الإمام المغيلي من أوائل العلماء المحددين في بلاد السودان خاصة، في كنو و سنغاي فأخذ عن المسائل الفقهية و المعارف الإسلامية إلى النقاش ليصل إلى الهدف المنشود إليه خاصة

1- أبو بكر ميغا، مرجع سابق، ص 133.

2- مبروك مقدم، أجوبة الشيخ المغيلي، الجزائر، ص 73.

3- خير الدين شترة، مرجع سابق، ج2، ص ص 480-481.

في مناطق حديثة العهد بالإسلام، كان مبدؤه في ذلك نشر اللغة العربية و تعميمها و تأصيل الدين الإسلامي و تصحيح مفاهيمه¹.

❖ جهود أعلام قبيلة كنتة ونشاطهم الدعوي:

لقد لعبت قبيلة كنتة دورا رياديا في المد الحضاري بين الشمال و الجنوب، عموما -صحاري الغرب الإسلامي- فقد شكلت منارة علمية وصل شعاعها إلى مدن و حواضر إفريقيا الإسلامية، بحث يجمع المؤرخون أنها واصلت مشعل الدعوة و الإصلاح- للأولين في الديار الإفريقية- كالشيخ المغيلي و الشيخ محمد بلقاسم و غيرهما.

وقد نسبوا لها الأحقية في نشر سلطان الحرف العربي في بيئة غير عربية، حيث يقول الدكتور أبو ضيف: "... هناك قبيلة عربية واحدة كان لها أثر عظيم في إسلام الزنوج في منطقة جنوب الصحراء و منطقة النيجر الوسطى، وذلك هي قبيلة كنتة التي هاجرت في القرن التاسع الهجري من مواطنها في توات إلى أطراف تمبكتو و مع مرور الزمن انصهرت هذه القبيلة العربية الأصل و أصبحت قبيلة مغربية تدين لها الطريقة القادرية بانتشارها في غرب إفريقيا"².

ولذلك يمكن إدراج ري بعض المؤرخين في دور هذه القبيلة، حيث يصفها العلامة المغربي محمد المنوني في كتابه العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية "أنها كانت قناة حضارية ساهمت في نمو و استمرار العلاقات الثقافية و الروحية بل و الاقتصادية بين بلاد المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء طيلة خمسة قرون..."، بحيث يعد الشيخ محمد الكنتي أول مؤسس لمدرسة علمية و روحية في مجتمع البيضان و هو مرسخ الحرف العربي مع قبائل بني حسان العربية، فقد كانت قبائل لتونة تترجم المعارف و العلوم الإسلامية إلى لغتها حتى فرض عليهم الشيخ الكنتي الرجوع إلى الأصول من الكتاب و السنة و تدريس مدونات الأصول باللغة العربية، وقد كان له دور في اختيار دولة أبدوكل التي كانت تتحكم في الصحراء قرونا من الزمن و انتقل بذلك الحكم إلى بني

1- أبو بكر إسماعيل ميغا، مرجع سابق، ص 170.

2- مصطفى أو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ط02، مطبعة دار النشر المغربية، 1982 ص 269. ينظر: الصديق حاج أحمد، من أعلام التراث الكنتي، ص- ص 16-18.

حسان العربية، وأصبحت دولة بني حسان مكونة لمجتمع البيضان في البلاد لتظهر حاضرتين كان لهما دور في انتشار اللغة العربية و تعزيز المذهب المالكي و يؤمها العلماء وهما شنقيط¹ و ولاتة². وواصل جهوده الدعوية حتى استشهد على يد مجموعة من المرتدين فدفن هناك و لا يزال قبره هناك عند جبل "فصك" على بعد 420 كلم شمال العاصمة الموريتانية - نواكشوط³.

و من ذريته انتقل العالم عمر الشيخ بن السيد أحمد البكاي في رحلات دعوية إلى حوض النيجر و بلاد السودان، و من إعلام قبيلة كنتة من كان سبب في ربط الإقليم التواتي بالسودان

1- شنقيط: حاضرة من أهم حواضر السوداني الغربي، تقع في الساحل الغربي لإفريقيا، ومعنى كلمة شنقيط عيون الخيل. وقد عرفت بكلمة أير، تأسست ما بين القرنين الأول و الثاني هجريين حوالي 160 هـ-777 م. ذكرها السعدي أنها كانت عامرة مزدهرة بأي إليها قوافل التجار من كل مكان: توات، فاس، و رحلات وقد رجعت الزعامة فيها لقبيلتي إبدوعل والأغلل. وقد عمم اسم المدينة على كل البلاد الممتدة من الأزواد شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وأهم مدنها: أدرار، الساقية الحمراء، تشيت، ولاتة، وادان، عطار... ينظر: البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص-ص 29، 23. ينظر أيضا: أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، مقتطف من المسالك و ممالك، تح: دي سلان، د.م.ن، 1965 ص ص 163-164.

2- ولاتة: وقد سماها ابن بطوطة في رحلته إيواتن، حيث مكث فيها حوالي خمسين يوما ووظفها بالرخاء يباع فيها حمل التمر بعشرة مثاقيل إلى ثمانية فيها ضأن كثير وذكره أنها أول عمالة السودان، عرفت هذه المدينة بالتجارة في الملح حين يحمل الملح إلى بلاد تبتكتو حيث يبدل بالذهب، ويقول عنهم أحمد بن الأمين الشنقيطي أنهم أهل علم وصلاح. ينظر ابن بطوطة مصدر سابق، ص ص 392-393. ينظر: المختار ولد حامد، التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريتانيا) ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 89-99. وينظر أيضا: أحمد الأمين الشنقيطي الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ط2، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1958، ص 459.

3- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة و الرباط، عرض للحياة العلمية الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتقلة (المحاض)، منشورات المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1987، ص 32.

الغربي سواء بالتصوف أو التواصل العلمي، و منهم من جمع الاثنين معا خاصة أولئك الذين عملوا على نشر الطرق الصوفية في السودان¹.

ساهم الكنتيون في الجانب الاجتماعي أيضا خاصة ما تعلق بالحجيج، فبمجرد وصول حجاج السودان أرض توات يجدون الكنتين في استقبالهم في زاوية أقبلي في ساحة الحجاج فيحملون الراية الخضراء و معهم الشيخ الكنتي السيدي أبو أحمد أبو نعامة و هو شيخ الركب وقائد الرحلة قاطعين تيديكلت وقصر تيط و قصر عين صالح حتى ينتهي الركب إلى فزان فمصر ثم بلاد الحجاز، و من أم أعلامهم أحمد بن محمد الرقادي صاحب زاوية كنتة².

كان لقبيلة كنتة الفضل في تأسيس المدرسة الصوفية في توات و السودان الغرب خاصة منها منطقة الأزواد³.

و من الأعلام الكنتين الذين واصلوا راية الدعوة الشيخ عمر بن محمد بن مصطفى بن احمد الرقادي (ت 1157 هـ / 1744م) أحد أهم أعلام اللغة العربية في توات و السودان الغربي، تتلمذ على يديه خلق كثير منهم عبد الرحمان بن عمر التتلاي و الذي ذكر شيخه في فهرسته و جعله من أهم شيوخه، و من تلاميذه أيضا الشيخ محمد بن أب المزمل شيخ اللغويون في توات و هما أيضا واصلوا النشاط الدعوي في الأماكن التالية: قصر أولف، زاوية كنتة، وقصر توديني، مدينة مبروك، مدينة أروان و غيرها⁴.

1- عبد المجيد قدي، صفحات من تاريخ أولف، ط2، دار الأبحاث، الجزائر، 2007، ص- ص 151، 185. و ينظر: يحي ولد سيد احمد، ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكنتية و القصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009 ص 69.

2- أحمد شليبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ج3، ص 212.

3- حامد ملين إبراهيم، محمد حوتية، الأسر العلمية و أعلامها في منطقة أولف خلال القرن 13 هـ / 19 م، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، ع: 03، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ و الحضارة الإسلامية، ديسمبر، 2017 ص ص 26-27.

4- حامد ملين إبراهيم، محمد حوتية، نفسه، ص- ص 26، 29.

يتمثل دور الإقليم و أعلامه في بث الحركة العلمية و الفكرية في إقليم السودان الغربي و دول الساحل من بداية القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر هجريين، بحيث اعتبر إقليم توات لوحده رافد من روافد المد العربي الإسلامي في دول ما وراء الصحراء في السودان الأوسط و الغربي - دول الهوسا، مملكة سنغاي- بحث اعتمد أعلام توات التعليم و الدعوة و الإصلاح كمنهج سار عليه العالم الشيخ محمد عبد الكرم المغيلي ليقنتدي به سائر العلماء من بعده.

فقد اعتبر هذا الدور الدعوي الإصلاحي سببا في نشر اللغة العربية و الثقافة الإسلامية وإثراء الخزائن الإفريقية بالمخطوطات التواتية التي تتنوع ما بين الفقه و الحديث و التوحيد و علوم اللغة و المنطق و فنون كثيرة.

إذ تعتبر رسائل المغيلي للسلطانين محمد عبد الله رونقا حاكم كنو و محمد الحاج أسقيا سلطان سنغايا أمودجين لمعرفة جهود هذا العالم في إرساء تعاليم الدين الإسلامي التي تحفظ العلاقة ما بين الحاكم و الرعية، ثم اخترنا احد أهم القبائل التواتية ذات الأصول العربية كمثال لمعرفة الدور الذي قامت به هذه القبيلة في تأصيل سلطان الحرف العربي و تكون قائدة لسائر ركبان الحجيج القادمة من بلاد السودان إلى بلاد الحجاز و هي قبيلة كنتة التي اعتمدت على الطرق الصوفية كوسيلة لتعميم تعاليم الدين الإسلامي خاصة الطريقة القادرية البكائية.

خاتمة

يقول يحيى ابن خلدون في بغيته: "التاريخ هو ذكر أخبار السلف و عبرة للخلف، و تدوين أخبار العُظمَا ... و عظة و ذكرى لأولى الألباب؛ فقد كان هذا دأب الصالحين من أوائل العلماء و اقتدى بهم أهل العلم جيلا بعد جيل؛ في ذكر أخبار السلف من رجالات العلم و إعادة كتابة مناقبهم و تدوين أخبارهم في الدراسات الجديدة التي تتناول هذا الضرب من التأليف. من هذه الزاوية نُحْضِنَا دراستنا في ذكر تراجم أعلام توات تحت عنوان "اليبوتات العلمية بإقليم توات ما بين القرن 7 هـ - 11 هـ / 13م - 17م" و لعل ما رصدناه من نتائج ما يلي:

✓ إن دراستنا للتراجم عموما شكل من أشكال البحث الخيبي في استنهاض الهمة للبحث عن أخبار الأعلام التي لم تتناولها الكثير من الأعلام، أو أنها نسيت بالمرّة، فتكون بذلك هذه الدراسات إن شاء الله إضافة في التاريخ الإسلامي عامة و التاريخ التواتي خاصة.

✓ في دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على منهج التدرج من العام إلى الخاص، و قد تناولنا المدخل الذي جعلناه فضلا تمهيدا دراسة مونوغرافية للإقليم لأهداف كثيرة أهمها:

رغم أن هذه الدراسة تناولها الكثير، إلا أنها لا تزال يشوبها الغموض في مسائل كثيرة منها: أصل تسميتها، حدودها الجغرافية، تبعيتها السياسية. أما أصل تسميتها فإن وجه الاختلاف يعود لإخضاعها إلى مرجعية عربية أو بربرية أو حتى غربية و بالتالي تدخلنا في محك المقارنة التي لا داعي لها، فقد بدأ هذا النقاش عند أوائل من المؤرخين منهم السعدي عبد الرحمن و الرصاع صاحب الفهرست ثم واصل ذلك الجدل مؤرخوا المنطقة منهم صاحب نقل الرواة و جواهر المعاني و صاحب نسيم النفحات غيرهما، أما الاختلاف الجغرافي فقد تمثل في الحدود التي لم تكن ثابتة لكن ما يمكن الإشارة له هو أن موقع توات هو الذي أوفد لها العلماء من كل حذب و صوب و هو أيضا من جعلها معبر لرواد التجارة و لركاب الحجيج؛ و هو أيضا من جعلها محط أنظار الطامعين من السلاطين في المغرب الأقصى خاصة في العهد السعدي.

✓ و مما خلص إليه البحث أيضا إيضاح العوامل و الظروف التي ساهمت في ميلاد أسر استطاعت أن تكون يبوتات علمية أضافت لرصيد توات الثقافي الكثير و لم يتوقف عطاؤها في

الفترة المدروسة و إنما تضاعف خلال الفترة الحديثة من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر هجري، و قد تمثلت تلك الظروف في أن الإقليم التواتي هو إقليم صحراوي بعيد عن مسرح الاختلافات في الشمال، فكان تارة محكوما بيد سلطة معينة و تارة أخرى سائبا من دونها فجعل الإقليم دار أمن و آمان للمضطهدين من الأعلام و الأشراف و حتى بعض الحكام؛ و هم أيضا من مثلوا الوفادة العلمية التي كانت وفادة خير و بركة، لجعلت سببا في تنشئة بيوتات علمية في المنطقة، معظمها ليست محلية لذلك تنسب المصادر المحلية أصلها إما حسني شريف وصل للإقليم منذ سقوط الدولة الإدريسية في القرن الثالث هجري إلى غاية القرن العاشر هجري مثل الأسرة البكرية و أسرة أولاد القاضي وأبناء العالم الشيخ سليمان بن علي (ت 670هـ)، و إما تنتسب لأحد الصحابة كأعلام البيت الرقادي الكنتي الذين ينسبون إلى عقبة بن نافع الفهري، أو تنسب للأنصار الذين وصلوا عن طريق المحجرات الحجازية إلى الإقليم، كأبناء الأسرة البلبالية وهو ديدن كل أهل المغرب الإسلامي وحتى مسلمي السودان الذين يتهافتون ويتسابقون على النسب الشريف لأنه عز وافتخار أن ننسب إلى خير البرية و لكن يجب أن يعاد التحقيق فيه من جديد، فالرسول صلى الله عليه وسلم أيضا في معنى حديثه أنه قال من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه فهل يُعقل أن تكون الأرض أمازيغية بكل تقاسيمها و لا تنتسب إليها ولو عائلة على الأقل وفي هذه المسألة حاولنا البحث ولم نتوفق.

لقد توفرت في هؤلاء العلماء العوامل التي ذكرها ابن خلدون كالعلم و الشرف أو النسب و الجاه لكن ما لم يتوفر في هذه الفترة هو الأجيال الأربعة في البيت الواحد حتى يكون بيتا علميا لأنّ هذه الفترة تعتبر فترة ميلاد و انبعاث للبيوتات؛ مما صعب علينا العمل حيث أن العائلة الواحدة ربما لا نجد فيها إلا عالما أو اثنين فكنا محكومين أن نخرج نوعا ما عن الإطار الزمني المعمول به.

✓ وفي محور آخر خلصنا إلى أن دور المؤسسات التعليمية و العمائر الدينية في المنطقة كان من أهم أسباب بعث الإقليم من جديد بسواعد أولئك العلماء الذين سهروا على بناء المدارس

و الكتابات و الزوايا حتى أن معظم الزوايا سميت بأسماء أصحابها، و التي شكلت ركيزة أساسية في ترسيخ العلم في أفئدة أبنائها، فأصبحت توات بفضلها واحدة من الحواضر التي يرحل إليها العالم و الزاهد و طالب العلم، إضافة إلى المسعى الرئيسي و المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم للعامة و تأصيل اللغة العربية بعد أن كانت زناتية اللهجة، و تعزيز الاهتمام بالعلوم الشرعية خاصة منها الفقه و الحديث و التفسير على مذهب الإمام مالك.

✓ ثم عرجنا لعرض جهود و إسهامات هؤلاء العلماء في مضمار التأليف و المناظرة و الرحلة العلمية التي اعتبرت عامل مهم في إثراء المكتبات و الخزائن التواتية بمؤلفات نفيسة من المشرق و المغرب؛ أيضا رحلة علماء توات أضافت رصيذا علميا لهم و لطلبتهم تجسدت في غزارة تأليف بعض العلماء في اللغة العربية - شعر و نثر - و التأليف في فقه - النوازل - و التفسير و سائر العلوم كالطب و الحساب و الفلك و المنطق، وعلى ذكر المنطق فقد اعتبر العالم المحدد المغيلي (ت 909 هـ) رائد و ناشر هذا العلم، فكتب الكثير من المؤلفات منها: "فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب" وأشعار مناظراته الشهيرة مع الشيخ السيوطي (ت 911 هـ) في بلاد غرب إفريقيا وقد عُدَّ الشيخ المغيلي شيخ المؤلفين إذ له ما يربو عن الأربعين مؤلف و على نفس المنوال ظهرت مدونات لعلماء توات كالشيخ عبد الكريم بن احمد (ت 1042 هـ) الذي ضرب بسهم سبق في التأليف؛ كما اختص علماء توات بكتابة النوازل في القرن العاشر و القرن الثاني عشر هجري نخص بالذكر الرسائل و الفتاوى بين فقهاء المغرب الإسلامي في نازلة اليهود، هذه النازلة التي أخذت حجما كبيرا بين مؤيد و معارض لهدم كنائس اليهود و التي جمعها الونشريسي في الجزء الثاني من كتابه المعيار تحت عنوان "نازلة توات من قصور صحراء المغرب الأوسط" و هذا دليل على انتماء توات إلى المغرب الأوسط.

✓ انتقل علماء البيوتات العلمية من التأليف إلى المناظرة باعتبار أنها اعلى مستوى الحوار و المناقشة، تبين مدى تحكم علمائها في فنون الجدل العلمي بدون تحيز أو تحفظ، مما يدل على تأصيل ثقافة الاختلاف كل حسب وجهة نظره.

✓ ومن الرسائل أيضا رسالة معراج الصعود التي دار محورها حول حكم الشرع في المجلوبين من السودان- موضوع استرقاق العبيد من مسلمي السودان- و هل يحق ذلك شرعا أم لا؟ دارت المحاورة بين العالمين أحمد بابا التنبكتي و سعيد بن إبراهيم الجراري التواتي في القرن 11 هجري.

✓ إن تواصل المد الإشعاعي العلمي لأعلام البيوتات التواتية جعلهم يتصدرون المناصب العليا السامية خاصة في القرن العاشر و الحادي عشر هجريين فنزع جموع الناس لهم في حل مشاكلهم وفض خصوماتهم و فوضوهم لتولي منصب القضاء؛ حيث تعتبر خطة القضاء من المناصب العليا التي توكل لسلطة رسمية التي اختارت أن يكون البيت البكري أحد رواد القضاء ردحا من الزمن منهم الشيخ أحمد بن أبي محمد الأميري (ت 1008 هـ - 1600م) الذي اختاره السلطان منصور الذهبي، لكنه استعفى و اختار حرفة التجارة قائلا لئن يحاسبني الله على ألف قنطار أيسر من أن يسألني عن قضية فاصلة بين اثنين؛ ثم تولى بعده أبناءه و أحفاد من العالم عبد الكريم إلى البكري بن عبد الكريم و غيرهم من الأعلام.

انتقل منصب القضاء من بيت إلى آخر و من مركز إلى آخر نظرا للظروف الطارئة على الإقليم، فمن البيت البكري في تمنطيط إلى بيت أولاد القاضي في قورارة، ثم نقل مركز القضاء من تمنطيط التي كانت مقر رئاسة و قضاء إلى تيمي التي تحولت إلى عاصمة الإقليم التواتي بعد القرن الحادي عشر هجري، فأصبحت مركزا تجاريا أيضا تصدر البيت التنيلاي للقضاء فترة لا بأس بها ثم تأخذ الأسرة البلبالية المشعل و تواصل المسير.

✓ ما يمكن استنتاجه من هذه المحطة أن العلماء الذين شغلوا منصب القضاء كانوا أشد حزما و التزاما بتطبيق شعار و أحكام الإسلام في التقاضي دون هوادة و لا تهاون و لا يهابون في الله لومة لائم؛ هذه الصفات هي التي قربتهم من الرعية و رفعت منزلتهم عند الحكام.

إن هؤلاء القضاة لم يمنعهم انشغالهم بالوظيفة عن الانصراف للعلم و التعليم، بل كثير منهم من استعفى عن القضاء ليشغل في التعليم التي يعتبرها علماء توات المكان الصحيح للعالم و فعلا ازدهر التعليم بين القرن التاسع و القرن الحادي عشر هجري و راجت أسواق الكتب

و المكتبات الممتون و المدونات، بحيث أصبحت تجارة المخطوطات مثلها مثل تجارة الذهب آنذاك.

✓ لقد كان شغف علماء توات بالتعليم و بذلهم للجهد و الوقت و الوسع متين امتثالا لقوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" - سورة العنكبوت الآية 69، مما دفعهم لشّد الرحال جهادا في سبيل طلبه و تعليمه، هذا الذي رفع شأنهم بين أقرانهم و في مجالس الدرس في كبريات الحواضر الإسلامية، فها هو الشيخ عمر الأكبر التلاني يرتاد الرحلة في طلب العلم و يمكث أكثر من سبعة عشر سنة في مدينة فاس، يتلقى فيها العلوم على يدي أكبر المشايخ ثم يجلس على كرسي التعليم في المدرسة المصباحية و في جامع القرويين هبّت إليه جموع الطلبة من كل مكان سعيا للاستفادة و الاستجارة منه حيث اعتبر طلب الإجازة منتهى الراغبين في طلب العلم، مثلت آنذاك شهادة الأحقية لصاحبها.

✓ لم تكن المناصب العليا من عزمة العلماء في مباشرة أعمال أخرى كحرفة التجارة التي مثلت حرفة الأنبياء و سبيل للدعوة و الإصلاح و هي تجارة مع الله لا تبور فيها غنى الدارين الأولى و الآخرة؛ بحيث تعتبر التجارة و الصحراء أحد أهم محددات النجاح الاقتصادي، عرف العلماء كيفية استغلالهما، و من أعلام التجارة في توات علماء البيت البكري و الكنتي، بحيث وصل إشعاعهما التجاري و الدعوي إلى مشارف أرض السودان الغربي.

✓ كل ما ذكر من تفوق لهؤلاء العلماء يتجلى في اعتبارات كثيرة أهمها في جدلية الاختلاف في سبيل تحقيق التوازن الذي حثّ عليه الله عز وجل، حيث عملوا على ربط و تثبيت عرى العلاقات الثقافية بين عوالم أرض الإسلام دون النظر في الاختلافات السياسية و نزوات السلاطين و الحكام.

✓ بل قد علم علماء توات أنه بصلاح السلاطين تصلح الرعية فعملوا على توطيد علاقتهم بالحكام و السلاطين في بلاد السودان لتبليغ الرسالة و نصيح الأمة، على رأسهم الشيخ المغيلي الذي اعتبر من أشهر علماء القرن التاسع و العاشر هجريين في مجال الدعوة من خلال تأليف

غزيرة يشرح فيها سياسة الحكام في الإسلام لتكون مرجعية دينية في بلاد الإسلام عامة و بلاد السودان بشكل خاص، فمثلا يشير كثير من المؤرخين أن رسالة الشيخ المغيلي للسلطان "محمد أسقيا" واحدة من الوثائق الرسمية التي تؤرخ لمملكة سنغاي في السودان الغربي خلال القرن السادس عشر، و على هذا المنوال و هذا المنهج سار معظم أعلام توات الذين ارتادوا التجارة أو الدعوة أو التعليم وكلها تصب في مرد واحد مفاده نشر الإسلام و تصحيح تعاليمه في أمصار حديثة العهد بالإسلام.

✓ وفي آخر هذه المحطة يمكن نستنتج أن إقليم توات بالرغم انه لم تتوفر له نفس المقاييس و العوامل التي توفرت في كبريات الحواضر الإسلامية تلمسان وفاس و القيروان مثلا إلا أنه ارتقى إلى مصافها، إذ اعتبرت توات قبلة للصلاحاء و العلماء هؤلاء الأخيار الذين جعلوا من البذل و الاجتهاد مطية و من الصحراء مقر و من الكتاب و السنة مقرا إلى الله.

و أخيرا نقول كما قال العالم الحجوي:

كل أمر إذا تم بدا نقصه *** توقع زوالا إذا قيل تم

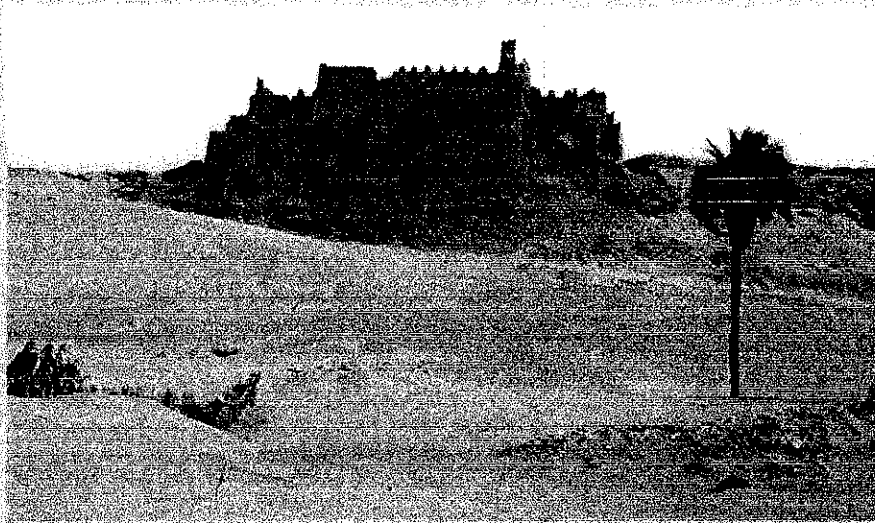
فإن أصبنا فمن الله و إن أخطأنا فمن أنفسنا و من الشيطان.

زهراء بوكراييلة

الملاحق

ملحق رقم: 01

صور لبعض القصور و القصبات القديمة لتوات.



القصبات والقصور القديمة

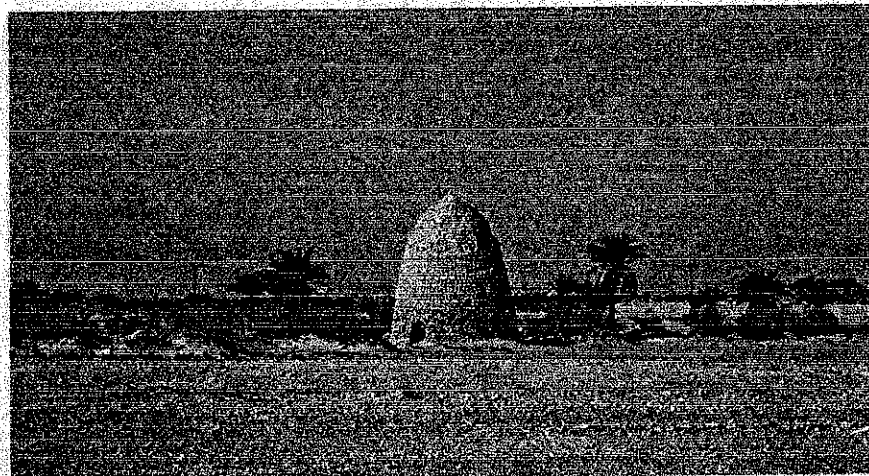


ملحق رقم: 02

صور لقصر تماسخت و سكنات قديمة.



تماسخت



سكنات قديمة

ملحق رقم: 03

أهم الزوايا و المدارس في الإقليم التواتي من ق 6 إلى ق 14 هجريين¹.

الرقم	اسم الزاوية	مكان التواجد	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس
01	زاوية بني حماد	قصر زاقلو توات	بنو حماد	القرن السادس الهجري (550 هـ)
02	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	مولاي سليمان بن علي	القرن السادس الهجري جماد (581 هـ)
03	زاوية محمد الطالب بن سليمان	قصر آدغا توات	قصبة محمد الطيب بآدغا	القرن الثامن الهجري (780 هـ)
04	زاوية سيد الحاج لحسن الشريف	قصر قنتور قورارة	الحاج لحسن الشريف	القرن الثامن الهجري
05	مدرسة تمنطيط	قصر تمنطيط	سي البكري	القرن التاسع الهجري
06	زاوية سيدي موسى و المسعود	قصر تسفاوت قورارة	سيدي موسى و المسعود	القرن التاسع الهجري
07	مدرسة بوحماد	قصر بوحماد توات	أبو حماد الجعفري	القرن التاسع الهجري
08	زاوية مراقن	قصر مراقن توات	سيدي محمد السالم	القرن التاسع الهجري (879 هـ)
09	مدرسة (زاوية) الشيخ المغيلي	قصر بوعلي توات	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن التاسع الهجري
10	زاوية سيدي أعمار	تينكرام شروين	سيدي أحمد الغريب	القرن التاسع الهجري
11	زاوية ميمون	قصر ميمون توات	الإدرسيون القادمون من تلمسان	القرن العاشر الهجري (916 هـ)
12	زاوية الشيخ عمر	قصر أقسطن قورارة	سيدي محمد بن عمر	القرن العاشر الهجري
13	زاوية الحاج بالقاسم	زاوية سيد الحاج بالقاسم	سيدي الحاج بالقاسم	القرن العاشر الهجري
14	زاوية سيدي باسيدي	قصر فاتيس قورارة	سيدي محمد بن عبد الله	القرن العاشر الهجري
15	زاوية الدباغ	قصر الدباغ قورارة	سيدي محمد الدباغ	القرن العاشر الهجري

1- نقلا عن جمعية الأبحاث و الدراسات التاريخية بأدرار: دليل ولاية أدرار، ماي 2000.

16	زاوية الحاج بو أمحمد	قصر تيلكوزة قورارة	سيدي الحاج بو أمحمد	القرن العاشر الهجري
17	زاوية سيدي عباد	قصر أولاد عيسى قورارة	سيدي عباد	القرن العاشر الهجري
18	زاوية الواجدة	قصر الواجدة قورارة	سيدي إبراهيم	القرن العاشر الهجري
19	زاوية بوشامية	بلغازي دلدول	سيدي بوشامية	القرن العاشر الهجري
20	زاوية ودغاغ	قصر ودغاغ قورارة	سيدي محمد بن أبي بكر الودغاضي	القرن العاشر الهجري
21	زاوية مولاي هية	بلدية تمقطن	سيدي أبو الأنوار مولاي هية	القرن العاشر الهجري
22	زاوية سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر قورارة	سيدي عومر بن أحمد بن الصالح	القرن الحادي عشر الهجري (1008 هـ)
23	زاوية كتته	قصر زاوية كتته توات	عبد القادر بن عمر المنتي	القرن الحادي عشر الهجري (1012 هـ)
24	زاوية بادريان	قصر بادريان	الحاج محمد الصوفي	(1033 هـ) و قيل (1004 هـ)
25	زاوية سيدي أمحمد بن أحمد	أومراد أولاد سعيد	سيدي أمحمد بن أحمد	(1085 هـ)
26	زاوية تنلان	قصر تنلان توات	سيدي أحمد بن يوسف	القرن الحادي عشر الهجري (1058 هـ)
27	زاوية الهلة	قصر الهلة توات	سيدي علي بن بوبكر	القرن الحادي عشر الهجري (1070 هـ)
28	زاوية سيدي أمحمد بن أحمد	قصر أومراد قورارة	سيدي أمحمد بن أحمد	القرن الحادي عشر الهجري (1085 هـ)
29	مدرية أنزجمير	قصر أنزجمير	علماء أنزجمير	القرن الحادي عشر الهجري
30	زاوية سيدي علي بن حنيني	قصر زاجلو توات	سيدي علي بن حنيني	القرن الحادي عشر الهجري
31	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني توات	مولاي عبد الله الرقاني	القرن الحادي عشر الهجري

32	زاوية سيدي عبد الرحمن بن محمد	قصر اغزر قورارة	عبد الله بن محمد بن علي	القرن الحادي عشر الهجري
33	زاوية سيدي زايد	قصر تبرغمين قورارة	سيدي زايد	القرن الحادي عشر الهجري
34	زاوية عين حمو	قصر عين حمو قورارة	سيدي الحاج بولغيت	القرن الحادي عشر الهجري
35	زاوية المطارفة	قصر المطارفة قورارة	الحاج محمد الصالح	القرن الحادي عشر الهجري
36	مدرسة كوسام	قصر كوسام	البلاليون	القرن الحادي عشر الهجري
37	زاوية بودة	قصر بودة توات	الشيخ محمد بن عمر	القرن الثاني عشر الهجري (1100 هـ)
38	زاوية الجديد	قصر الجديد توات	سيدي المختار المتني	القرن الثاني عشر الهجري (1112 هـ)
39	زاوية سيدي عبد القادر	قصر زاوية عبد القادر توات	سيدي عبد القادر بن عومر القرن	القرن الثاني عشر الهجري (1113 هـ)
40	زاوية مهديّة	قصر مهديّة توات	سيدي عمر المهداوي	(1119 هـ) وقيل (1207 هـ)
41	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيدي البكري توات	سيدي البكري بن عبد الكريم	القرن الثاني عشر الهجري (1120 هـ) وقيل (1109 هـ)
42	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر أقبلي تيدكلت	سيدي محمد بن عبد الرحمن	القرن الثاني عشر الهجري (1137 هـ)
43	زاوية تسفاوت	قصر تسفاوت توات	الحاج محمد لمجير	القرن الثاني عشر الهجري (1146 هـ)
44	زاوية بودة	قصر بودة توات	الجعفر الملقب صاحب 7 حججات	القرن الثاني عشر الهجري (1161 هـ)
45	زاوية سيدي أحمدادو	قصر زاجلو توات	سيدي أحمدادو	القرن الثاني عشر الهجري
46	زاوية سيدي أحمد بن سيدي باحمو	قصر زاجلو توات	أحمد بن سيدي باحمو	القرن الثاني عشر الهجري
47	المدرسة الطاهرية	قصر سالي	الشيخ مولاي أحمد الإدريسي	القرن الرابع عشر الهجري
48	مدرسة الشيخ بلكبير	أدرار	الشيخ سيدي محمد بلكبير	القرن الرابع عشر الهجري

الورقة الأولى من قصيدة الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي

هذه القصيدة للشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي الوافق
 رحمه الله تعالى من العمالي بالوافق
 بل كثر من نوحيا طرما على العطاء مصطبرا تشكور
 والتفكير في الوجود من باب علمه في صفة من مع النكير
 وان كعبك في العلم من باب علمه في صفة من مع النكير
 والاعمال وغيره من باب علمه في صفة من مع النكير
 ومضد الصدق والتكثير فان اليعنى من المصهور
 وحاد الدين واخترها توفير وطاويل بينة الحجة الجور
 ولا تخجبا على منرا كسير وعفة البضع ارجاع الفزار
 وخالوم ولي او شنهو بد ونحلة عافه وعلم فصار
 مجوسية وفرندو كتاب كذا كالمسلم دون الظهار
 مسابقة مخللة لعارح وكجينة عفة عفا الفزار
 منجبة على شرط مناب فحشة وزوجة نوهو فزار
 وسادسة وجمع ميراختا واقتن من بينه تبار

مخطوط للشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي خزانة كوسام، أدرار.

ظهر الورقة من قصيدة الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي

نكاح محرر وعمل حرام ونود سفة وعقد على سرار
 ومبتدأ على كابل ورب وجبر شيرة دون افتقار
 جامع حابض او دندمان وميل برائة وعمل على
 بدور غلافه وايطال شهر كما في جلدته انما طار
 وهذا كالم من بعض فض من ليليا والخبثيات
 ومالي وكعبه من الحج من الشبهه كالم من المير
 وترك محرر من بيع وغصبا ونفع او قمار
 وخمر مسكر وخذ بسلا واكلكا اجرة من مستحجار
 ومسحوق وخنزير وميت بغير ضرورة لذود سبار
 ومسلية وسخت او خداع واريسف ومهر من عهار
 وحوازل كاهنة وخذ واخمان الكلاب ونفس سبار
 من عيبه ونشر او ختلاب وتسعير ونشر واحتكار
 والكل او تغير وجهل وخذ خمر وبيع العرجار
 ومغصوب جهل او غلول ومال اليتيم او بخس المكابر
 ومغصوب

الورقة الثانية من قصيدة الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي

وصيفة الرواقر بنها وفيه من حرم ربنا آيات
 ولا تكتم عيوبكم متناع وبيع بغير البيع حرام
 وبيع اللحم بالحيوان فلا حذر من الأنداء وبالتميس عمار
 عن التعيس لهجر ونفخ وصعته منقح والزبد حرام
 فلا تقرب من النجس من التثريب حرام ولا يستأجر
 وبالنفيم والذم والرمق فاضر من الأنداء حرام حرام
 وبيع قبله الأقرمه سور من حرمه حرام حرام
 وبيع كدمه وأداته حرام حرام والغيل الضمار
 لكل من يبيع وعده وكبير بعيه الأنداء حرام حرام
 وبيع كدالة لا هو با علم وبيع البع ومع شركه العشار
 سقود حرماته وكبيع زرع فعوم مسافر حرام حرام حرام
 وزيت صبرة الزينور با منع خلاف فيعنه حرام حرام حرام
 ولا تقمع على سوم بسوم بعيه العيل الأمر حرام حرام
 ويعتد جأها الحكم شوم فلا ترسله في بيع حرام حرام
 بل الله يهون كل يبيع حرام با حرام حرام حرام حرام

ظهر الورقة الثانية من قصيدة الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي

وقبل الذم والابار فامنع وعمر قول العجاف بالكار
 بشره سلكه باقر صفا او اكثر قوة غير المشار
 ظفره في فريته ويسبح لباوم من دقيرة شعار
 ولا تسفه ولا تقصصه، تقربا لبعث من عرار البوار
 وان عجز بالانتم والى الله الا لعمري مع عار
 ولا تحمرو ولا تحفوا مع جميع النعم اجمع لا تمار
 ولا تفرغوا ولا تفرغوا مع ولا تفرغوا ولا تفرغوا
 ولا تعبت ولا تنكحوا ولا تعشروا ولا تعشروا
 وغير العجز العجز منها ولا يغروا تهوي الحوار
 مبالا ومبالا مستطاب عواقبه خسار وخسار
 فكم من سلك بالعجز او بدر باصحه ومثاله من صغار
 رسول القلب لا تنركم يعرج فيرءه النجس وجرفه منهار
 ولا تفر ولا تنكح رسول ولا تعجب يا لك من غبار
 وكره الكون تصبح عزيزا من زمانك وجوار
 ولا تحترم الاضار وسكن بل الخير بالافسح ارجار

والخطم

خاتمة القصيدة للشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي

وَطَرَعُوا النَّهْمِ بِمَنْعَتِنَا حَمَامٌ قُوَّةً جَنَانُ الْوَكُورِ
 تَمَّتْ
 وَلَهُ إِضْرَافُ حَيْلَةِ اللَّهِ وَعَادِ
 الْبَطْرِ الْبَرِّ تَعْرِفُ بِالْمَعْرِفِ وَالْمَلِكِ وَالْإِنْبَاءِ سَنَاءِ سَبْعِ الْعَمَلِ
 وَالْأَعْرَابِ سَمِيعِ فِي السَّمْعِ وَالْحَصْرِ وَاللَّجُونِ وَالشَّعَلِ
 وَالْأَنْهَارِ وَالْمَعْرِفَةِ هَوَّةِ الشَّرِّ وَالْأَنْوَارِ الْخَبِيرَةِ وَوَجَلِ
 تَمَّتْ
 الْعَبْرَةَ الْعَمَّ النَّاسِرَارِ النَّاسِرِ فِي مَعْرِفَةِ الْعَمِّ
 فَاصْبِرْ مَعِ فِرَاقِهِمْ يَا بَعْثًا وَفِي الْوَصْفِ يَا
 اللَّهُ وَتَعْرِفُ الْوَيْلَ بِنَفْسِكَ يَا بَعْثًا وَفِي الْوَصْفِ يَا
 وَفِي الْوَصْفِ يَا بَعْثًا وَفِي الْوَصْفِ يَا
 اللَّهُ وَاللَّهُ فِي الْعِزِّ عَظِيمٌ يَا
 أَسْمَاءُ الرَّحْمَةِ الرَّحِيمَةِ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى سَيِّدِنَا هَمِيمَةٍ وَوَسَلِّمْ وَعَصِبْنَا عَنَّا أَرْبَابِي
 نَزَّ وَتَرْتَرْنَا اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ وَوَسَلِّمْ

ملحق رقم: 05

جواب أحمد بن محمد بن زكي التلمساني¹:

الحمد لله، الجواب عن السؤال المكتتب في الورقتين قبل هذا هو أن نقول: هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية، و التشغيل فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية، فيتغير المشغب في المسألة بظاهر عموميات هي خصوصية، وكذلك المطلقات من النصوص و هي مقيدات على أن موضوعها إحداث الذمي كنيسة في بلاد الإسلام، و موضوع قضية للنزاع هدم ما وجد من كنائس مبنيا محوزا بيد الذميين دهرا طويلا و لم يذكر عليه أحد المسلمين، و لا يدل منع الإحداث على وجوب هدم المبنى المحوز على وجه الموصوف بشيء من الدلالة الثالثة، و لهذا الشيخ أبو حسن اللخمي بأن الظاهرة، من قول ابن القاسم و غيره بأن القديم من الكنائس يترك و لا يهدم و كذا قول صاحب الجواهر لا تتعرض لكنائسهم من قوله بعد هذا: فإن كانوا في بلدة بناها المسلمون فلا يمكنون من بناء كنيسة، و لا فرق إلا ما قلناه من أن المبنى من الكنائس القديمة لا يتعرض له و إن كان في موضع يمنع فيه الإحداث، فلا يستقيم الاستدلال على وجوب الهدم بمنع الإحداث. على أن نقول: ما دل منها بمومه و إطلاقه مخصوص و مقيد بمنع المعاهدين و الذميين إذا انتقلوا في بلاد الإسلام من موضع إلى موضع، و لم يخرجوا عن العهد و الذمة و سكنوا فيه و أرادوا إحداث كنيسة لإقامة دينهم، فإنهم يمكنون من بنائها و لا يمنعونها، و إنما يمنعون من إظهار ما لا يجوز إظهاره كالقراءة و ضرب النواقيس. و على هذا بنى ابن الحاج في مسألة النصارى الراحلين من العدو بأمر أمير المسلمين إلى موضع استقروا فيه و طالبوا ببناء كنائس في موضع استقرارهم، فقال هؤلاء النصارى وصفوا بالعهد و ذلك يقتضي ثبوتهم على ما سلف من العهد و العقد من الذمة و الوفاء لم واجب، فيباح لكل طائفة منهم و الحذر للمسلمين و قال: و رأيت لبعض المالكيين نحوه.

1- الونشريسي مصدر سابق، ج02، ص- ص 207، 225.

وهو الصحيح عندي، ثم قال و تميزت هذه المسألة عما اختلف العلماء فيه قديما و حديثا من المالكية و غيرهم لم أر لذكر اختلافهم هنا وجهها.

قلت: و أنا لا أر لهدم الكنائس المسؤول عنها وجهها. أما أولا فالأن الذميين المذكورين لو أرادو إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا فيه لساغ لهم ذلك، و لا يسوغ لهم منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو إحياء، إذ هم أهل ذمة على ما علم من حال اليهود في بلاد المسلمين إذ لا يعلم لهم فيها حرب، فعقد الذمة لهم قديم، فقد نص مشايخ المالكية على جواز نقل الذمي جزيته من بلد الإسلام، و ذمة المسلمين واحدة في كل بلد من بلادهم، فلا يتوقف في أمرهم، و إنما ينظر فيه لو كانوا نصرى كما أشار إليه ابن الحاج في نازلته، و لعمرى لو اتفق مثل ذلك لليهود لم يحتج لمثل ما احتج إليه من قوله هؤلاء قد وصفوا بالعهد إلى آخر ما ذكره، ففضية النزاع ابتداء مندرجة في جوابه اندراجا أخرويا لما علم من أن عقد الذمة أقوى من العهد. فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنيا محوزا بيد الذميين المذكورين من الكنائس، لها بأيديهم أمد طويل لا يعلم تاريخه، و لا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع و لا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم، فيجب القضاء بالملك لهم.

و قد قضى أهل المذهب المالكي الحائز موضعا مدة الحيازة بشروطها عشرة أعوام و نحوها بين الأجانب، و خمسين سنة بين الأقارب، لا سيما مع البناء و الهدم و لا أثر في ذلك لاحتمال الغضب أو التعدي، و على هذا الاصل بنى شيخنا سيدي أبو الفضل قاسم العقباني رحمه الله و رضي عنه فتياه للقصارين بتلمسان، فإنهم تملكوا مقبرة من مقابر المسلمين يتصرفون بها بالبيع و الاتباع و تورث عنهم، فقام عليهم قائم و أراد نزعها من أيديهم و تصييرها حيسا كسائر المقابر محتجا عليهم باتفاق المذهب على أن الميت إذا دفن في موضع فهو حيس، فأجاب الشيخ بأن الحوز بأيديهم مدة طويلة من غير نكير، و ذلك يوجب ملكهم و لا يسألون عن سببه و لا يحمل على أمره على العداء لإمكان طريان الدين على ملكهم لحصار و نحوه، فهذه الكنائس المسؤول عنها مندرجة في أفتى شيخنا بل هي أخروية، فنقول هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز

شرعا. بيان الصغرى ما تقدم من ثبوت ملك ما أريد هدمه للذميين المذكورين و احتمال التعدي فيها مرجوح الذمي معلوم من الدين. ضرورة. فهذا المنهج في تحضير مطلب المسؤول عنه كاف و بدفع الشغب عن القضية للمنيف واف.

ثم نتبرع بالكلام على ما يتمسك بظاهره في منع الإحداث فنقول: قد قسم غير واحد من مشايخ المالكية الأرض باعتبار إحداث الذمي فيها كنيسة ثلاث أقسام أرض للمسلمين و أرض لصلحيين و أرض عنوة و هي أيضا أرض للمسلمين. و لا خفاء في الفرق بين هذه الأراضي الثلاثة فالأولى ملك للمسلمين ملكا تاما يقبل نقل الملك بسبب من أسبابه و من ذلك الأرض المختلطة أي المعطاة و الخطة أي العطية. قال الجوهري الخطة بالكسر الأرض يختطها الرجل لنفسه و هو أن يعمل عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها لبيئها دارا. و منه خطط الكوفة و البصرة. قال الشيخ أبو إسحاق التونسي: ما اختط المسلمون من أرض فلهم أن يبنوا و يمتلكوا مثل القيروان التي اختطها العرب حين نزلوا لا شك في جواز بيعها. و أما أرض الصلح فعلى وجهين، الأول يعمرها الخراج. و أما أرض العنوة فهي المأخوذة من أيدي الكفار الحريين قهرا، و هي أيضا للمسلمين لا تقبل النقل للملك بسبب من الأسباب، فيمتنع فيها الاتياع و الإقطاع.

فأما الأرض الأولى فقد اتفقت المالكية على منع إحداث الذمي فيها الكنيسة، ففي المدونة و لا يجوز لمسلم أن يكرى داره أو يبيعها ممن يتخذ كنيسة. و في رسم يسلف في المتاع و الحيوان من سماع ابن القاسم من كتاب السلطان من العتبية: سئل مالك عن الكنائس التي في الفسطاط المحدثه التي في خطط الإسلام إن أعطوهم العراض و أكروها يبنون فيها الكنائس، قال أرى أن تغير و تهدم و لا يتركوا ذلك لا خير فيه. قال القاضي ابن رشد في البيان عند شرحه لهذه المسألة: هذا مثل ما في المدونة و لا خلاف أعلمه فيها.

قلت: و ليس في المدونة ما يماثل مسألة العتبية التي حكى القاضي ابن رشد فيها اتفاق تصورا و تصديقا إلا قولها: و لا يجوز لمسلم أن يكرى داره أو يبيعها ممن يتخذها كنيسة أو بيت نار.

فإن قلت: لعله أراد قولها: ليس لأهل الذمة أن يحدّثوا كنيسة ببلد الإسلام كنيسة.
قلت: لا يصح أن يريد ذلك، لأن الراد ببلد الإسلام عند شارحها بلد العنوة لا غيرها.
و الخلاف في إحداث الذمي فيها كنيسة منصوص عليه في المدونة عند ابن القاسم وغيره، و قد
أشار ابن رشد إليه في آخر كلامه.

ولا يقال: مراده الأرض المختلطة لأن الغير لم يخالف فيها ابن القاسم كما مخالفه في الأرض العنوة
حسبما هو ظاهر المدونة.

لأننا نقول: قد نقل الشيخ أبو الحسن فيها و في العنوة صريحاً، إلا أنه لم يعزه في المختطة للغير
المخالف لابن القاسم في أرض العنوة، و لفظه: اختلف في الكنائس في بلاد المسلمين في العنوة
إذا أقر فيها أهلها، و فيما خطه المسلمون فسكنه أهل الذمة على ثلاثة أقوال، فقال ابن القاسم
ليس لهم أن يحدّثوا كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، كانوا عنوة فأقروا فيها أو اختط ذلك
المسلمون فسكنها أهل الذمة معهم، إلا أن يكونوا أعطوا ذلك فيوفي لهم. و قال غيره لهم أن
يتخذوا ذلك في أرض العنوة إذا أقروا فيها.

وظاهر قولهما أن القديم منها يترك، قال ابن القاسم: و أما أهل الصلح فلا يمنعون من أن يحدّثوا
كنائس لأنهم بلادهم، و قال ابن المحشون في كتاب ابن حبيب: أما أهل العنوة فلا يترك لهم عند
ضرب الجزية كنيسة إلا هدمت ثم لا يحدّثون كنيسة و إن كانوا منعزلين عن بلاد الإسلام. قال:
و أما أهل الصلح فلا يحدّثون كنيسة في بلد المسلمين و إن شرط ذلك لم يجز و يمنعون من رم
كنائسهم القديمة إذا دثرت إلا أن يكون شرط لهم ذلك فيوفي لهم. و يمنعون من الزيادة الظاهرة
و الباطنة، و إن كانوا منقطعين عن بلد المسلمين و ليس بينهم مسلمون و كان لهم أن يحدّثوا
انتهى. فما نقله ابن عرفة منسوب إليه فيه قلق و نظر واضح. و أما الأرض الذي اتفق أهل
المذهب على جواز الإحداث فيها فهي أرض العنوة و المختطة، و كذلك أرض الصلح التي بين
أظهر المسلمين، فقال القاضي ابن رشد لهم الإحداث إن شرطوه، و نقل الشيخ ابن أبي زيد عن
عبد الملك في النوادر: ليس لهم الإحداث و إن شرطوه، و كلاهما لم يعرج على قول ابن القاسم في

المدونة كما نقله الشيخ اللخمي. و قوله في الكتاب إلا أن يكون لهم أمر أعطوه فسرره الشرايح بإذن الإمام.

و نقل الشيخ أبو الحسن عن الشيخ جواز الإذن للإمام في الإحداث إن كانت مصلحته أعظم مفسدته. فظهر بما ذكرناه و قررناه أن الأرض التي بنيت فيها الكنائس المسؤول عنها ليست من الأرض المتفق على منع الإحداث فيها، إذ لم يثبت أن المسلمين ملكوا الذميين الأرض أو منفعتها على أن يبنوا فيها تلك الكنائس، فاحتمل أمرها وجهها واحدا فاسد و وجوها كثيرة من الصحة، إذ يحتمل أن يكون التملك للسكنى ثم بدا للذميين بناء الكنيسة لإقامة دينهم و الملك المعتبر للذمي مصحح لإحداثه الكنيسة فيه على مقتضى قول ابن القاسم في المدونة، إذ به فرق بين أرض الصلح يجوز فيها الإحداث و بين العنوة فمنعه فيها. و كذلك يعتبر الملك على قول ابن الماحشوني أيضا، غير أنه جعل شرط تأثيره السلامة من مخالطة الذميين للمسلمين خشية الفتنة على الضعفاء، و لذلك أجاز الإحداث للمنقطعين عن المسلمين إن لم يسكنوا معهم. إلا أن الإمام المازري قال إنه خلاف المذهب، و مما يحتمل إذن جماعة المسلمين للذميين في الإحداث و هي قائمة مقام الإمام في الموضع الذي لا إمام فيه، أو تكون الأرض محيأة فملك الذميون بالإحياء على القول بصحة إحياء الذمي في غير جزيرة العرب و هو مختار الباجي، أن تكون الأرض مختلطة و أذنت الجماعة لمصلحة في الإحداث هي أرجح من المفسدة، و يصير ذلك كحكم من حاكم في محل الخلاف فيرفعه، أو قدم الذميون على الموضوع السكني فيه عن عهد معتبر سابق كما تقدم.

وقد لاح في أصول الفقه أن وقوع واحد من شيئين فأكثر أقرب من الوقوع واحد بعينه. ثم إن الحوز الثابت للذميين على ما ذكر مانع من اعتبار الفساد و إن احتمل بمقتضى ما تقرر في الفقه فلو قدر الترافع في الكنائس الموصوفة إلى حاكم موصوف بالعلم و العدالة لا يقضي بها سوى بالصحة، و لو قضى فيها بالفساد لاحتماله مع قيام موجب الصحة لنقص حكمه. و لم يخرج عن حكم الأصل سوى مسألة واحدة نبه مشايخ المالكية عليها، و هي إذا ادعت المرأة على

زوجها الوطاء في خلوة الاهتداء و هي محرمة أو حائض أو في نهار رمضان و أنكره الزوج، و قال في المدونة: فالقول فيه كالقول في الوطاء الصحيح في وجوب جميع الصداق و قيل قول الزوج عملاً بالأصل المقرر.

و إنما لم يعتبره في المدونة في هذه المسألة من أجل الوازع الطبيعي فقدمه على الوازع الشرعي. هذا كله مما يتعلق بالمقدمة الصغرى من القياس و هي قولنا هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة. و أما ما يتعلق بالمقدمة الثانية و هي الكبرى القائلة: و ظلم أهل الذمة لا يجوز شرعاً، فنقول: قد أمر الله بالوفاء بالعهد، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا بيوت المعاهدين إلا أن يأذنوا لكم. و قد تضافرت الأحاديث عنه عليه السلام بالنهي عن الظلم أهل الذمة فلا سبيل إلى استباحته، فلزم صدق النتيجة و هي: هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعاً، ثم خروج أهلها إن خرجوا عن الحد الواجب عليهم لا يستلزم استباحة أموالهم إلا أن يكون ذلك مما نص أيتمنا أنه نقض للعهد، كما إذا تمردوا على الأحكام و منعوا الجزية أو برزوا لقتال المسلمين لا بالحراة على المشهور. و عليه فحرم المحارب منهم حكم المحارب من المسلمين، أو ثبت إكراه الذمي حرة مسلمة على الزنى، فمكرها ناقض للعهد أو غيرها بأنه مسلم فتزوجها، و كذلك إن خرج لدار الحرب يريد السكنى بها ما لم يكن خروجه لظلم لحقه فإنه لا يسترق على المشهور. و في الجواهر عقد الذمة يقتضي و جوباً علينا و عليهم، فحكمه علينا و جوب الكف عنهم و أن نعصمهم بالضمان نفساً و مالا و لا نعترض لكنائسهم و لا لخمورهم و لا لخنائزيرهم ما لم يظهروها، فإن أظهرها الخمر أرقناها عليهم و إن لم يظهروها و أراقها مسلم فقد تعدى و يجب عليه الضمان. و قيل لا يجب.

قلت: مبنى الخلاف في هذه المسألة و ما يشبهها اختلاف الأصوليين في خطاب الكفار بالفروع و هكذا يكون حكم الأمور التي هي من شرعهم فإننا لا نعترض لهم فيها ما لم يظهروها فيتقدم إليهم فيها، فالتغيير عليهم كتغيير المنكر على المسلمين بشروط ثلاثة:

الأول: العلم بالمعروف والمنكر، والجاهل لا يصح منه أمر ولا نهي، لأنه قد ينهي عن المعروف ويأمر بالمنكر. وقد نص بعض المتكلمين على أن المنهي عنه والمأمور به لا بد أن يكونا مجعما عليهما بالأمر بالوجوب والنهي والتحريم، فيخرج المندوب وما اختلف في وجوبه، وكذلك المكروه وما اختلف في تحريمه.

الثاني: الأمن من أن يؤدي إنكار المنكر أكبر منه، كمن ينهي عن شرب الخمر بحيث يؤول نهيته إلى قتل نفس. فغن لم يؤمن ذلك لم يجز التغيير كما ذكر من أراد هدم الكنائس المسؤول عنها. فبتقدير أن يكون بقاؤها منكرا لم يجز تغييرها على أهل الذمة. وقد اتفق العلماء على قتال الذميين وهم لم ينقضوا العهد. فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم إلا أن ينقضوا عهد الذمة وحيث لم ينقضوا عهد الذمة يكون حراة ومن باب السعي في الفساد في الأرض فالساعي في ذلك مندرج في آية الحراة وهي قوله تعالى: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا» الآية.

الثالث: أن يعلم المنكر أو يغلب على ظنه لم يجب التغيير، الشرطان الأولان في الجواز، والثالث في الوجوب، فإذا عدم الشرط الأول والثاني لم يجز الأمر ولا النهي، وإذا عدم الثالث وجد الأول والثاني جاز أن يأمر وينهي، ويدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشروط الثلاثة قوله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «و الذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليصرفن الله قلوب بعضهم على بعض و يلعننكم كما لعن بني إسرائيل كان إذا عمل العامل منهم بالخطيئة نحاه الناهي تعريزا فإذا كان من الغد جالسه و آكله و شاربه و كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله في ذلك صرف قلوب بعضهم على بعض و لعنهم على لسان نبيه داوود و عيسى» صلى الله على نبينا و عليهما و على سائر النبيين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و كل ما وقع من السؤال من الحجج و المحاجة صواب أرانا الله الحق حقا و رزقنا إتباعه، و جنبنا طرق الباطل و أشياعه، بمنه و فضله و جوده و طوله. و كتب عبد ربه أحمد بن محمد بن زكريا لتلمساني لطف الله به.

ملحق رقم: 06

جواب أبي مهدي عيسى بن أحمد الماواسي¹:

الحمد لله وحده دائماً، الجواب والله سبحانه الموفق للصواب بفضلته، إن منزلة نوات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار إسلام، فلا تنبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وإن قال به جماعة من العلماء، إلا أن يكون ذلك شرطاً لهم في عقود جزيتهم فيهم بما عهد لهم في جزيتهم. هذا هو مذهب المدونة وهو قول ابن القاسم المعمول به والمعروف له، فلا يحسن العدول عنه مع ظهوره ووضوح وجهه، إلا أن يثبت عند هذا المفتي بتقرير الكنائس المذكورة أن حدوثها كان شرطاً لليهود في عقد جزيتهم كما جرى العمل بذلك في كثير من بلدان الإسلام فتصبح فتياه و يحسن تقريره لموافقته للمشهور. وأما ذكره حفظه الله تعالى من الأقوال المسروقة فحسن مساقها ن وما حكاها المخالف من الإجماع المنعقد على هدم كنائسهم، فإن كانوا بالحالة المعروفة لأهل الذمة من أداء الجزية عن يد وهم صاغرون، فذلك من تحكوماته. وإن خالفوا الحالة الموصوفة وكانوا ناقضين للعهد فقلوه حسن. وكذلك كل ما ضربه القائل المذكور من الأمثال لا ينبغي إجراؤها إلا فيمن نقض العهد من الذميين، وإما غيرهم فلا. وما نقله الشيخ أبو محمد الصالح أن أرض الإسلام ليس لأهل الشرك إحداث كنيسة فيها فقد جرى في نقله على المشهور المشار إليه قبل هذا الاتفاق للعلماء على الحكم في المسألة بما قرره، فلا حجة فيه لمخالفكم ولا في نظير هذا النص مما بعضد فيه ناقله الوقوف مع المشهور. وما ذكره صاحب السؤال من الاحتجاجات على مختاره حله صحيح لا يكاد يسقط منه شيء في النظر والاستدلال سوى محال يسيرة ينبغي مراجعة النظر فيها وإعادته إليها. والله سبحانه أعلم. وقد ذكر الشيخ الإمام أبو العباس بن إدريس القرافي في القرن الثامن عشر والمائة من قواعده عن ابن حزم في مراتب إجماعه الشروط المشتركة في أداء الجزية.

1- الوثنريسي، مصدر سابق، ج2، ص ص 225-226.

ملحق رقم: 07

جواب فقيه تونس محمد بن قاسم الرصاع¹:

الحمد لله وحده، سلام الله الأتم، و رضوانه المبارك الأعم، يخص سادتنا و موالينا الفقهاء و العلماء و من يقف عليه من الأجود حفظهم الله. سألني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتره أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، و ليس للمسلمين أن يبيعوا الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، و لا مانع لهم من شراء ما يينونه لسكانهم إذ هم يؤدون الجزية و هم تحت ذمة المسلمين و جزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعا و كرها، و لا يقصدون بأذية و إذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون و السلام. قاله محمد بن قاسم الرصاع لطف الله بالجميع بمنه.

1- الونشريسي، مصدر سابق، ج2، ص 227..

الغزالي رحمه الله في القضية المشهورة. و العاقل إذا أراد إحياء سنة و إماتة بدعة ينظر أولاً إلى العقبة و المآل، دون ما يقتضيه له الحال، فكثير من الأمور يكون خطبها في الحال يسيراً و يصير في المآل عظيماً، فيندم حيث لا ينفعه الندم و يقول يا ليتني لم أفعل و من أكبر حجة في ذلك سكوت العلماء و الصالحين عليها في سائر أقطار الأرض و تغافلهم و تركهم لها على ما وجدوها عليه، إذ في مخالفتهم عين المنكر من حيث نسبهم به إما للقصور و التقصير أو رميهم بالجهالة أو البدعة و الموافقة على المنكر أو المداهنة. و في ذلك ورد: من قال هلك الناس فهو الهالك في الحقيقة، فقد أدخل عليه الشيطان من التعجب بنفسه و فساد اعتقاده على أهل العلم و نسبتهم إلى مخالفة الشريعة ما فيه هلاك الأبد، و سكوت أهل زمان على أمر حجة، فكيف بأزمة متصلة لا يدرك لها مبدأ؟ و قد جعل العلماء رضي الله عنهم تواطؤ العلماء على إقامة ليلة القدر في سائر الأقطار ليلة سبع و عشرين على أنها هي، فكذلك جواز نقش القبور و الكتب عليها تمالأ أئمة المسلمين عليه شرقاً و غرباً بأخذ الخلف عن السلف مع مصادمته للأحاديث الواردة بمنعه جعلوه حجة، إلى غير ذلك من مسائل وقعت في المذهب تدل على ذلك.

و الحاصل الذي عليه الاعتماد و إيه الاستناد في هذه القضية، أن لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال حيث كانت، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعاً و لا يخالف في هذا أحد من المسلمين. و المتعرض كذلك عاص و إن كانت المفسدة مأمونة في الموضع الذي منه السؤال، إذ لا يومن وقوع الفساد في غيره، و هذا هو الحق الذي لا محيد عنه. فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكماً من الأحكام الشرعية و جعل له نظراً على عباده أن يضرب على يد القائم و لا يمكنه من هذا الغرض، فإن مفسدته أعظم من مصلحته فيما ظهر. و الله سبحانه و تعالى أعلم. و كتب عبد الله سبحانه يحيى بن عبد الله بن أبي البركات الغماري لطف الله به.

ملحق رقم: 09

جواب الفقيه محمد بن يوسف السنوسي التلمساني¹:

و تقييد بعقبة بخط الفقيه الإمام الصالح الناصح أبي عبد الله سيدي محمد بن يوسف السنوسي ما نصه.

و الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و سيد المرسلين و من ملته الشريعة السمحة باقية ظاهرة على جميع الملل إلى يوم الدين. من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي غفر الله تعالى له و لوالديه بلا محنة، إلى الأخ في الله الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتساع بالذكرورة العلمية و الغيرة الإسلامية و عمارة القلب بشريف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، حفظ الله تعالى حياته، و بارك في دنياه، و ختم لنا وله و لسائر المسلمين السعادة و المغفرة بلا محنة يوم نلقاه.

بعد السلام عليكم و الرحمة و البركة، فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية و الشجاعة العلمية من تغيير إحداث اليهود أذهم الله تعالى و أخذ كفرهم للكنيسة في بلاد المسلمين ن و إنكم حرضتم أهل تمنطيط على هدمة الكنائس التي لليهود ببلادهم، فتوقفوا من جهة من عارضكم في ذلك من أهل هؤلاء، فبعثتم لأجل ذلك إلى بلدنا أسئلة و مكتوبات تستنهضون بها هم أهل العلم لينظروا في المسألة نظر أهل العدل و الإنصاف، و بينوا الحق فيها بيانا شافيا قاطعا لكل خليط و تشغيب يؤد أهل الهوى و الانحراف، فاعلم يا أخي أني لم أر من وفق لإجابة هذا المقصد و بذل وسعه في تحقيق الحق و شفي غليل أهل الإيمان في هذه المسألة و لم يلتفت لأجل قوة إيمانه و نصوع إيقانه إلى ما يشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تنقي شوكته، و يخشى أن يقع على يده إضرار أو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة على الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله بن عبد الجليل التنسي، بارك الله تعالى له و متعه و متع المسلمين

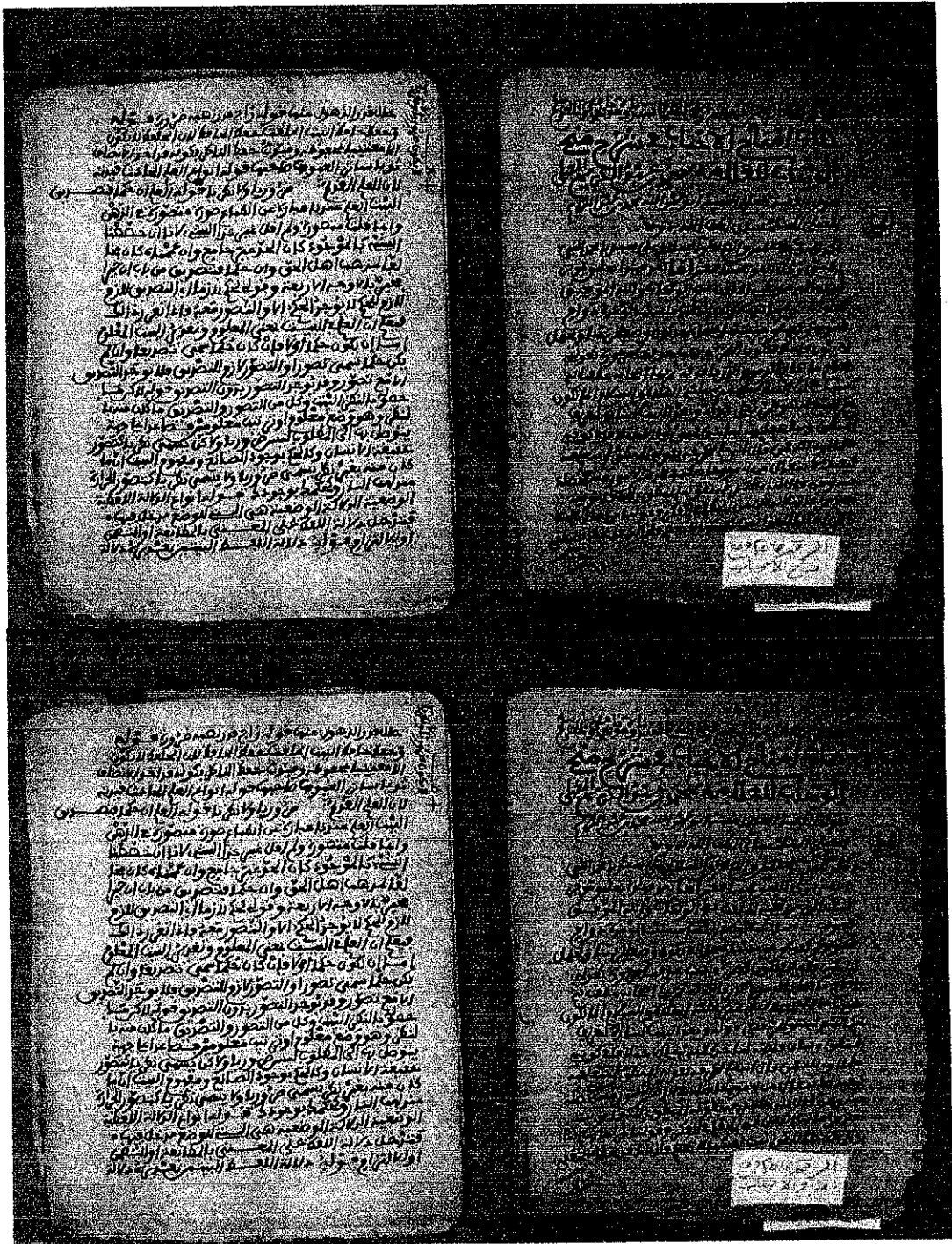
1- الونشريسي، مصدر سابق، ج2، ص- ص 252، 254.

بيقائه، فإنه جزاه الله خيرا قد مد في إبانة الحق و نشر أعلامه النفس، و حقق نقلا و فهما و بالغ في ذلك حتى أبدى من نور إيمانه الماحي لظلمات الكفر و آثاره أعظم قيس على ما تقفون عليه في جوابه المكتوب هذا بآخره. فليعمل أهل تمنطيط و غيرهم من أهل الإسلام على ما أبداه من الحق في ذلك الجواب، و لنبدوا ما خالفه إن أرادوا الفوز بشرف الإسلام و إعزازه و إصابة وجه الصواب، الله سبحانه المسؤول أن يوقفنا و سائر المسلمين للتمسك بالحق ن و إحماد الباطل و إعزاز دين الإسلام، و أن يمحو الكفر و آثاره من جميع بلاد محمد صلى الله عليه و سلم. و السلام عليكم و على من يقف على هذا المكتوب و رحمة الله و بركاته.

الورقة الثانية من المخطوط

وشبهه كل ان يكون جامعاً ومما هو اللسان جامعاً
ضمائم التضرعات
 ما اختلف الصواب لثأ من حلو الخ المصحح في
 كماله يصح بالموضوع ما كان على قوله مقرباً
 فلا يسمي الكوا والجملة له ان في قوله فدانها
 وان على الكلي سوزة فكله فهو مسوراً فمثلاً
 وسوزة كل وبعضه لا يسمي بعضاً او مثلاً
 وان يكتفي ان كان فيها جثة بشرية وجزءها
 مفرغ فمثلاً ان يجعل بينهما تارة فيجعل
 اما بوضع اوجع اوها وهذا العقبى احضرها
التناقض
 ان التناقض اختلاصاً لانه في غير التناقض
 جماعياً كقولها كذا وكذا واحر جمعاً منها
التعكيب
 تعكيب الشيء تعويلاً به كما جعلت التناقض مقرباً

مخطوط: إمناح الأحباب في شرح منح الوهاب¹:



1- محمد بن عبد الكريم المغيلي، إمناح الأحباب في شرح منح الوهاب، نسخ بيد المختار بن محمد بن حمى الله بن محمد بن مختار الملق بالشواف، خزنة رقم 504 لدولة موريتانيا.

الباب الثالث عشر

في علاج الجراحات فعمدة كرت في التفسيح من
 علاج الجراحات ما شاكل الكتاب وأناة اكر
 علاجهما باليد وباله فربما على الكمال ان شئت
 الله تعالى فاقول ان الجراحات تختلف بحسب الشئ
 الذي به يكون الجراحة وبحسب الموضع الذي
 يقع عليه الجرح والاشياء التي بها تكون
 الجراحات كثير كصكة حبر او فقع سبي
 اوسكين او كعنة برمع اوسهم ونحو ذلك
 من اشياء كثيرة واما الجراحات التي بحسب المواضع
 من الجنب فله الجرح الذي يقع على الرأس او العنق
 او الصدر او البطن او الكبد ونحوها من الاعضاء
 وأنا واصف بعض الجراحات لتجعلها فيما وافان
 على سائر الجراحات وأنا أبتدئ في جراحات الرأس
 البسيطة خاصة كجراحة سيرة في ثوبه

1- موجود في خزانة ملوكة، بلدية تيمي، ولاية ادرار.

ظهر الورقة السابقة من المخطوط

في أول الطبقات الثلاث من هذه الكتاب فأقول الله مستجاب
 دعواته في التراب جرح بسيفه ولم يكن كسراً
 عظيماً فكوت فإن كان من صكة حجر أو نبتة
 وكان قد شتخ الجلمة فبكت وكان الجرح كبيراً
 وحشيت على العليل حمة وثالثه مع الجار قبادة
 وأفضة بالثقب على المعام ولها توجرة اليد وأخرج
 له من الدم على قدر فوته إن لم يمنع من القصة
 طافح وله سيجلان كان الدم به خروج من
 الجرح يسيراً وليكن القصة من صفة اليد
 المتورحة وحذر العليل اليد مثلاً والشرايب
 والكمعة العليضة فإن شغ من قضم
 طافح فليقل من المعام ولا يقرب الخوم ولها
 شربة ويعمل على الجرح إن حدث به ورم
 طافح فكنه معموسة به نفض الورم وحمة أو مع
 شراب الحديد فيه فبشر فبما إن امتت الورم
 طافح فليقل على الجرح إن كان من اليد مع
 الحمة أو من اليد أو من اليد أو من اليد أو من اليد

إجازة السيد محمد بن عبد الرحمن البلبالي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله والاهل
ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وبعد فقد اجزت
الاخ المذكور بمحوله بمثل ما اجازته شيخنا المذكور
رحمه الله على ما جاء في هذه الاشارة اليه واصيه وايضا
بتقوى الله العظيم وتحري الصواب فيما يحاوله والنجاة
في عما شغلا بمراجعة مظانه وسؤال من فيه قبا
بليية وفقنا الله للصواب والسعي فيما فيه الاجر
والثواب قاله فقير مولاه عبد الرحمن بن عمر لطف
الله به دامى ^{شاري الطيب} ^{بن عبد الله كوسام}

13 MAI 1995

إجازة سيد عبد العزيز البلبالي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعده
فقد اجزت ولدي محمد عبد العزيز بن علي ما اجازته فيه
شيخنا ابو زيد المذكور اعلاه من روايته عن ابي العباس
الشيخ السيد احمد بن عبد العزيز المصلي ولم استثن
عنه من ذلك فضلا لعلمي بانه لجميع ذلك اعدل وذلك
بالشرف المألوق عند اعله واصيه بوصيقه والدعاء
بما دعا به وكتبه عميد ربه تعالى محمد بن عبد الرحمن
البلبالي رزقه الله دوام مشاهدته الجمال والجلالي

13 MAI 1995

إجازة سيد البكري بن عبد العزيز البلبالي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله والاهل
ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وبعد فقد اجزت لولدي محمد البكري بمثل
ما اجازته به شيخنا سيدي والدي وشيخه سيد محمد بن
الشيخ سيد عبد الرحمن بن عمر التتلافي المذكور اعلاه
وشيخنا ايضا ابو العباس سيد احمد زروق اللاديب -

1- موجودة في خزنة كوسام منسوخة بخط يد الطيب شاري قائم الخزانة، أدرار.

بها ولم أستش منه ذلك فضلا لعلني بأنه بحمد الله
 لجميع ذلك أهل والله يوفقنا وإياهم والمسلمين جميعا لما فيه
 مرضاته قاله وكتبه عيده ربه تعالى محمد عبد العزيز بن محمد بن
 عبد الرحمن البلبالي لطف الله به دائما

أجازته الشيخ سيد أحمد بن محمد الجزولي ثم تلميذه

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله
 وبعد يقول كاتبه أحمد بن محمد بن محمد الجزولي أخبرنا
 بصحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن أسماعيل بن إبراهيم
 البخاري أجازته شيخنا أبو محمد عبد الله بن أبي العباس سيد
 أحمد الحبيب البلبالي قال أجازنا والدنا المنذور قال
 أجازنا شيخنا القاضي أبو فارس سيد محمد عبد العزيز بن الشيخ
 القاضي سيد محمد بن عبد الرحمن البلبالي قال حدثنا به شيخنا
 أبو عبد الله سيد محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن شيخه أبي العباس
 سيد أحمد بن عبد العزيز البلبالي النجلماني قال أجازنا الفقيه
 العلامة سيد محمد بن عبد السلام بن أبي القاسم والشيخ المبرك
 به سيد أحمد بن محمد بن عبد القادر القاضي كلاهما عن -
 والد الثاني عن أبي القاسم محمد بن أحمد القاضي عن القصار -
 عن المشهور عن الدقون عن المواق عن المشهور عن أبي -
 جوزي عن أبيه عن ابن الزبير عن أحمد بن راجب عن أبي -
 عبد الله ابن سعادة عن عمه أبي عمران موسى ابن -
 سعادة عن الإمام أبي علي الصدوق عن أبي الوليد الناجي -
 عن أبي ذر العفري عن المشطع والمحموي والخشيفيني
 عن الفرسي عن البخاري رحمه الله .

شاري الطيب
 بن عبد الله كوس

13 MAI 1995

إجازة الشيخ سيد محمد بن عبد الرحمن البلبالي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول ولا حول ولا قوة الا
بإله العلي العظيم وبعد فقد اجزت الاخ المذكور بحوله
بمثل ما اجازته شيخنا المذكور رحمه الله على ما بانه الذي اشار
اليه واصيه واياي بتقوى الله العظيم وتحرر الصواب فيما
يؤوله والتجاري عما اشعا بمراجعة مظانه وسؤال من
قابلية وفقنا الله للصواب والسعي فيما فيه الاجر والثواب
قاله فقير مولاه عبد الرحمن بن عمر لطف الله به آمين

13 MAI 1995 إجازة الشيخ سيد عبد العزيز البلبالي 13 MAI 1995

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فقد اجزت
ولدي محمد عبد العزيز في كل ما اجازته فيه شيخ ابو زيد -
المذكور اعلاه من روايته عن ابي العباس الشيخ السيد احمد بن
عبد العزيز البلبالي ولم استشر عنه من ذلك فضلا لعلمي بانه
لجميع ذلك اهل وذلك بالشكر الملق عند الله واصيه
بوصيته والدعاء بما دعا به وكتبه عميد ربه تعالى محمد
بن عبد الرحمن البلبالي زرقه الله مدوام مشاهدته الجمال والجلال

13 MAI 1995 إجازة الشيخ سيد البرقي بن عبد العزيز البلبالي 13 MAI 1995

الحمد لله وحده وبعد فقد اجزت لولدي محمد البرقي بمثل
ما اجازته به شيخا سيدي والدي وشيخه سيد محمد بن الشيخ
سيد عبد الرحمن بن عمر التتلافة المذكور اعلاه وشيخنا ايضا
ابو العباس سيدي احمد زروق الاديب المطلق ابر البرقي سيدي
محمد بن موسى مهال الوالي الصالح سيدي يوسف بن صابر البداري
ثم الجعفري على الشرط الذي اشاروا فيه والوصية التي وصوا

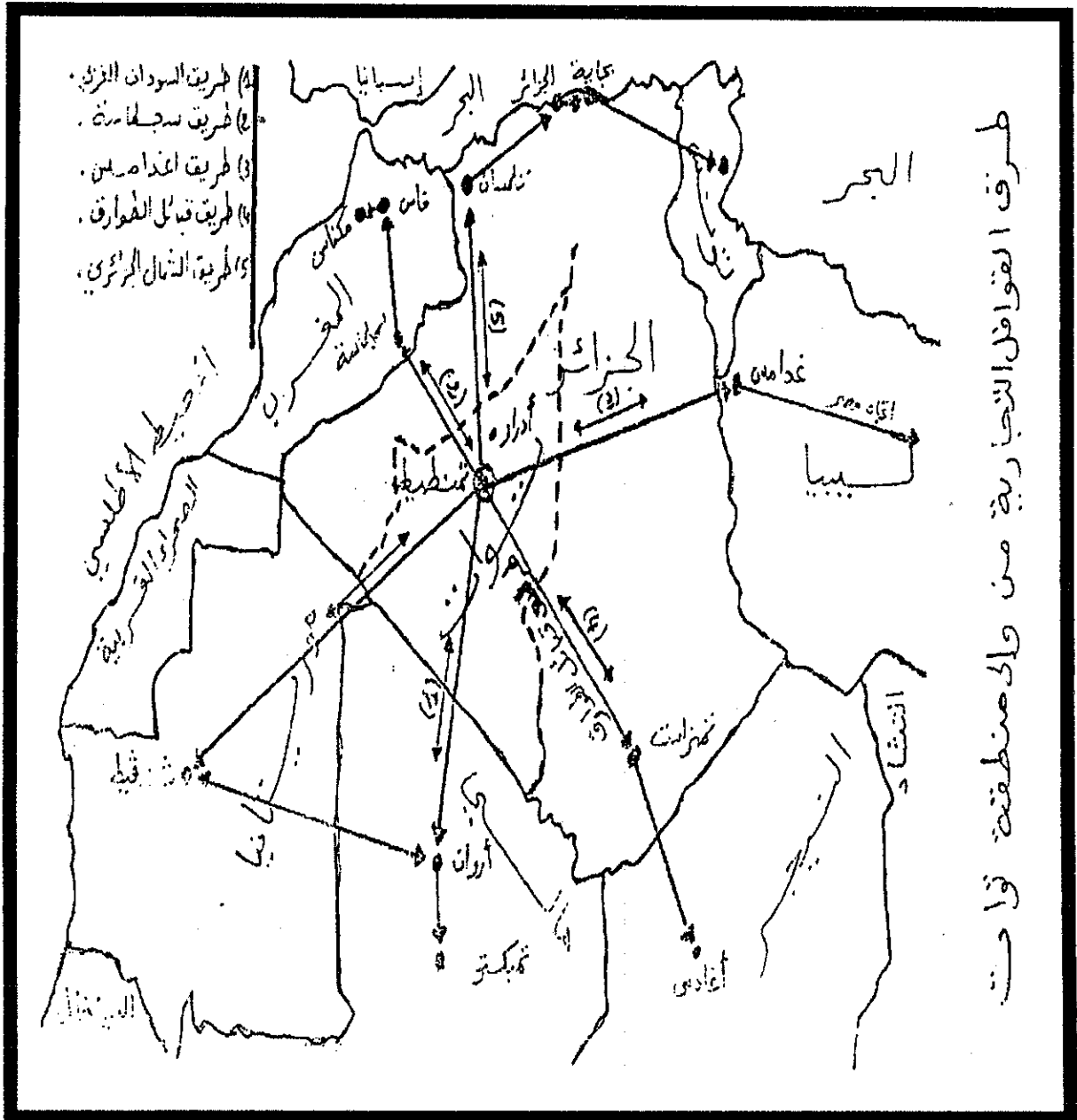
وجه الورقة الأولى من جواب محمد المغيلي إلى سلطان سنغاي محمد أسقيا¹.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَلَّى وَسَلَّمَ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْعَاقِبَةُ لِلصَّغِيرِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلنَّبِيِّ
 عَلَى الْمُرْسَلِ فَخَصَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَبَّهُ وَرَحْمَتَهُ
 مَصْفُورًا وَنَسِيْمًا مَرَعِيَةً اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ الْكَرِيمِ مِنْ هَمِّ
 ذِي الْأَمْرِ الْعَاجِزِ الْعَبِيدِ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ
 نَصْرًا عَزِيزًا فِيهِ فَخْرًا صَبِيحًا بِرَحْمَتِهِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَقْبَلْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّكَ
 عَلِيٌّ وَعَلِيٌّ وَآلِهِمَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ مَا أَوْعَدْنَا مِنْ شَرِّ رَيْبٍ
 عَرَسْنَا بِلَوْلَاهِ الْعَالَمِينَ مِنْهُ مَثَلُ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالسَّلَامُ وَالسَّلَامُ
 مَصِيْبَةٌ فِيهَا نَسِيْمٌ الْإِيمَانُ فِيهِ رَيْبٌ لَمْ يَكُنْ الْعِلْمُ مِنْهُ
 بِإِيْمَانٍ وَرَحْمَتِهِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ الْكَرِيمِ
 مِنْ جَلَامِ عَرَبِيَّةٍ بِطَلْحَةَ الْقَصِيْفِ وَالْحَرِيْفِ وَحَمْدِ عَشِيْقَةِ الْبَيْتِ
 لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا صِلَاةً وَلَا مَوْجِدَ الْكَبِيْفِ وَالْحَرِيْفِ وَمَعَ
 هَذِهِ لَكُمْ كِتَابٌ مِنْ رَسُوْلِنَا وَحِكَايَاتُ وَأَحْبَابٍ وَمِنْهُمْ قِطَابٌ
 وَمَقْسُورٌ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ بِرَأْيِهِمْ وَرَأْيِ عَمُورٍ نَصَمُوا الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ هُمْ
 وَرَأْيُ الْبُيُوتِ قَرَأَتْ بِحَبِّ عَالِمِ الْإِقْدَامِ وَأَنَا الْكَلْبُ مِنَ اللَّهِ نَعْلِي
 أَنْ يَكْتُمَ عَلِيٌّ مِنْ هَذِهِ النَّفْسِ الدَّارِ أَيْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَرَفْتَهُ
 نَعْرَ كَلْبٍ مِنْكَ أَنْ يَكْتُمَ فِي بَيْتِ عِلْمِكَ اللَّهُ فِي هَوَايَا الْفِرَاءِ أَهْلُ حَوَزِ
 فِي الرَّحْمَلِ عَلَى قَوْلِهِمْ فَجَاءَ بِرَأْيِهِ وَجَلَّصَ نَفْسَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

1- مخطوط رسالة الأسقيا و أجوبة المغيلي وجه الورقة الأولى، خزانة كوسام، أدرار.

ملحق رقم: 15

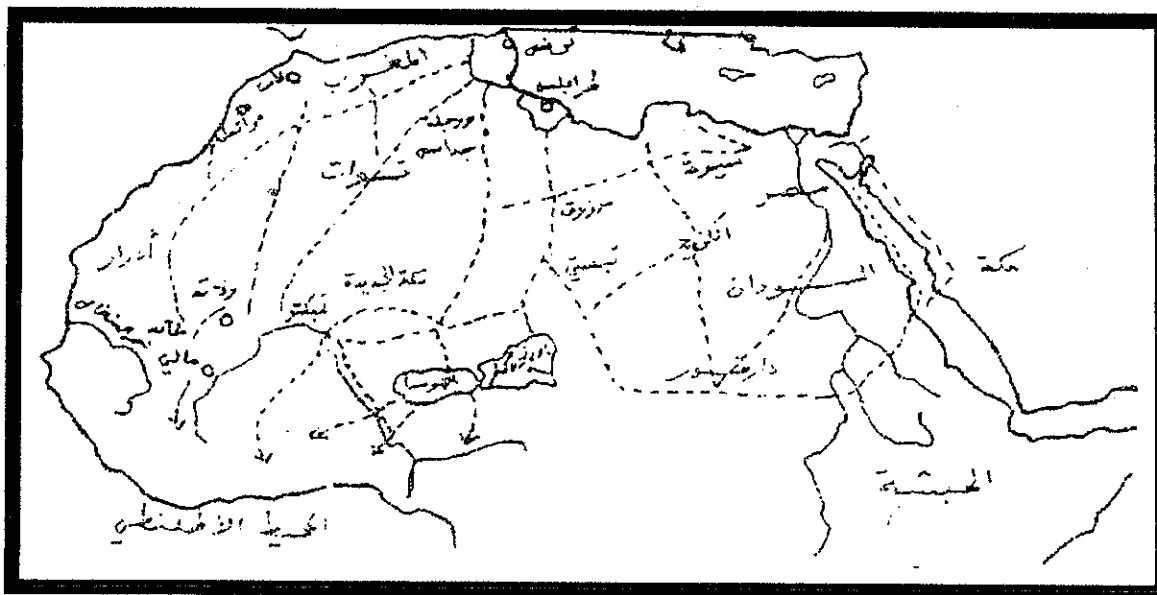
طرق و قوافل التجارية من و إلى إقليم توات¹.



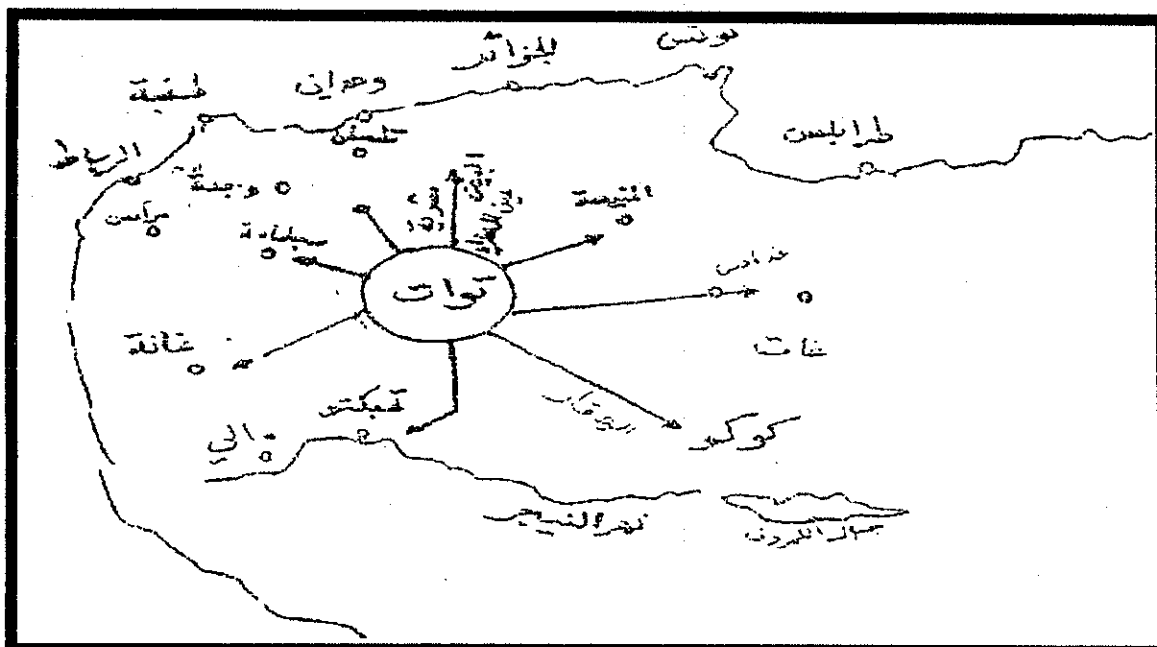
1- بودواية مبخوت، العلاقات، ص 375.

ملحق رقم 16

طرق القوافل التجارية و المواصلات في شمال و غرب إفريقيا¹



موقع توات بين حواضر الغرب الإسلامي²



1- مبخوت بودواية، العلاقات، مرجع سابق، ص 376.
2- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 76.

الفهارس

فهرس الأماكن:

-51-45-43-41-39	أولاد الحاج 49	حرف الألف
-57-56-55-53-52	أولاد ميمون 52	إفريقيا 147-146
-62-61-60-59-58	أوروبا 62	إقلي 28
-78-77-76-69-63	ادرار 98	اوقروت 38-40
-92-89-81-80-79	أكذ 41-247-257	اولف 37-47-48-49-50
-99-98-97-94-93	أولاد ونقال 45-128-142	127-130-
-103-102-101-100	اغدس 145	أولاد احمد 50
-120-118-117-105	حرف الباء	اغمات 40-
-127-126--125	بودة 25-41-42-49-55	اقبو 40
--132-131-128	126	امقيدن 48
-139-138-134-136	بوفادي 42	اقبلي 48-49
-145-143-142-141	بجاية 93-94-143	أولاد سعيد 40-85-100-
-154-151-147-146	بلاد التكرور 104-107-123	132-101
-162-160-159-155	بن عابدة 40	إفريقية 119
-178-177-175-163	برنو 209	الاندلس 90-120
-189-186-181-180	بيت المقدس 217	آدغا 126
-194-193-192-190	البحر الأحمر 250	أولاد يحي 40-
-199-197-196-195	بلاد الهوسا 255-256	أولاد إبراهيم 40
-219-202-201-200	بحيرة التشاد 254	أولاد الحاج 43
-229-227-225-222	حرف التاء	أولاد عيش 45
-249-243-238-236	توات 17-18-19-20-21	أولاد حمو بلحاج 45
260-249-246-245	-27-26-25-24-23-22	أولاد بودا 49
	-38-37-36-35-33-31	أولاد بلقاسم 49

-142-98-93-82-67	توات الوسطى 25-42-44
-231	-149-147-125-47
تامداين 29	تواتن 18-19
تندوف 27	تسايت 22-37-38-41
-85-39-38-37	127-126
تيميمون	
149-100	تمنطيط 22-25-29-37
تلمسان 51-55-57-58-63	-64-61-52-45-44-42
-101-93-92-91-90	-83-82-77-69-67-65
-193-175-147-143	-105-103-101-93-92
196-194	-114-110-107-106
تومبكتو 63-79-125-130	-146-143-134-118
249-210-145	-227-226-204-196
تونس 90-190-196-205	231-228
217	تبلكورة 22-35-40
- 127-65 -46	تيديكلت 24-25-37-42
-249-200	150-147-49-48-47
-132-130-129-128	تيكورارين 24-25-26-28
-231	-55-42-40-38-37-30
-143	-200-67-65-64-63
تاخيفت	
تازولت 143	تيمي 35-41-43-44-45
تكدة 210	

حرف الصاد	حرف السين	حرف الجيم
الصحراء 18-28-29	سجلماسة 18-19-21-32	الجزائر 93-116-217
31-32-35-37-39	41-51-52-54-79-134	حني
44-48-52-53-56	سنغاي 60-190-210-252	حرف الحاء
62-64-68-76-105	253-254-261-267-271	الحجاز 114-120-134-
106-137-196-198	السودان 26-38-41-45-	272-217
201-244-251-268	59-60-62-79-100--	حاسي الحجر 40
حرف الطاء	107-110-190-205-	حاسي اوكار 49
ظلمين 85	207-209-247-248-	حرف الدال
حرف العين	250-272	درعة 51-200-
العراق 61	السودان الغربي 39-50-51-	حرف الراء
عين صالح 32-35-47-	79-81-96-118-123-	ريغ 33
48-49-69	134-143-156-162-	رغلة 33
حرف الغين	189-245-246-248-	رقان 29-42
غانة 32-62--134-79	250-251-252-254-	حرف الزاي
غدامس 51	260-267-271	زاوية كنتة 45-126
غاو 145-254	السوس 45-62	زاوية سيدي عبدالله 40
حرف الفاء	سالي 42-124-127	زاوية سيدي حيدة 45
فاس 41-65-81-82-	الساورة 41	زاوية بني واران 45
93-94-102-104-	حرف الشين	زاوية بونعامة 49
105-121-131-134-	شروين 38	زاوية فاتيس 144
142-175-189-190-	شنقيط 119	زاوية بن عيسى
195-249-196-217	الشام 120	

قصر ملال 126-	قسطن 48	حرف القاف
قصر بوعلی 126-143-	القصر الجدید 49	القیرون 175
قصر کتتة 127-	القصبه 49	قصر تازولت 35
قصر المنصور 127-	قصر العرب 49	قصر اولاد اوشن 35
قصر تیطاوبن 127-128-	قصبه بلال 50	قصر اولاد المهدي 40
قصر تیکوک 144	قصر حبات 50-	قصر الحاج 40
حرف الکاف	قصر جنون 50-	قصر اولاد سعید 40
کتتوره 40	قصر تاخفیون 51-	القصر الکبیر 40
کشین 209	قصر تامسخت 51	قصور الدغامشه 41
کاشنه 210	قصور نوات 52	قصر عزیان الراس 41
کانو 256 209-210-	قصر اولاد سعید 69	قصر برینکان 41
264-262-261-256	قصر القاضي 69	قصور تبلکوزة 42
کاتسینا 256	قصر یعقوب 69	قصور بوفادي 43
حرف اللام	قصر ازقور الشارف وإیغر 77	قصر الجعافرة 44
لیبیا 41-	قصر المنصور 77-78-134	قصر تیمی 44-45-
حرف المیم	قسطنطینه 84	قصر بودة 45-
مالي 20-25-44-55-	قرية بني تامر 93-	القصبه 45
134-79-59-	قورارة 101-132-147-	قصر اولاد حم بلحاج 46
مراکش 65-67-79-92-	148-	قصر تنیلان 46-
229-134	قصر عزی 118	قصر اولاد المختار 48
مازونة 98	قصور اقبو 118	قصر اولاد الحاج 48

	وادي الساورة 28-38-41-	المشرق 140-141-161-
	وادي ملوية 28-	190-
	وادي زوزفانة 28	مصر 210-134-132-120
	وادي الحية 78-	المغرب 21-33-45-46-55-
	وادي نون 120-121	- 126--140-134-147-
	وهراڻ 190-	161-190-251-
	ورجلان 51	268-
		المغرب الأقصى 18-28-57-
		58-65-67-132-190
		المغرب الأوسط 18-137-
		161-162-192-195-
		245-246
		المدينة المنورة 146
		حرف الواو
		وادي مسعود 19-29-42-
		52-
		وادي امقيدون 29-40-
		وادي غاريت 29-47-
		وادي شاش 30-
		وادي غير 28-29-

فهرس الأعلام:

- أبا عبد الله أحمد عبد الكرم بن عبد الكرم 231.
- ابن البنا 167
- ابن بطوطة 20-45.
- ابن خلدون 18-25-28-33-36-43-52-55-56-57-79-87-88-89-
- 97-159-160-164-167-168-169-170-173-233.
- ابن سعيد العقباني 92.
- ابن سعيد المغربي 32.
- ابن شهاب الزهري 158.
- ابن عيسى سيدي منصور حيجا 42.
- ابن منظور 166.
- أبو الانوار مولاي الهبة 50.
- أبو العباس أحمد بن محمد المسعود 231.
- أبو المكارم عبد الكرم 231.
- أبو بكر بن عثمان العصنوني 94.
- أبو حمو موسى بن عثمان موسى 63.
- أبو زكرياء يحيى السوسي 95.
- أبو زيد الوغليسي 99.
- أبو سالم العياشي 114-115-190.
- أبو عبد الله بن العباس التلمساني 84.
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق 84.
- أبو يحيى المنيارى 44-226-243.

- ابى محمد الجزولى 144.
- ابى مدين الغوث 162.
- احمد الطاهرى الادرسى 22.
- احمد الونشرىسى 93-192-192-193-195-197.
- احمد بابا التنبكى 60-204-205-207-208-257-264.
- احمد بابا بن احمد بن احمد بن عمر اقىت 209.
- احمد بن بابا بن الحاج احمد 208.
- احمد بن زكرىاء المغراوى 94.
- احمد بن عبد الله بن ابى محلى السجلماسى 111-224-229.
- احمد بن غانم الهوارى 92.
- احمد بن محمد الرقاد 118-121-123-124-125-145.
- احمد بن محمد المقرى 111.
- احمد بن ميمون البكرى بن عمرو الامرىنى 106-109.
- احمد بن يوسف 47.
- احمد بن يوسف الملىانى الراشدى 85.
- احمد بن يوسف بن محمد الاموى التتلاىنى 128-129-130.
- الاسكيا الحاج 254.
- الافرانى محمد الصغىر 65.
- الامام مالك 154-158-160-170.
- احمد الحاج 125.
- احمد بن ابى محمد الامرىنى 228-247.
- احمد بن احمد بن ميمون 95.

- احمد بن دين الله التيطاىى 130.
- احمد بن عبد الكرىم بن محمد 114-115.
- بدر الدين الزركشى 155.
- برناند ساوروفيرى 51.
- بن بابا حىدا 36-43.
- بن مالك عبد الكرىم 150.
- بولنوار بن عبد الكرىم بن احمد بن يوسف التتلاىى 129.
- التتلاىى عبد الرحمن 238.
- جاكوف اولىل 62.
- جعفر المنصور العباسى 158.
- جىرهاارد 49.
- الحاج أبو القاسم 85.
- الحاج بلقاسم 149-184.
- الحاج بن احمد البكاىى بن احمد الكنتى 121.
- الحاج محمد الأكبر 114.
- الحافظ التنسى 98-202.
- الحسن الوزان 28-37-41.
- الحسنى مولاي سلیمان 46.
- حمو بلحاج 124.
- الزىخشرى 86-87.
- سالم العىاشى 28-52-55.
- سالم بن محمد بن ابى بكر العىصنوىى 94-96-107-227.

- ستيفن غزال 51.
- سعيد بن إبراهيم القوراري 205.
- سعيد بن إبراهيم جوراري 205-204.
- سعيد بن إبراهيم قدورة 240-216-116-111-60.
- سليمان بن الجوزي 231-144.
- سليمان بن علي الادريسي 155-142-81-80-58-20.
- سليمان بن يوسف التتلاي 46.
- السنوسي 238-203-198-162-99.
- سني علي 253.
- السيد الطيب الشاري البلبالي 98.
- السيد عبد الواحد 124.
- السيد محمد المعروف بمحي الدين الموتي 85.
- السيدي أبو احمد أبو نعامة 270.
- سيدي احمد بن محمد القرموني 92.
- سيدي احمد 92.
- سيدي عبد الله بن ابي يكرن 92.
- سيدي محمد بن صالح 26-25.
- سيدي محمد عريان الراس 41.
- الشريف احمد بن محمد 127.
- الشريف سيدي الزين 127.
- الشريف عبد القادر ابن السي حمو الحاج 127.
- الشريف عبد الملك 126.

- الشيخ ابي يحي المنيارى 80-135.
- الشيخ احمد البلبالى 192.
- الشيخ الاداوعلى 217.
- الشيخ التهامى 102-103.
- الشيخ السيوطى 209-210-211-212-242.
- الشيخ الشريف مولاي احمد بن محمد 46.
- الشيخ الناجم 217.
- الشيخ الهوارى 85.
- الشيخ باى بلعالم 50.
- الشيخ سليمان بن على 135.
- الشيخ عبد الكرىم بن احمد بن ابي محمد التوائى 216.
- الشيخ عبد الكرىم بن عبد الحكم 231.
- الشيخ محمد بن ابّ المزمرى 166.
- الشيخ ميمون 102-103.
- الشيخ ميمون بن عمرو الباز 149-154-189.
- عبد الجبار الفحيجى 197.
- عبد الحاكم بن عبد الكرىم الجرارى الوطاسى 111.
- عبد الحق البكرى 104.
- عبد الحميد بن احمد بن ميمون 107.
- عبد الحميد بن عمرو بن محمد الباز 94.
- عبد الرحمن الثعالى المعروف بالاشعرى 99-143-192-193.
- عبد الرحمن السعدى 19-20-59.

- عبد الرحمن بن عمر التتلائي 270.
- عبد العزيز بن ابي الحسن المريني 63.
- عبد القادر الجيلائي 85.
- عبد الكريم الفكون 190.
- عبد الكريم بن احمدا ابي احمدا 228.
- عبد الكريم بن احمدا بن ميمون بن عمرو الشريف 110-224.
- عبد الكريم بن محمد البكري 60-92-92-114-115-116-180-181-217-
- 219-229-230-239-240-246-248-249.
- عبد الله العصنوني 44-64-80-84-91-92-93-94-95-95-99-101-104-
- 105-156-192-193-195-196-197-226-227-243.
- عبد الله بن سموطة 85.
- عبد المهيم بن ابي محمد 110.
- عقبة بن نافع الفهري 45.
- علي بن زكري 95-103.
- علي بن موسى 67.
- علي بن يحي بن عثمان 119.
- عمر التتلائي المهداوي 131.
- عمر الشيخ بن احمدا البكاي محمد الكنتي 122-219-269.
- عمر الوقروي 85.
- عمر بن احمدا البكاي 119-122-121.
- عمر بن الصالح الاكروني الجراري 39.

- عمر بن عبد العزيز 158. عمر بن عبد القادر التلاني المعروف بعمر الاكبر 131-191-
 242-215.
 عمر بن محمد 67.
 عمرو بن محمد بن الباز 95.
 عمرو بن محمد بن عمرو بن عمار الباز 102.
 عيسى بن محمد البطوي 80-135.
 الغزالي 173.
 فاطمة الزهراء 58-91.
 الفشتالي 26-36-38-39-63-67-79.
 كنكن موسى 19.
 المازوني 98.
 محمد الحاج الكبير 265-266-271.
 محمد الصوفي بن محمد 145.
 محمد العالم بن كتنة 119.
 محمد الكنتي 45-268.
 محمد بن احمد البداوي البكري 192.
 محمد بن احمد العقباني 84.
 محمد بن إسماعيل البخاري 158-159-160.
 محمد بن الحاج 124.
 محمد بن الشيخ علي 46.
 محمد بن الشيخ علي بن العالم بن كتنة 46.
 محمد بن سلمان الجزولي 144.

محمد بن عبد الحكم بن عبد الكرم القراري 112.

محمد بن عبد الكرم المغيلي 21-44-64-65-80-84-85-93-95-96-100-

101-122-143-154-156-162-180-183-192-193-197-

199-202-203-204-205-209-210-211-212-219-238-246-

248-257-260-261-262-263-264-265-266-267-271.

محمد بن عبد الكرم بن احمدا المريني 229.

محمد بن عبد الرحمن البلبالي 192.

محمد بن عبد الله التمنطيبي 57-129.

محمد بن علي 145.

محمد بن علي الشريف 67.

محمد بن عيسى البطيوي 226.

محمد بن محمد العالم الزجاجاوي 191-232.

محمد بن محمد بن محمد بن ابي القاسم الحسني 110.

-محمد كوارو 256.

مسعود بن وائدا المغراوي 25-55.

منسى موسى 20.

موسى بن مسعود 84.

موسى بن يحيى المغيلي 98.

ميمون بن عمرو بن محمد الباز 44-94-201.

الناصرى 64.

يحيى بن يدير التادلسي 41-83-93-101-226-243.

يوسف بن علي 77.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

كتب الصحاح للحديث

❖ المصادر باللغة العربية:

أولاً: المخطوطات:

- 1- التقييد لما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور و وثائق أخرى المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/1961م.
- 2- التقييد لمخطوط حول نسب العصنوني، خزانة با عبد الله، أدرار.
- 3- التنبكي أحمد بابا، الكشف و البيان لأصحاب مجلوب السودان، مخطوط خزانة مبروك مقدم.
- 4- التيلاني عبد الرحمن بن إدريس، الرحلة من توات إلى الجزائر، نسخة من مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البليالي، كوسام، أدرار.
- 5- التواتي عبد الكريم بن أحمد، الرحلة في طلب العلم، مخطوط بالخزينة البكرية، تمنطيط.
- 6- الزجلاوي محمد، شرح التلمسانية، نسخة من مخطوط بخزانة كوسام، أدرار.
- 7- الكنتي محمد بن المختار، الطرائف و الثلاثد من ذكر الوالدة و الوالد، نسخة من مخطوط بخزانة كنتة، أدرار.
- 8- الكنتي محمد بن سيد المختار، الطرائف و الثلاثد من كرامات الشيخين الوالدة و الوالد، نسخة من مخطوط في خزائن كوسام أدرار.
- 9- المغيلي محمد بن عبد الكريم، فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط موجود بخزانة أحفاد الشيخ المغيلي.

ثانيا:

المصادر المطبوعة:

- 1- ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تصحيح: علي سامي النجار، بغداد 1977.
- ابن البنا المراكشي العددي، الروض المربع في صناعة البديع، تصحيح: رهوان بن شقرون، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- 2- ابن الجوزي الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تنوير الغبش في فصل السودان و الحبش، تحقيق: محمد بركات، ط1 دار أم درمان الإسلامية للطباعة و النشر، السودان 1993.
- 3- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ط2، دار العلم للملايين د.م.ن، 1982.
- 4- ابن بطوطة، تحفة النظار في غريب الأمصار و عجائب الأسفار، ج1، ط1، دار صادر بيروت، 2001.
- 5- ابن جزى، القوانين الفقهية، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، ط1، المكتبة العصرية، دون مكان النشر، 1420 هـ - 2003 م.
- 6- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تصحيح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 2007.
- 7- ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، ج7 دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت 2000.
- 8- ابن رشد، الفتاوى، نقد و تحقيق و جمع و تعليق: المختار بن الطاهر التليلي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1707 هـ / 1987 م.

- 9- ابن رشيقي القيرواني، العمدة في الشعر و نقده، تصحيح: محمد عبد القادر أحمد عطا، ج 1 ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.
- 10- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط2، دون مكان النشر الجزائر 1982.
- 11- ابن سينا أبو علي الحسين ابن عبد الله، الأرجوزة في الطب، اعتناء و ترجمة: جان جابي و عبد القادر نور الدين، مكتبة جامعة الجزائر، 1375 هـ / 1956م.
- 12- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق: كولان بروفنصال، ج1، دار الثقافة، بيروت 1948.
- 13- ابن فرحون برهان الدين، الديقاج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة و تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ج01، ط01، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417هـ / 1996م.
- 14- ابن فرحون برهان الدين، تبصرة الحكام، ج 1، مطبعة محمد مصطفى و أحمد الحلبي مصر 1302.
- 15- ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، شرف الطالب في أسنى المطالب، تحقيق: عبد العزيز صغير، دخان، ط01، مكتبة الرشد، المملكة السعودية، الرياض.
- 16- الإفرائي محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، دون مكان النشر، الرباط، 1998.
- 17- البرتلي، الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق: محمد حجي، و محمد إبراهيم الكتاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- 18- البرزلي، جامع مسائل الحكام، تحقيق: محمد الحبيب الهبله، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي لبنان، 2002.

- 19- البكري أبو عبيد الله، المسالك و الممالك، تحقيق: أدريان فان و أندري فير، ج2
الدار العربية للكتاب، تونس 1992.
- 20- البكري أبو عبيد الله، المسالك و الممالك، دراسة و تحقيق: زينب الهكاري، تقاسم:
أحمد عزراوي، ج1، مطبعة الرباط نت، الرباط، 1992.
- 21- البكري أبو عبيد الله، المُغْرِبُ في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب، مقتطف من المسالك
و ممالك تحقيق: دي سلان، دون مكان النشر، 1965.
- 22- بلو محمد، اتفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور، تحقيق: بهية الشاذلي، ط1، مطبعة
المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
- 23- التنبكي أحمد بابا، معراج الصعود - أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق وترجمة:
فاطمة الحراف و جون هانويك، ط1، منشور معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف
الجديدة الرباط، 2000.
- 24- التنسي أبو عبد الله، ملوك بني زيان مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان بيان
شرف بني زيان، تحقيق و تمهيد: محمود آغا بو عياد، ط2، بدعم من وزارة الثقافة - دار
موفم للنشر الجزائر، 2011.
- 25- الثعالبي أبو المنصور، فقه اللغة و سر العربية، ط1، تحقيق: فائر محمد، دار الكتاب
العربي 1413هـ.
- 26- حيدة ابن بابا محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، تحقيق:
فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 27- الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، ج 12، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت
2001.
- 28- الرصاع محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تحقيق: عنابي، المكتبة العتيقة، تونس، دون
تاريخ.

- 29- الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تصحيح: محمد أو الفضل إبراهيم، ج 1
مكتبة التراث، 1957.
- 30- الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق
و تقديم: المهدي البوعبدلي، اعتناء: عبد الرحمان دويب، ط 01، دار المعرفة للنشر و التوزيع
الجزائر، 2013.
- 31- السراج محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري و السارب من أقطار المغرب، تحقيق:
محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس، المغرب، 1970.
- 32- السعدي عبد الرحمان، تاريخ السودان، ط 4، طبعة هوداس، باريس، 1964.
- 33- السملالي العباس ابن إبراهيم المراكشي، الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام، راجعه:
عبد الوهاب بن منصور ج 5، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م.
- 34- الشفشاوني بن عسكر، دوحة الناشر بلمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن
العاشر، تحقيق: محمد حاجي، ط 2، مطبوعات للتأليف و الترجمة و النشر، سلسلة التراجم
المغرب 1977.
- 35- الشوكاني، الإرشاد الفحول، دار الفكر، لبنان. دون تاريخ.
- 36- الطوسي أبو نصر، سیراج اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية
مصر 1423، هـ/2002م.
- 37- العبدري محمد، الرحلة المغربية، تحقيق: محمد بوفلاحة، ط 2، منشورات بونة، الجزائر
2007.
- 38- العياشي أبو سالم، رحلة العياشي- ماء الموائد، تحقيق: محمد حجي، ج 1، ط 1
مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، 1397هـ/1977م.
- 39- الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
تصحيح: عادل نويهض، ط 2، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1979.

- 40- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، ج3، دار القلم، بيروت، دون تاريخ.
- 41- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، المغرب، 1972.
- 42- القاضي عياض، ترتيب المدارك و تقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك ج3، دار المكتبة الحياة، لبنان، د.ت.
- 43- القرافي شهاب الدين، الإحكام في تميز الفتوى من الأحكام، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، ط2، مطبعة دار البشائر الإسلامية و مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب 1416هـ-1995م.
- 44- القرافي، شرح تنقيح الأصول، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1307 هـ.
- 45- القزويني زكرياء محمد، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969.
- 46- القطب الدردير، شرح الصغير مع شرحه بلغة السالك لأقرب المسالك للشيخ أحمد بن محمد الساوي، ج2، دار المعرفة للطباعة و النشر، لبنان، 1398 هـ- 1978 م.
- 47- الكتاني إبراهيم ابن الجماعة، تذكرة السامع و المتكلم في أدب العالم و المتعلم تحقيق: حسان عبد المنان، مطبعة بيت الأفكار الدولية، عمان، 2004.
- 48- الكتاني أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحاذئة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن محمد الطيب الكتاني ج3، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، 2004.
- 49- الكتاني بن عبد الكبير، فهرس الفهارس و الإثبات و معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، اعتناء إحسان عباس، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
- 50- الكتاني محمد عبد الكبير هشام، تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق: بن المنتصر الكتاني، ج1، ط1 منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.

- 51- كرنجال مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج3، مطابع المعارف الجديدة المغرب، 1988-1989.
- 52- اللقاني إبراهيم، منار أهل الفتوى و قواعد الإفتاء بالأقوى، تحقيق: زياد محمد محمود حميدان ط01، دار الأحياب، لبنان، 1412 هـ_1992م.
- 53- المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، القاهرة، 1327.
- 54- المغيلي محمد بن عبد الكريم، رسالة في اليهود، تحقيق وتقديم: عبد الرحيم بن حادة و عمر بن نميرة، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط، 2005.
- 55- المغيلي محمد بن عبد الكريم، شرح التبيان في علم البيان، دراسة و تحقيق: أبو أزهر للخبير هادم، دار الكتب العلمية بيروت، 2010.
- 56- المغيلي محمد عبد الكريم، مصباح الأرواح المغيلي، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968.
- 57- المغيلي محمد عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق و دراسة: عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001.
- 58- المكتاسي أبو العباس ابن القاضي ، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحدي أبو النور، ج3، دار التراث و المكتبة العتيقة بتونس و القاهرة، 1981.
- 59- الناصري محمد أبوراس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق: المهدي لبوعبدلي الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- 60- الونشريسي أبو العباس أحمد ، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب، تحقيق: محمد حجي، الجزء الثاني، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط، 1980.
- 61- الوزان حسن، وصف إفريقيا، تحقيق: محمد حجاج و محمد الاخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

62- يعقوبي أبو حامد، تاريخ يعقوبي، ج7، دار صادر، لبنان، 1992.

❖ المراجع:

أولاً: المراجع المخطوطة.

- 1- ابن العربي الصديق، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1984.
- 2- ابن سعيد العلوي سعيد، أوروبا في مرآة الرحالة صورة الآخر في أدب الرحلة المغربية المعاصرة، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1995.
- 3- ابن عبد الحق محمد بن عبد الكريم، تقييد في تاريخ تمنطيط، خزنة أولاد القاضي، تمنطيط.
- الكواكب البرية في المناقب البكرية، مخطوط منسوخ بخط يد الشيخ الطيب الشاري بخزنة كوسام أدرار.
- ترجمة وجيزة لبعض علماء توات، مخطوط بخزنة كوسام، أدرار.
- جوهر المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، خزنة كوسلم أدرار.
- درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، نسخة مخطوط الخزنة البكرية
- 4- ابن عقيل موسى محمد حسين، المختار المصون من أعلام القرون، من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر، ط1، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1995.
- 5- أبو أسامة شفيق عبد القادر، لأمة محمد، مجالس العلم و المناظرة بالمغرب و الأندلس على عهد المرابطين و الموحدين، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن الخزم، الدار البيضاء 2014.
- 6- أبو سماحة أحمد، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة للنشر، الجزائر 2002.

- 7- أحمد بن محمد البوحامدي الجعفري، النبذة عن تاريخ عين صالح و تأسيس قصورها، تقييد مخطوط بخزانة الحاج أحمد بن سالم، قصر العرب، عين صالح، أدرار.
- 8- الإدريسي أحمد الطاهري، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، ج 1 نسخة من مخطوط بخزانة كوسام، أدرار.
- 9- ادن روس، المجتمع و المقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، 1881-1912، ترجمة: أحمد بوحس، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2006.
- 10- إفرخاس محمد، محمد الصديق نادية صلاح، رحلات المغاربية إلى المشرق و دورها في تعزيز ثقافة التواصل، منشورات الإمارات العربية المتحدة، دون تاريخ.
- 11- الألوري آدم عبد الله، الإسلام في نيجريا و الشيخ عثمان بن فوديو، ط2، دون مكان النشر 1971.
- 12- أمين أحمد، ضحى الإسلام، ج2، ط2، مصر، مكتبة النهضة، 1985.
- 13- أو ضيف أحمد مصطفى، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، ط02، مطبعة دار النشر المغربية، 1982.
- 14- البكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات و أعلامها في القرن التاسع هجري إلى القرن الرابع عشر، ط2، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
- 15- بلعالم محمد باي، الرحلة العلية إلى منطقة توات للذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، 2005.
- 16- بلعالم محمد باي، الغصن الداني في ترجمة و حياة الشيخ عبد الرحمن بن باعمر التلاني، مطبعة هومة، الجزائر، 2004.
- 17- بلعالم محمد باي، قبيلة فلان في الماضي و الحاضر و مالها من علوم و المعرفة و المآثر، دار هومة، الجزائر، 2004.

- 18- بليل رشيد، قصور قورارا و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب و الأخبار المحلية، ترجمة: عبد الحميد بورايو منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ و علم الإنسان و التاريخ، 2008.
- 19- بن خوجة محمد بن مصطفى، نبذة وجيزة في معنى الدين و الفقه و ما يتعلق بذلك و يتصل به، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1902.
- 20- بنميرة عمر، النوازل و المجتمع- مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسط ط1، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 2012.
- 21- البوداودي محمد بن عمر، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، نسخة مخطوط بخزانة با عبد الله و نسخة أخرى في خزانة كوسام، أدرار.
- 22- بوعزيز يحيى، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1995.
- 23- بوكراع محفوظ، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، ط1، دار الكتب، لبنان 2016.
- 24- بونار رابح، المغرب العربي و تاريخه و ثقافته، ط3، دار الهدى، الجزائر، 2000.
- 25- التمنطيبي محمد بن عبد الكريم، تاريخ توات، مخطوط بخزانة المنصوري، أقبلي.
- 26- التهامي مولاي، غيتاوي سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، ج1، المطبعة الحديثة، الجزائر، 2001.
- 27- جرادي محمد، الدرس الفقهي في توات خلال القرنين 11 و 12 هـ، معالمه و خصائصه.
- 28- جعفري أحمد، أبا الصافي، من تاريخ توات، أبحاث في التراث منشورات الحضارة تلمسان، 2011.

- 29- جعفري مبارك بن صافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هجري، ط1، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009.
- 30- حاج أحمد الصديق، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي - حياته و آثاره- دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007.
- 31- حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون في كتب أسامي الكتب و الفنون ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1941.
- 32- الحبيدي عمر، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في المغرب الإسلامي منشورات عكاظ الرباط، 1987.
- 33- حساني مختار، الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائري، ج 5، ط5، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، 2011.
- 34- حساني مختار، تاريخ الجزائر الوسيط، ج2، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع 2013.
- 35- حسن عبد، صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير، ط1، مكتبة القاهرة، 1999.
- 36- حسن نبيلة، في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون تاريخ.
- 37- الحفناوي أبو القاسم محمد، تاريخ الخلف برجال السلف، الجزائر، 1906.
- 38- حمادي عبد الله الإدريسي، القوات من تاريخ توات و صحراء الجهات، ج1، ط1 دار الكتاب الملكي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
- 39- حمادي عبد الله، الاستبصار في تاريخ بشار و ما جاورها من الأمصار، ط2، ابتكار للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
- 40- حمادي عبد الله، صحراء وادي الساورة، تاريخا و مناقب و بطولات، ط1، دار بوسعادة للنشر و التوزيع الجزائر، 2013.

- 41- حميش عبد الحق، محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان و توات، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
- 42- حوتية محمد الصالح، توات و الأزواد خلال القرنين 12 و 13 هـ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- 43- حوتية محمد صالح، توات و الأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- 44- الدالي الهادي مبروك، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2002.
- 45- رزق الله أحمد، حركة التجارة في الإسلام و التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار و آثارها الحضارية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية الرياض، 1998.
- 46- الرقادي عبد الله، نافذة عن تيديكلت، أولف، 1998.
- 47- الرحي عبد الحليم، مفاهيم في فقه الدعوة و أساليبها، ط1، دار الحامد للنشر و التوزيع المدينة المنورة.
- 48- زبادية عبد القادر، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 49- سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1990.
- 50- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 هـ إلى القرن 14 هجري ج2 المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1985.
- 51- سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2004.
- 52- سعيد الحاج تومي، سكان تيديكلت القدماء و الإتكال على النفس، دار هومة 2005.

- 53- سعيدوني ناصر الدين، من تراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.
- 54- الشاهدي الحسن، أدب الرحلة في العصر المريني الظروف البواعث الأنواع، ط2 مطبعة دار القلم، الرباط، 1990، الأندلس الخضراء، جدة، 1995.
- 55- شترة خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الفائز وفكره الإصلاحية في توات و السودان الغربي، ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف تلمسان، 2011.
- 56- الشرحبيلي محمد بن حسن، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، طبعة وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 1421هـ/2000م .
- 57- شوقي أحمد، شوقيات، تقدم و ضبط: صلاح الدين الهواري، ج2، ط1، دار الهلال بيروت، 2008.
- 58- الصديق الحاج، أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11 هجري إلى القرن 14 هجري، ط1، الجزائر، 2003.
- 59- ضيف شوقي، الفن و مذاهبه في النثر العربي، ط6، دار المعارف، مصر ، دون تاريخ.
- 60- طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، 2009.
- 61- عبد الستار، الشيخ الإمام البخاري، ج1، دار القلم، القاهرة.
- 62- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات و نصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- 63- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

- 64- عريان الراس أحمد بن محمد بن حسان، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبلية الرقانية في التعريف بالأسر البلبلية الركائية - بمنطقة تساييت-، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر 2001.
- 65- عزاوي أحمد، نصوص تاريخية عن الغرب الإسلامي، مطابع الرباط نت، المغرب 2013.
- 66- عمر باحمد دمة الكنتي، الزوايا الكنتية أعلاما وجغرافية النيجر، 2005.
- 67- العيد بشي ابراهيم، تاسيلي ناخر الخصائص الطبيعية و البنية الجغرافية، سلسلة البنية الجغرافية والحضارة لمنطقة تاسيلي- ناخر، ط1، منشورات الحبر، الجزائر، 2008.
- 68- الفضيلي إدريس، الدرر البهية والجواهر النبوية، ج1، الفضيلة المحمدية، المغرب 1999.
- 69- الفيتوري عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء، مرحلة انتشار الإسلام، منشورات جامعة قاز يونس، ليبيا، 1997.
- 70- فيحي، جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تحقيق و ترجمة: يوسف نصر، ط 1، دار المعارف قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة أسيوط، 1982.
- 71- فيرون ريمون، الصحراء الكبرى، ترجمة: جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب القاهرة.
- 72- فيصل ماجد، عمر بن عبد العزيز و سياسة رد المظالم، ط1، مكتبة الطالب الجامعي مكة 1987.
- 73- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة عمرانية، سياسية و ثقافية، ج2 المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2002.
- 74- القاسمي الحسيني عبد المنعم، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات غاية الحرب العالمية الأولى (دراسة إحصائية تحليلية)، دار الخليل القاسمي للنشر و التوزيع، الجزائر.

- 75- قدي عبد المجيد، صفحات من تاريخ أولف، ط2، دار الأبحاث، الجزائر، 2007.
- 76- كروم عبد الله، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية و أدبية للرحلات المخطوط بخزائن توات، دار النشر دحلب الجزائر، 2007.
- 77- كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف الظواهر الحضارية، ط2، شركة الطبع و النشر، المغرب، 1978.
- 78- مارتى بول، كتنة الشرفيون، ترجمة: محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1423 هـ / 1985 م.
- 79- ميروك مقدم، الإمام المغيلي من خلال المصادر و الوثائق التاريخية، ط1، مؤسسة الجزائر للكتاب، تلمسان 2002.
- 80- مقدم ميروك، أجوبة الشيخ المغيلي للأمير الحاج محمد أبي بكر الأسيقيا الكبير، دار الغرب للتوزيع و النشر، الجزائر.
- 81- مقلاتي عبد الله، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر 2013.
- 82- ميغا أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من 400 هـ - إلى 1100 هـ، ط1 / مكتبة التوبة، الرياض، 1997.
- 83- الناصري أحمد، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر و محمد الناصري ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
- 84- النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية الإشعاع الثقافي و الجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، منشورات المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1987.
- 85- نسيب محمد، زوايا العلم و القراءة بالجزائر، بوزريعة، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

- 86- ولد السعد أحمد، المساجلات الكلامية في بلاد شنقيط خلال القرن الثالث عشر هجري، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط، 2015.
- 87- ولد حامد المختار، التاريخ السياسي (موسوعة حياة موريطانيا)، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 2000.
- 88- ولد سالم حماد الله، تاريخ بلاد شنقيط (موريتانيا) من العصور القديمة إلى حرب شوية الكبرى بين أولاد ناصر و دولة ايدوكل اللمتونية، ط1، دار الكتب العلمية لبنان، 2010.
- 89- ولد سيد احمد يحيى، ديوان الصحراء الكبرى، المدرسة الكتبية و القصائد النيرات، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- 90- ياسين عبد السلام، نظرات في الفقه و التاريخ، ط1، دار الخطابي للطباعة و النشر مطبعة فضالة، المحمدية، 1989.

❖ باللغات الأجنبية:

- 1- Carbow (H), **La région du Tchad et du Ouadei**, lerrouk, Paris, 1912.
- 2- Emille-felix, Gautier, **le Sahara oranais**, Paris: A, colir, 1903
- 3- Eporter, **la question du Touet au Sahara Algérien**, Foutane, 1891.
- 4- Gerhard Rolrefs, **Voyages et exploration au sahara**, Draa, Tafilelet, sud orenais, tout tidikelt- Rhedames, 1861-1864.
- 5- Gerhard, Rohlfs, **Voyage et exploration au Sahara**, Tome 1.
- 6- Mandeville, **L'Algérie méridionale et Touat**, Paris 1898.
- 7- Martin (A.G.P) **des oasis sahariennes**, Alger.
- 8- Mellion, **Adrien, le Désert**, Paris, 1890.
- 9- Moulias, **Daniel, Organisation hydraulique de oasis sahariennes**, Alger, 1972.

- 10- Oleil, Jacob, **les juifs au Sahara, le Touat au Moyen Age**, CNRS, Paris, 1994.
- 11- Reclus, **Elisée, Nouvelle géographie universelle**, Paris, TX1, L'Afrique septentrionale; Paris, 1886.
- 12- sur la géographie, **l'histoire et les Mœurs du pays**. Ed Jaques Gandine.
- 13- Vinot, Louis, de Tidikelt, étude sur la géographie, l'histoire et les Mœurs du pays. Ed Jaques Gandine

❖ المعاجم والموسوعات:

- 1- ابن منظور محمد، لسان العرب، تحقيق: عبد الله الكبير و آخرون،، دار المعارف، القاهرة دون تاريخ.
- 2- الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر، دون تاريخ.
- 3- البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى الغاء، ج3، دار ابن كثير 1987.
- 4- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ضبط و تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط4، دار الهدى، الجزائر، 1990.
- 5- الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب المستعربين و المستشرقين ج3، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
- 6- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعارف للطباعة و النشر بيروت.
- 7- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، ط01، مكتبة لبنان بيروت، 1999.
- 8- المعجم العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس، 1986.

❖ المقالات والدوريات: باللغة العربية:

- 1- إبراهيم، ميغا، إمبراطورية سنغاي، دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، ع:37، مركز الدراسات الإفريقية دون تاريخ.
- 2- بعثمان عبد الرحمن، حملة المغيلي عن يهود توات و أثرها على الواقع الحرفي في المنطقة، مجلة مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، ع:04، جوان 2013.
- 3- بقادر عبد القادر، جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط و الأشكال)، مجلة الأثر، عدد: 19 جانفي 2014.
- 4- بن خويا إدريس، برماتي فاطمة، الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي - من المهد إلى اللحد - مجلة الذاكرة، عدد: 07، ماي 2016.
- 5- بن دحمان عمر، وجود كنائس في بلاد الإسلام مراجعة فقهية لفتوى المغيلي، مجلة الحقيقة، عدد:37، دون سنة نشر.
- 6- بوسليم صالح، أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة التراث عدد: 15، جامعة مستغانم 2015.
- 7- البوعبدلي المهدي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط و دور الإمام المغيلي لها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، عدد:94، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، جويلية- أوت 1986.
- 8- البوعبدلي المهدي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، سنة 16، ع: 94- جويلية- أوت، 1986.

- 9- حاجيات عبد الحميد، الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة
الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان: 26، جويلية - أوت 1975.
- 10- عباس عبد الكريم، الصلات التجارية بين المغرب و السودان الغربي، مجلة كلية التربية
الأساسية، عدد: 04، جامعة بابل، أيلول 2010.
- 11- عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال
العصر الوسيط، مجلة الحقيقة، عدد: 34، جامعة أدرار، 2018.
- 12- عبد العالي فتيحة، فن الأرجوزة في التراث الجزائري القديم - إقليم توات نموذجا -
مجلة رفوف، عدد: 12، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، ديسمبر 2017.
- 13- عنيشل خديجة، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزواية كنتة
و أهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مجلة الذاكرة، عدد: 05.
- 14- قاسمي فاطمة، فن الرسالة و أدب الرحلة: قديما في توات، مجلة الحقيقة
عدد: 18، جامعة أدرار أوت 2011.
- 15- قصابوي عبد الخالق، تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية، من ق 10 إلى 12
هجري، إقليم توات نموذجا.
- 16- كوت مارك، اختار فضاء، اختيار مجتمع، مجلة معالم المدينة وتنظيمها الحضري، عدد:
03، دار النشر ماري فور، 1999.
- 17- لمين إبراهيم حامد، أهمية الفقارة في النشاط الزراعي بإقليم توات في القرن
13هـ/19م، مجلة آفاق علمية، عدد: 11، تمنغست، جوان 2016.
- 18- لمين إبراهيم حامد، محمد حوتية، الأسر العلمية و أعلامها في منطقة أولف خلال
القرن 13 هـ / 19 م، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، عدد: 03، مخبر الجنوب
الجزائري للبحث في التاريخ و الحضارة الإسلامية، ديسمبر، 2017.

- 19- المصطفى أبو القاسم محمد، مصطلح السودان في المصادر العربية و الأجنبية، مجلة الدراسات العليا، المجلد، 14.
- 20- مقلاتي عبد الله، رحايلي حياة، دور إقليم توات في التواصل الحضاري مع منطقة السودان الغربي، مقال غير منشور.
- 21- المهدي ميغا هارون، جهاد العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية العربية، غرب إفريقيا نموذجاً - قراءات إفريقيا، مجلة الثقافة، عدد: 03، المنتدى الإسلامي 2008.
- 22- الهياوي عبد الرحمن، تعدد أجوبة في النازلة الواحدة من خلال: رسالة أبي الحسن البناهي في الرد على من أنكروا على الإمام الدعاء الصلاة جهراً، المجلة الفقهية الفتوى والنوازل، عدد: 01، مركز البحوث و الدراسات في الفقه المالكي، القنيطرة جمادى الأولى 1438هـ، فبراير 2017.

❖ المقالات باللغة الأجنبية

- 1- Mouny Raymonde. **Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen âge, Mémoires d'Afrique noire ,l'institut Français, N 61, Ed.IFAN, 1961.**
- 2- Selka Abderrahmane, **notice sur le Touat, bulletin de la société de géographié d'Adrar, Alger, 1922.**

❖ الندوات والمؤتمرات:

- 1- إسماعيلي مولاي عبد الله، أولاد السي حمو بلحاج، أعمال الملتقى الرابع حول تاريخ أولاد سي حمو بالحاج تاريخ و حضارة، 01 جوان 2006 زاوية كتنة، أدرار.
- 2- أعيف محمد، مساهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي و السياسي لواحاح الجنوب المغربي توات في القرن 19 م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، إشراف جرمان عياش، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، شعبة التاريخ 1982.

- 3- بعثمان عبد الرحمن، القضاء في منطقة توات، أطروحة دكتوراه من جامعة وهران لإشراف، محمد بن معمر، سنة 2015-2016 .
- 4- بعثمان عبد الرحمن، تحقيق، فهرست التلاني، مذكرة ماجستير معهد الأدب و العلوم الاجتماعية. جامعة بشار، 2008.
- 5- بلعالم عبد السلام الأسمر، الحياة الفقهية في توات خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر هجريين، أطروحة دكتوراه، إشراف:أ.د: سعيد فكرة، تخصص الفقه و أصوله، كلية العلوم الإسلامية جامعة الحاج لخضر-01-، باتنة، السنة الجامعية 2015-2016.
- 6- بلعالم محمد باي، محاضرة "التعريف ببعض جوانب من منطقة توات الجزائرية و حضارته"، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
- 7- بلعالم محمد باي، أهداف نشأة الزوايا و واقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، أيام: 1،2،3 ماي 2000.
- 8- بلغيث محمد الأمين، الربط بالمغرب الإسلامي و دورها في عصر المرابطين و الموحدين، رسالة ماجستير، معهد التاريخ جامعة الجزائر، 1406 هـ 1986 م.
- 9- بن داود نصر الدين، قراءة في رسالة المغيلي إلى السلطان كانو، "تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين" أعمال ملتقى دولي بتلمسان يومي 12-13 ربيع الأول 1433هـ/05 و 06 فيفري 2012، بعنوان الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، فقه السياسة و الحوار الديني.
- 10- بن زينة حميدة، دور علماء توات في إرساء العلاقات العلمية في حواضر الإسلامية الشيخ المغيلي أنموذجا - ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات إجهادا و تدريسا، 10-11 رجب 1431هـ 23-29 جوان 2010.

- 11- بوخلوة حسين، عبد الكريم الفكون القسنطيني، حياته وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف: الجيلالي سلطاني، جامعة وهران، 2008-2009
- 12- بوسليم صالح، المؤسسات الثقافية بإقليم توات- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 هـ -13 هـ / 18-19م- دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2008.
- 13- بوكرايلة زهراء، الرحلة التجارية بين إقليم توات و السودان الغربي و دورها في تمتين الروابط الثقافية ما بين القرنين 7 هـ - 10 هـ / 13م - 15م، رسالة ماجستير، إشراف د. مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان 2011.
- 14- بوكريد نور الدين، جهود العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي في مجال الكتابة في فقه السياسة الشرعية بين التجديد و التأثير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.
- 15- الجعفري أحمد، الحركة الأدبية بمنطقة توات ما بين القرنين 12 هـ. 13 هـ، أطروحة دكتوراه في الأدب، إشراف الدكتور محمد زمري، جامعة تلمسان، 2007.
- 16- جعفري أحمد، الوقف الإسلامي في زوايا و مدارس إقليم توات (جنوب الجزائر) و دوره في النهضة العلمية للإقليم من القرن السابع هجري إلى نهاية القرن الخامس عشر هجري، المؤتمر العالمي الخامس للوقف الإسلامي- التحديات و استشراف المستقبل جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، الخرطوم، 17- 18 شوال 1438 هـ الموافق 11-12 يوليو 2017.
- 17- جعفري مبارك، المكتبات والخزائن الخاصة و دورها في المحافظة على المخطوطات - منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري نموذجا، المؤتمر الدولي الأول للمخطوطات والوثائق التاريخية، ماليزيا- يومي 20 21 رجب 1437 هـ / 27-28 أبريل 2016.

18- جيدل عمّار، النوازل مصدر للتاريخ الاجتماعي و الثقافي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، النوازل في الغرب الإسلامي، دار الثقافة، عين الدفلى 13-14 جمادى الأولى 1431، 28-29-2010.

❖ الرسائل الجامعية:

- 1- الحمدي أحمد، محمد عبد الكريم المغيلي، رائد الحركة الفكرية بتوات، ماجستير إشراف، د: بن نعيمة عبد الحميد، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999.
- 2- حملاوي علي، قصور منطقة جبال عمور، السفح الجنوبي، أطروحة دكتوراه، قسم الآثار، كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر، 1999، 2000.
- 3- سليمان علي، زاوية مولاي سليمان بن علي، بحث غير منشور، مقدم ضمن أعمال اليوم الدراسي الثالث بأدرار 2008.
- 4- الصديق تياقة، النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظيفة، مقارنة أنثروبولوجية لقصر تمنطيط، رسالة ماجستير، علم الاجتماع أنثروبولوجيا، جامعة وهران، 2006.
- 5- الصديق تياقة، نمط العمارة القصورية ومراحل الاستيطان البشري بإقليم توات أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة أدرار و تيارت، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي، جامعة أدرار، أبريل 2009.
- 6- الطاهري مولاي عبد الله، دور علماء توات في نشر المذهب المالكي وترسيخه بالجزائر، ملتقى الفقه المالكي إجهادا و تدرسا أدرار، 23-24- جوان 2010.
- 7- طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التلاني التواتي (ت 1152هـ، /1736م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف أ.د بوية مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

- 8- طموز عبد الكريم، تحقيق فهرس شيوخ سيدي عمر الحاج عبد القادر التينلاني التواتي (ت 1152هـ / 1739م) مذكرة ماجستير، التاريخ الوسيط، إشراف، بوية مجاني، جامعة منتوري بقسنطينة، 2009-2010،
- 9- عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، مذكرة ماجستير، إشراف موسى لقبال، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998 .
- 10- عبد الكريم طموز، تحقيق فهرس شيوخ الشيخ عمر بن الحاج عبد القادر التينلاني التواتي (ت 1152هـ، / 1736م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط إشراف أ.د بوية مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
- 11- عبد الكريم محمد، الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية أدرار، آليات التنظيم و الأداء أمجالي، مذكرة ماجستير في الجغرافيا و التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض و الكون، إشراف عثمان طيب، جامعة وهران 2، سنة 2016.
- 12- عبد المؤمن بمية، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18-19م، رسالة ماجستير، قسم الحضارة الإسلامية وهران، 2006.
- 13- عيسى ألي أوبكر وعبد الرشيد محمود مقدم، الشيخ الإمام المغيلي وآثاره العلمية في نيجيريا - دراسة فنية - مجلة رفوف، عدد: 03، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول المخطوط - جامعة أدرار 03-04 ديسمبر 2013.
- 14- قزان زهير بن عبد الرحمن، الفكر الصوفي في النوازل التواتية، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي، دار الثقافة - عين الدفلى 13-14 جمادى الأولى 1431هـ / 28-29-2010 .
- 15- قزان زهير بن عبد الرحمن، مختصرات الفقه المالكي و جهود علماء توات في خدمتها، ملتقى الفقه المالكي في بلاد توات، اجتهادا و تدريسا، ملتقى وطني بأدرار - 23-24 جوان، 2010.

- 16- قباوي عبد الخالق، المنهج التعليمي للمدارس و الزوايا الدينية محاضرة توات الملتقى الدولي، الوسطية في الغرب الإسلامي و أثرها في نشر الإسلام في إفريقيا و أوروبا، ديسمبر 2017 ربيع الأول 1439هـ.
- 17- قومي محمد، دور الطائفة اليهودية، بتوات خلال القرنين 9 هـ - 10 هـ / 15م - 16م، رسالة ماجستير إشراف غازي الشمري، جامعة وهران، 2013-2014.
- 18- الكنتي أحمد، دور آل كنتة في نشر الإسلام، أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، 20 ماي 2004، زاوية كنتة، أدرار.
- 19- لزغم فوزية، البيوتات و الأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني و دورها الثقافي و السياسي، (929-1246/1520م-1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، إشراف: محمد بن معمر، 2014.
- 20- مبخوت بودواية، العلاقات التجارية و الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2006.
- 21- المبروك زيد الخير، رسالة أبي زيد القيرواني ومنهجها في التأصيل والتوصيل الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، بحوث الملتقى الوطني، أدرار، 23-24 جوان 2010.
- 22- محمد الدباغ، المرشد المعين لابن عاشر، أقره في تكوين الفقهي لمدرسة توات المالكية الفقه المالكي اجتهادا وتدريسا، بحوث الملتقى الوطني.
- 23- مرتضي أحمد، الإمام المغيلي و إسهامه في بناء الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا، بحث مقدم في الملتقى الدولي الثالث حول الفاتح عقبة بن نافع - رضي الله عنه - الحواضر العلمية الجزائرية و إفريقيا - ما بين 08 - 10 مارس 2014م - بسكرة.

24- مشنان محمد أوادير، فتوى الإمام ابن زكريا التلمساني، في مسألة يهود توات (دراسة و تحقيق)، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، فقه النوازل في الغرب الإسلامي. دار الثقافة عين الدفلى: 13-14 جمادى الأولى 1431هـ 28-29-2010.

25- مولاي محمد، العلاقات العلمية بين توات و بلاد الساحل الإفريقي خلال القرنين 11-12 هـ / 18/18م، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص التاريخ و الحضارة الإسلامية، إشراف: أحمد الحمدي، جامعة وهران، 2013-2014.

26- يماني رشيد، البيوتات العلمية في الأندلس النصرية خلال القرنين الثامن و التاسع الهجريين - دراسة تحليلية و توثيقية، أطروحة دكتوراه في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الإسلامي إشراف مبخوت بودواية، جامعة تلمسان سنة 2015.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

	البسمة
	الدعاء
	إهداء
	تشكر
01.....	مختصرات.....
02.....	مقدمة.....
16.....	الفصل التمهد: دراسة عامة لإقليم توات قبيل و بعد الإسلام.....
17.....	التعريف بالإقليم التواتي.....
17.....	تسمية توات بمختلف الدلالات.....
24.....	دراسة جغرافية للإقليم.....
35.....	دراسة عامة لقصور حواضر توات.....
52.....	الواقع التاريخي و الانتماء السياسي للإقليم من ق 1 هـ - 11 هـ.....
52.....	تاريخ اختطاط إقليم توات.....
55.....	دراسة عامة لساكنة الإقليم.....
64.....	التبعية و واقع الانتماء السياسي للإقليم التواتي.....
71.....	فصل الأول: بوادر النهضة و ظاهرة البيوتات العلمية من القرن 7 هـ إلى القرن 11 هـ.....
72.....	الأوضاع العامة قبيل القرن 7 هجري و بداية القرن 9 هجري.....
76.....	دور الوفادة العلمية في دفع الحراك الثقافي.....
77.....	العلماء الوافدون على الإقليم.....
77.....	العالم سليمان بن علي.....
78.....	العالم عيسى بن محمد البطوي.....
79.....	العالم أبو يحيى محمد بن محمد المنباري التمنطي.....

- 79.....العالم يحيى بن يدير بن عتيق التادلسي
- 80.....العالم موسى بن مسعود
- 82.....التعريف بظاهرة البيوتات العلمية و تمثلها
- 86.....نماذج البيوتات العلمية التواتية من القرن 8 هـ إلى القرن 10 هـ
- 86.....التعريف بالبيت العصنوني
- 86.....العالم عبد الله بن أبي بكر العصنوني
- 89.....العالم سالم بن محمد بن أبي بكر العصنوني
- 90.....التعريف ببيت المغيلي
- 96.....التعريف بالأسرة البكرية
- 98.....العالم ميمون بن عمرو بن محمد المكنى بأبي محمد الأمري
- 100.....العالم: أحمد بن ميمون البكري
- 101.....العالم: عبد الحميد بن أحمد بن ميمون
- 102.....العالم: أحمد بن أحمد بن ميمون الأمري
- 103.....العالم: عبد المهيم بن أبي محمد
- 104.....العالم: عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد الأمري
- 108.....العالم: أحمد بن عبد الكريم بن محمد
- 108.....العالم الشيخ: محمد البكري بن عبد الكريم
- 112.....التعريف بالبيت الكنتي
- 113.....عمر بن أحمد البكاي: المعروف بعمر الشيخ
- 114.....أحمد بن محمد الرقاد

116.....	الشيخ: علي بن أحمد بن محمد الرقاد.....
117.....	الشيخ محمد بن علي بن أحمد الرقادي.....
117.....	البيت البلحاجي الشريف.....
119.....	أعلام البيت البلحاجي.....
119.....	العالم الشيخ أحمد الحاج.....
119.....	الشيخ الشريف عبد الملك.....
120.....	الشيخ الشريف عبد الكريم.....
120.....	الشريف عبد القادر.....
120.....	الشريف سيدي الشيخ.....
120.....	الشريف سيدي الزين.....
120.....	الشريف أحمد بن محمد.....
121.....	الشريف عبد الله بوزقزاد.....
121.....	التعريف بالبيت التلاني.....
122.....	أعلام البيت التلاني.....
122.....	الشيخ: أحمد بن يوسف بن محمد الأموي التلاني.....
123.....	بولنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التلاني.....
124.....	الشيخ عمر بن عبد القادر التلاني المعروف بعمر الأكبر.....
125.....	بيت الجوزي (بيت أولاد القاضي).....
126.....	أعلام البيت الجوزي.....
126.....	أحمد بن مسعود بن إبراهيم الحسني.....

127.....	عبد الكريم بن احمد بن مسعود - أبو المكارم -
127.....	عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجوزي
127.....	محمد بن عبد الله التازدايتي المعروف بالجوزي
129.....	فصل الثاني: مظاهر النهضة و إسهامات الأسر العلمية
130.....	المؤسسات التعليمية و العمائر الدينية.....
131.....	الكتاتيب.....
133.....	الزوايا.....
135.....	زاوية مولاي سليمان بن علي الإدريسي
136.....	زاوية عبد الكريم المغيلي.....
137.....	زاوية بدریان.....
138.....	الزاوية الكتتية.....
138.....	المساجد.....
140.....	الخزائن.....
144.....	آثار المؤسسات العلمية.....
144.....	العلوم المعتمدة في الإقليم النواتي.....
144.....	العلوم الشرعية.....
145.....	علم الفقه.....
148.....	علم التفسير.....
150.....	علم الحديث.....
153.....	التصوف.....
156.....	العلوم النقلية.....
156.....	علوم اللغة و الآداب.....

161.....	علم التاريخ.....
164.....	العلوم العقلية.....
165.....	علم الفلك.....
165.....	علم المنطق.....
166.....	علم الطب.....
169.....	فصل الثالث: إسهام البيوتات العلمية في النشاط الفكري و أثرها على الإقليم.....
170.....	مساهمة أعلام البيوتات في التأليف.....
174.....	في علوم اللغة.....
174.....	نموذج من الرسائل الإخوانية.....
176.....	نموذج لشعر التوسل: القصيدة الميمية للعالم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي.....
177.....	من نماذج التصوف.....
178.....	التأليف في الفقه.....
178.....	فقه نوازل.....
185.....	نماذج من النوازل.....
185.....	نازلة يهود توات.....
187.....	أبعاد نازلة اليهود على الصعيد الداخلي و الخارجي.....
191.....	المراسلات و المناظرات.....
192.....	نماذج مراسلات فقهية.....
196.....	رسالة فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب.....
202.....	مناظرة الشيخ المغيلي مع الشيخ السيوطي في المنطق.....
205.....	أدب الرحلة و أثرها على الإقليم.....
206.....	فن و أدب الرحلة.....

208.....	نماذج بعض الرحلات
210.....	دور الرحلة في نمضة الإقليم
214.....	الفصل الرابع: الدور الحضاري للبيوتات العلمية في الوظائف السامية
215.....	دور علماء توات في القضاء
215.....	مفهوم القضاء
217.....	تولية القضاء في الإقليم من ق 6 - ق 10 هـ
220.....	مهام القضاة في الإقليم من 10-11هـ
221.....	القضاة في الإقليم من 10-11هـ
225.....	دور أعلام البيوتات العلمية في التعليم
226.....	التعليم و مراحلہ
228.....	مناهج التعليمي و متونه
230.....	المتون المعتمدة
232.....	الإجازة العلمية
236.....	اعتماد أعلام توات على التجارة
237.....	دور و أثر التجارة في الإقليم
238.....	نماذج لعلماء تجار في الإقليم
242.....	جهود أعلام البيوتات العلمية في النشاط الدعوي خارج الإقليم
245.....	بلاد السودان الغربي خلال ق 10 هجري / 16 ميلادي
252.....	الجهود الدعوية للعالم محمد عبد الكريم المغيلي في دول غرب إفريقيا
260.....	جهود أعلام قبيلة كتنة و نشاطهم الدعوي
264.....	خاتمة
271.....	الملاحق

الملخص:

يعد إقليم توات أحد أهم مناطق الدغرب الأوسط باعتباره عابرا للصحراء ومسلكا للقوافل التجارية خاصة في القرن السابع الذجري الذي مثل تحول في الخارطة الاقتصادية بعد سقوط مملكة غانا، وهي أيضا الفتة التي شهد فيها الإقليم تغيرا في الساحة العلمية والذي ساهمت فيو الوفادة العلمية لأسم أقطاب أعلام في الدغرب الأوسط والدغرب الأقصى خاصة، إذ اعتبرت المنطقة ملاذا للفارين والدضطهدين من الصلحاء حتى عرفت بأرض الأمن الامان.

بذه الظروف كلها لرتمة شكلت الركائز الأساسية لبناء بيوتات علمية قائمة على العلم والشرف والورع منها البيت الدغيلي والبيت العصنوني والبيت البكري والبيت التلاني وغيرها من الأسر العلمية؛ وذلك خلال الفتة ما بين القرنين السابع والحادي عشر بحرين.

الكلمات المفتاحية: إقليم توات- البيوتات العلمية - حركة التأليف - النوازل - الزوايا - منطقة قورارا- تيديكلت.

Résumé :

Considéré comme un transit vers la région subsaharienne et une route vers les convois commerciaux, Touat était l'un des régions les plus importantes du Maghreb centrale médiévale à partir septième siècle AH/ 13 eme sc qui représentait un changement dans la carte économique après la chute du Royaume du Ghana.

Et aussi la période dans laquelle la région avait atteint l'apogée scientifique; Ce qui a contribué à l'arrivée des grands savants du tout le Maghreb, et même devenait un refuge pour les opprimés.

Toutes ces conditions combinées formaient les bases pour fonder des foyers culturels entre le 7 eme et le 10 eme AH /13-16 sc. comme les maghilis , les bekris, les asnounis ; et les tenlalis

Mots clés : Touat ; foyers culturels, apogée scientifique ; Maghreb centrale médiévale, gourara , tidikelt .

Abstract :

Considered as a transit to the sub-Saharan region and a way to the commercial convoys, Touat was one of the most important areas of medieval central Maghreb from seventh century AH / 13th sc which represented a change in the economic map after the fall of the Kingdom of Ghana.

And also the period in which the region had reached scientific apogee; This contributed to the arrival of the great scholars of all the Maghreb, and even became a refuge for the oppressed.

All this conditions combined formed the basis for founding cultural centers between the 7th and the 10th AH / 13-16 sc. such as the maghilis, the bekris, the asnounis; and the tenlalis .

Keywords: Touat; cultural centers, scientific apogee; Maghreb medieval central; gourara , tidikelt.